الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة



بدر الدين العينى

السيف المهند
فى سيرة الملك المؤيد
"شيخ المحمودى"

حققه وقدم له
فهيم محمد شلتوت

راجعه
الدكتور محمد مصطفى زيادة

الناشر
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر
بالقاهرة

١٩٦٦ — ١٩٦٧

مقدمة

مؤلف الكتاب :

هو بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن الحسين بن يوسف ابن محمود الشهير بالبدر العينى .

نشأته :

ولد البدر فى بلدة عينتاب — بين حلب وأنطاكية — فى السابع عشر من رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة من الهجرة ، ونشأ بها نشأة أبناء العلماء فى زمانه ،فتلقى العلوم على والده القاضى شهاب الدين أحمد ، وعلى غيره من الشيوخ بعينتاب ، وبرع فيها حتى إنه استطاع — فى شبابه — أن يتولى القضاء نيابة عن والده ، وأن يجيد القيام بمهامه .

ولم يقف طموح البدر عند تلقى العلوم على علماء بلدته ،فارتحل إلى البلاد الأخرى طلباً للعلوم من المفتين المبرزين فيها ، فانتقل إلى حلب ، وأخذ عن أجلة شيوخها ، كما انتقل إلى بهسنا وإلى كختسا وإلى ملطية لنفس الغرض .

وفى سنة ثمان وثمانين وسبعمائة سافر إلى الحج ، فالتقى فى بيت المقدس بشيخ علماء العصر علاء الدين على بن أحمد بن محمد السيرامى — وكان فى طريقه أيضاً إلى الحج — فلازمه وداوم صحبته ، ثم سافرمعه إلى مصر حين دعاه السلطان الظاهر برقوق للتدريس بمدرسته التى تسمى بالبرقوقية وأسكنه بها ، وسكن أيضاً معه البدر العينى بعد أن عين صوفياً بالبرقوقية . وتهيأ له بذلك طول الملازمة لشيخه ، وسعة الفرصة لتلقى العلوم عليه ، وعلى غيره من أكابر الشيوخ بالقاهرة .

شيوخه :

والمتتبع لتاريخ حياة البدر يشعر بذلك الكلف العظيم الذى أبداه البدر نحو الإكثار من الشيوخ الذين يتلقى العلم عليهم ، وقد وضع لهم ترجمات فى كتاب أسماه معجم الشيوخ عرفاناً بفضلهم ووفاء لحقهم ، فكان من كبار أساتذته :

الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى ، والحافظ سراج الدين البلقينى ، ومسند

الديار المصرية المحدث تقى الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الدجوى ، والعلاء على ابن محمد بن عبد الكريم القوى ، والحافظ نور الدين أبو الحسن على الهيثمى ، وقطب الدين عبد الكريم بن التقى ابن الحافظ الحلبى ، والشرف ابن الكويك ، والشيخ المحدث زين الدين تغرى برمش بن يوسف التركمانى المعروف بالفقيه ، والشيخ قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل المعروف بالنجم ابن الكشك ، والشيخ فتح الدين أبو الفتح محمد بن أحمد العسقلانى ، والعلاء السيرامى ، وقاضى القضاة جمال الدين يوسف بن موسى الملطى ، والفقيه عيسى بن الخاص السرماوى ، والعلامة حسام الدين الرهاوى ، والعلامة أثير الدين جبريل بن صالح البغدادى ، وشيخ المحققين شمس الدين محمد الراعى بن الزاهد ، والشيخ ميكائيل ، والشيخ محمود بن محمد العينتابى ، والشيخ ذو النون ، والشيخ خير الدين القصير ، والشيخ حيدر الرومى ، والشيخ بدر الدين الكشافى ، والشيخ ولى الدين البهنسى ، والعلامة علاء الدين الكختاوى ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن خاص التركى .

الكتب التى درسها على هؤلاء العلماء :

ولقد درس البدر العينى على هؤلاء الشيوخ كتباً كثيرة فى العلوم التى اصطلح على أنها تكون العلماء فى عصره ، والتى كان لابد لطالب العلم أن يتفقه فيها ، وأن يتمكن منها حتى يجاز كعالم له الحق فى أن يتصدى للحديث فيها والتدريس والفتوى

فقد درس فى الفقه وأصوله :

- كتاب الأصول ، للإمام على بن محمد البزدوى المتوفى سنة ٤٨٢ هـ .
- البحار الزاخرة فى المذاهب الأربعة ، للعلامة حسام الدين الرهاوى .
- التوضيح فى حل غوامض التنقيح ، لصدر الشريعة الأصغر عبد الله بن مسعود المحبوبى المتوفى سنة ٧٤٧ هـ .
- فرائض السجاوندى ، المعروف بالفرائض السراجية ، للإمام سراج الدين محمد بن محمود بن عبد الرشيد السجاوندى من علماء القرن السابع الهجرى .
- مجمع البحرين وملتقى النهرين ، للإمام مظفر الدين أحمد بن على بن تغلب المعروف بابن الساعاتى المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .
- مختصر القدورى ، للإمام أبى الحسن أحمد بن محمد القدورى المتوفى سنة ٤٢٨ هـ .
- المنتخب فى أصول المذهب ، لحسام الدين محمد بن عمر الأخسيكثى المتوفى سنة ٦٤٤ هـ .

- منظومة النسفى فى الخلاف ، لأبى حفص عمر بن محمد بن أحمد النسفى المتوفى سنة ٥٣٧ هـ .
- الهداية لبرهان الدين على المرغينانى الحنفى المتوفى سنة ٥٩٣ هـ .

ودرس فى علوم القرآن :

- الكشاف عن حقائق التأويل ، للإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
- الشاطبية المسماة حرز الأمانى ووجه التهانى ، لأبى محمد القاسم ابن فيرة الشاطبى المتوفى سنة ٥٩٠ هـ.

وردس فى الحديث وعلومه :

- الإلمام فى أحاديث الأحكام ، للحافظ محمد بن على بن مطيع القشيرى المعروف بابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .
- السنن ، للإمام الحافظ محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .
- السنن ، للحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
- السنن ، للحافظ على بن عمر بن أحمد بن مهدى الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥هـ .
- السنن ، للإمام أحمد بن على بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ .
- السنن ، للإمام أبى داود سليمان بن أشعث السجستانى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ .
- شرح معانى الآثار ، للإمام أبى جعفر الطحاوى المتوفى سنة ٣٢١ هـ .
- صحيح البخارى ، للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفى البخارى المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .
- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١ هـ .
- محاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصلاح ، للحافظ سراج الدين عمر ابن رسلان البلقينى المتوفى سنة ٨٠٥ هـ .
- مسند أبى حنيفة ، لعبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثى السبذمونى البخارى المتوفى سنة ٣٤٠ هـ
- مسند أحمد بن حنبل الشيبانى المتوفى سنة ٢٩٠ هـ .

- مسند الدارمى ، للحافظ أبى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ .
- مسند عبد بن حميد الكشى المتوفى سنة ٢٩١ هـ .
- مصابيح السنة ، للإمام حسين بن مسعود الفراء البغوى المتوفى سنة ٥١٦ هـ .
- المعاجم الثلاثة ، للحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبرانى المتوفى سنة ٣٦٠ هـ .

ودرس فى علوم العربية :

- التبيان فى المعانى والبيان ، للعلامة شرف الدين الحسن بن محمد الطيبى المتوفى سنة ٧٤٣ هـ .
- مفتاح العلوم ، للعلامة أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .
- التسهيل ، لجمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجيانى المتوفى سنة٦٧٢ هـ .
- تصريف العزى ، لأبى الفضائل إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجانى المتوفى سنة ٦٥٥ هـ .
- الشافية ، للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ .
- مراح الأرواح ، للإمام أحمد بن على بن مسعود - ولم تعلم سنة وفاته .
- المصباح ، لأبى الفتح ناصر بن عبد السيد المطرزى المتوفى سنة ٦١٠ هـ .
- الضوء على المصباح ، لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الاسفرايينى المتوفى سنة ٦٨٤ هـ .
- المفصل ، للإمام الزمخشرى . جار الله محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .
- صحاح الجوهرى المسمى تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبى إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ .

ودرس فى المنطق والحكمة :

- شرح الشمسية ، لقطب الدين محمد بن محمود الرازى التحتانى المتوفى سنة ٧٦٦ هـ .
- شرح مطالع الأنوار للأرموى ، للقطب الرازى السابق ذكره .
- رموز الكنوز فى الحكمة ، لأبى الحسن على بن محمد بن سالم التغلبى المعروف بسيف الدين الآمدى المتوفى سنة ٦٣١ هـ .

ودرس في السيرة النبوية :

- كتاب الشفاء ، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤ هـ .

هذا إلى جانب كثير من الكتب قرأها وحده وأشار إليها في ثنايا كتبه كمراجع رجع إليها ونقل عنها .

حياته الوظيفية :

تولى البدر العيني - في شبابه - قضاء بلدته عينتاب . وذلك نيابة عن والده ثم لما قدم إلى مصر تولى عدة وظائف بها ، بدأها حين عينه الملك الظاهر برقوق . صوفياً في عداد صوفية المدرسة البرقوقية ، ولما توفى أستاذه العلاء السيرامي عزله الأمير جركس الخليلي - منشئ خان الخليلي - وأمر بنفيه من الديار المصرية ، لكن شيخ الإسلام السراج البلقيني تشفع فيه،فاكتفى بعزله وأعفى من النفي ، فأقام بالقاهرة فترة وجيزة ثم سافر إلى بلاده ، ولما لم تطب له الإقامة بها عاوده الحنين إلى رحاب العلم في القاهرة ، فرجع إلى مصر فقيراً لكن حسن السيرة مشهور الفضيلة .

وشاء البدر أن يتخذ سنداً يحول بينه وبين حسد أقرانه من العلماء وغضب الأمراء الذين لايقدر على تحمل نقمتهم . فسعى إلى التعرف لبعض الأمراء الكبار من أمثال الأمير جكم ، والأمير قلمطاى الدوادار ، والأمير تغرى بردى القردمي وغيرهم ، فتردد عليهم وحظى عندهم بالقبول . وألف للأمير قلمطاى كتاباً أسماه الأدعية المأثورة ، وآخر أسماه الكلم الطيب ، وبوساطة هذا الأمير تعرف إلى كثير من الأمراء وصار محبوبا لديهم ، وبمسعى من هؤلاء الأمراء لدى الملك الناصر فرج بن برقوق عين محتسباً للقاهرة بعد عزل العلامة تقي الدين المقريزي عن الوظيفة في سنة إحدى وثمانمائة ، ثم عزل البدر عنها وتعين خلفاً له جمال الدين طنبودى المعروف بابن عرب ، وفي سنة اثنتين وثمانمائة . أعيد محتسباً ، ولكنه استعفى بعد شهر،وخلفه تقي الدين المقريزى ، وبعد سنة أعيد محتسباً خلفاً للجاشنى . ثم عين ناظراً للأحباس بعد سنة ولكنه عزل بعد أقل من عام ، فاشتغل بالفتوى والتأليف والتدريس في عدة مدارس وزوايا ، وظل كذلك إلى أخريات عهد الناصر فرج فأعيد إلى الحسبة ثم إلى نظر الأحباس .

ولما تولى السلطان المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٥ هـ عزله وعنفه ، ولكنه بعد قليل رضى عنه واختص به وولاه حسبة القاهرة ، ثم عزله . ثم ولاه نظر الأحباس كما فوض إليه تدريس الحديث بالمدرسة المؤيدية عند افتتاحها ، وصار البدر من خلصاء المؤيد شيخ يسامره الليالى حينما يكون نازلا بالقصر ، واختاره سفيراً إلى بلاد الروم

سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ليقوم بتقديم خلعة السلطان المؤيد إلى نائبه الأمير على باك ابن قرمان ويفوضه ولاية بلاد أخيه محمد باك بن قرمان . الذى جاهر بالعصيان للسلطان فقبض عليه وأرسل إلى القاهرة فى آخريات سنة ٨٢٢ هـ .

وحينما تولى الأمير ططر السلطنة علت منزلة البدر عنده وذلك لصحبة قديمة كانت بينهما ، وأسرع البدر بتأليف كتاب فى سيرته أسماه «الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر» كما قام بترجمة كتاب القدورى فى فقه الحنفية إلى اللغة التركية بناء على توجيه هذا السلطان .

وحينما تولى الأشرف برسباى السلطنة عينه ناظراً للأحباس فلم يقبل البدر القيام بهذه الوظيفة ، فولاه بعدمدة حسبة القاهرة ، ثم ولاه قضاة الحنفية عوضاً عن التفهنى الذى تولى مشيخة الشيخونية فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائه . ويقال إنه لم يجتمع القضاء والحسبة ونظر الأحباس فى أحد قبله – ونال البدر من رفعة المنزلة وعلو الدرجة فى أيام برسباى ما لم ينله فى أيام غيره من السلاطين ، وكان يترجم له تاريخه (عقد الجمان) إلى التركية ، ويعلمه أمور الدين حتى قال الأشرف برسباى : لولا البدر العينى لكان فى إسلامنا شىء .

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائه عزل البدر عن جميع وظائفه ، لكنه فى سنة خمس وثلاثين أعيد لحسبة القاهرة وبقى فيها حتى سنة اثنتين وأربعين فعزل عنها – ولم يل بعد ذلك وظيفة عامة فى الدولة و تفرغ للتأليف والتدريس والفتوى .

ومن هذا العرض يتبين أن البدر قد تولى عدة وظائف هى التدريس والقضاء والحسبة ونظر الأحباس .

ولم تكن كثرة عزله عن وظائفه بسبب عدم أهليته لها ، وإنما كان ذلك لحسد من أقرانه وسعى مؤيديهم من بطانة وحاشية السلاطين .

وفاته :

توفى البدر العينى ليلة الثلاثاء رابع ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة عن ثلاث وتسعين سنة ، وصلى عليه فى الجامع الأزهر ، ودفن بمدرسته التى تقع فى حارة كتامة بحى الأزهر . وإلى حفيده الأمير أحمد بن عبد الرحيم بن البدر العينى ينتسب قصر العينى الشهير بالقاهرة .

تلامذته ومن أخذ عنه :

وقد تتلمذ على البدر العينى كثير من العلماء ، وذلك لأنه عمر طويلا ، وتعددت دروسه فى مدارس القاهرة – وقد قيل إنه دام على إقراء الحديث فى المؤيدية وحدها

ما يقارب أربعين سنة : هذا إلى جانب ما كان يمتاز به من حسن العشرة والتواضع ، وبسط العبارة والقدرة على البيان والإيضاح ، وكثرة الاطلاع — وقد جعله الحافظ ابن حجر فى عداد شيوخه برغم تقاربهما فى السن . وممن تتلمذ عليه الإمام المحقق كمال الدين بن الهمام ، والعلامة الحافظ ناصر الدين أبو البقاء محمد بن أبى بكر الصالحى المعروف بابن زريق ، والحافظ العلامة قاسم الدين قطلوبغا ، والحافظ شمس الدين السخاوى ، والعلامة أبو الفتح محمد بن محمد العوفى ، والشيخ محب الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن المصرى ، وأبو إسحاق إبراهيم بن على بن أحمد القرشى ، وأبو الوفاء محمد بن خليل الصالحى الحنفى ، وبدر الدين حسن بن قلقيلة الحسينى الحنفى ، والعلامة زين الدين أبو بكر الكختاوى ، وقاضى القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكنانى الحنبلى ، والشيخ كمال الدين المالكى الشمنى — والد التقى الشمنى — ، والبدر البغدادى الحنبلى ، وقطب الدين الخيضرى ، والبرهان ابن خضر ، وشمس الدين محمد بن عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن كسباى الحنفى — جد البيت العمادى بالشام — والقاضى نور الدين على بن داود الخطيب الجوهرى الحنفى المؤرخ ، وأبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الظاهرى المؤرخ وغير هؤلاء من العلماء . ويروى عنه جلال الدين السيوطى بالإجازة العامة والخاصة ولم يقرأ عليه شيئاً لصغر سنه .

مؤلفاته :

ترك البدر العينى رصيداً ضخماً من المصنفات فى جميع العلوم المعروفة فى زمانه ، حتى قيل : إنه لا يقاربه واحد من أهل عصره فى كثرة مصنفاته إلا أن يكون الحافظ ابن حجر .

فقد صنف البدر العينى فى علوم التفسير ، وعلوم الحديث ، وعلوم اللغة ، والفقه ، والتاريخ والمنطق ، والعروض . ومؤلفاته هى :

أولا : كتب مطبوعة :

١ — البناية فى شرح الهداية ، للإمام المرغينانى — فى عشرة مجلدات .

٢ — رمز الحقائق فى شرح كنز الدقائق ، للنسفى — فى فقه الحنفية .

٣ — الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر)

٤ — السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد (هذا الذى بين يديك)

٥ — عمدة القارى فى شرح الجامع الصحيح ، للبخارى .

٦ - فرائد القلائد فى مختصر شرح الشواهد المعروف بالشواهد الصغرى .

٧ - مقاصد النحوية فى شرح شواهد شروح الألفية - المعروف بالشواهد الكبرى - وهو مطبوع على هامش خزانة الأدب ، البغدادى .

ثانيا : كتب مخطوطة وموجودة بمكتبات العالم :

١ - تحفة الملوك فى المواعظ والرقائق . فى مكتبة برلين برقم ٤١/٤٥٢٠ ، وفى مكتبة الجزائر برقم ٩٩٢ .

٢ - تكميل الأطراف (فى مجلد) بمكتبة شهيد باشا على برقم ٣٨٧ .

٣ - الدرر الزاهرة فى شرح البحار الزاخرة ، للرهاوى (فى المذاهب الأربعة - فى مجلدين ثانيهما بخط المؤلف ، بدار الكتب المصرية برقم ١٨٣ ، ١٨٤ فقه) .

٤ - شرح سنن أبى داود (فى مجلدين - فى أحاديث الأحكام ورجالها) بدار الكتب المصرية برقم ٢٨٦ حديث .

٥ - عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان - وهو التاريخ الكبير (فى خمسة وعشرين جزءا وقيل ثلاثة وعشرين جزءا تقع فى تسعة وستين مجلداً) منه نسخة مصورة عن استنبول . بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ . وأجزاء أخرى متفرقة فى مكتبات العالم . بعضها بخط المؤلف وبخاصة فى مكتبة ولى الدين وجار الله .

٦ - العلم الهيب فى شرح الكلم الطيب لابن تيمية بدار الكتب المصرية برقم ١١٢ حديث .

٧ - المسائل البدرية المنتخبة من الفتاوى الظهيرية لظهير الدين أبى بكر محمد بن أحمد البخارى الحنفى المتوفى سنة ٦١٩ هـ بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨ فقه حنفى - وهو بخط المؤلف .

٨ - المستجمع فى شرح المجمع (مجمع البحرين ، لابن الساعاتى) فى مجلدين ، بدار الكتب المصرية برقم ٤١٨ ، ٧٩٠ فقه حنفى .

٩ - مغانى الأخيار فى رجال معانى الآثار - فى مجلدين ويبحث فى علم الرجال . بدار الكتب المصرية . برقم ٧٢ مصطلح الحديث - والنسخة بخط المؤلف .

١٠ - منحة السلوك فى شرح تحفة الملوك ، لزين الدين محمد بن أبى بكر بن عبد المحسن الرازى الحنفى : منه عدة نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية - انظر فهرست الدار ١ : ٤٦٧ .

١١ – نخب الأفكار فى تنقيح مبانى الأخبار فى شرح معانى الآثار ، للإمام أبى جعفر الطحاوى (فى عشرة مجلدات ، وموضوعه أحاديث الأحكام) بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٦ حديث ، والنسخة بخط المؤلف .

ثالثاً : كتب نسبها المؤرخون إليه وأوردها بروكلمان ولم يتحدث عن وجودها فى مكتبات العالم :

١ – تاريخ الأكاسرة – باللغة التركية .
٢ – تذكرة نحوية .
٣ – التذكرة المتنوعة .
٤ – التقريظ على الرد الوافر ، لابن ناصر الدمشقى .
٥ – التقريظ على السيرة المؤيدية ، لابن ناهض .
٦ – الحواشى على تفسير البغوى .
٧ – الحواشى على تفسير أبى الليث .
٨ – الحواشى على التوضيح ، للجاربردى فى فن الصرف .
٩ – الحواشى على شرح الشافية ، للجاربردى .
١٠ – الحواشى على الكشاف ، للزمخشرى .
١١ – رحلة الطحاوى – فى مجلد .
١٢ – زين المجالس وشارح الصدور (فى ثمانية مجلدات) .
١٣ – سير الأنبياء .
١٤ – سيرة الأشرف برسباى .
١٥ – سيرة المؤيد شيخ «أرجوزة» .
١٦ – شرح تسهيل ابن مالك (مختصر) .
١٧ – شرح تسهيل ابن مالك (مطول) .
١٨ – شرح العوامل الجرجانية .
١٩ – شرح قصيدة الساوى فى العروض .
٢٠ – شرح مراح الأرواح (وهو أول تصنيف ألفه)
٢١ – شرح المنار فى الأصول .

٢٢ - شرح لامية ابن الحاجب فى العروض .

٢٣ - طبقات الحنفية .

٢٤ - طبقات الشعراء .

٢٥ - غرر الأفكار فى شرح درر البحار للفتوى على المذاهب الأربعة .

٢٦ - الفوائد على شرح اللباب .

٢٧ - كشف اللثام عن سيرة ابن هشام .

٢٨ - المحيط (فى مجلدين) .

٢٩ - مختصر تاريخ دمشق الكبير ، لابن عساكر .

٣٠ - مختصر عقد الجمان (فى ثمانية مجلدات) ولعله المسمى تاريخ البدر فى أوصاف أهل العصر .

٣١ - مختصر مختصر عقد الجمان (فى ثلاثة مجلدات) .

٣٢ - مختصر وفيات الأعيان ، لابن خلكان .

٣٣ - مشارح الصدور فى الخطب - فى ثمانية مجلدات .

٣٤ - معجم الشيوخ (فى مجلدين) .

٣٥ - مقدمة فى التصريف .

٣٦ - مقدمة فى العروض .

٣٧ - النوادر .

٣٨ - الوسيط فى مختصر المحيط (فى مجلدين) .

مكانته العلمية :

ولاشك فى أن هذا التراث الذى خلفه لنا البدر العينى يعطى فكرة واضحة عن القيمة العلمية التى كانت له فى عصره ، ومدى ما كان يتمتع به من سعة الاطلاع ، والمقدرة الفائقة فى البحث والتنقيب ، والبسط والإيضاح ، والتلخيص والاختصار .

ولقد أثنى عليه كثير من العلماء ممن عاصروه أو جاءوا بعده :

فقال أبو المعالى الحسينى فى كتابه «غاية الأمانى» :

إنه شيخ العصر ، وأستاذ الدهر ، ومحدث زمانه المتفرد بالرواية والدراية .

وقال أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى فى «المنهل الصافى» : كان بارعاً

فى عدة علوم ، مفتياً ، كثير الاطلاع ، واسع الباع فى المعقول والمنقول ، لا يستنقصه إلا متغرض : قل أن يذكر علم إلا له فيه مشاركة جيدة .

وقال السخاوى فى « التبر المسبوك » :

كان إماماً عالماً علامة ، حافظاً للتاريخ واللغة ، كثير الاستعمال لها ، مشاركاً فى الفنون ، لا يمل من المطالعة والكتابة .

وقال فيه الشمس محمد بن الحسن النواجى الشافعى :

لقد حزت يا قاضى القضاة مناقبا يقصر عنها منطقى وبيانى
وأثنى عليك الناس شرقاً ومغربا فلا زلت محموداً بكل لسان

هذا وكل من ترجم له من المؤرخين وصفه بالأمانة وسعة العلم والبراعة ، وحدة الذكاء فى حل المشكلات ، وكثرة التصنيف ، ولكن عاب عليه السخاوى أنه قد يسقط بعض الأسماء لسرعة قلمه ، كما قد يتصحف بعض الكلمات ، ودافع عنه تقى الدين التميمى فى طبقاته قائلا : ليس هذا فى شأن العينى مما يعاب ، بالنظر إلى كثرة مؤلفاته التى لو كتبها السخاوى من الأصول الصحيحة المقابلة المضبوطة لوقع فى خطه ما لم يحصر من هذا القبيل ، وكتابه « الضوء اللامع » — الذى عليه خطه ، وقع فيه ما لا يحصى من هذا النوع ، فإن الإنسان محل النسيان والقلم ليس بمعصوم من الطغيان ، فكيف بمن جمعها من أماكنها المتفرقة ، وضم شواردها المتحرفة ، وليس كل كتاب ينقل منه المصنف ويروى عنه مبرأ من السقم ، سالماً من العيب ، محفوظاً له عن ظهر الغيب حتى يلام على خطئه ويؤاخذ على تقصيره ، وقد وقفت على كتاب البدر الزركشى — وما أدراك ما الزركشى — بخطه سماه : « عقود الجمان » لم تخل منه صفحة عن تصحيف ولاحروف ورقة منه عن تحريف ، وكان هو أيضاً كالبدر العينى فى سرعة الكتابة ، ولو روجع كل منهما فيما وقع من ذلك لعلم صوابه من خطئه ، وصحته من سقمه بأدنى لمحة منه ؛ ولكنه حمله على ذلك التعصب الذى تلقاه عن شيخه الحافظ بن حجر فى حق البدر العينى .

وكان البدر إلى جانب نثره يقول الشعر : وقد قال أبو المحاسن بن تغرى بردى فى شأنهما : إنهما ليسا بقدر علمه ، وقال السخاوى : وله نظم كثير فيه المقبول وغيره ، وقال الجلال السيوطى : ونظمه منحط للغاية .

هذا ولو قيل إن نثر العينى فى كتب الفقه والحديث والنحو والتاريخ لا يقل

عن نثر غيره ممن كتبوا فى هذه الفنون ، وأن نثره الأدبى أقل جودة من نثر غيره ، وأن نظمه من قبيل شعر الفقهاء فيه ما يقبل وفيه ما لا يقبل لكان ذلك صواباً .

صلة البدر بمعاصريه من المؤرخين :

لقد اشتهر عصر البدر العينى (القرن التاسع الهجرى) بأنه ضم كثيراً من صفوة العلماء وخصوصاً من اشتغلوا بالتاريخ ، فكان منهم ابن خلدون صاحب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى النفوذ الأكبر . المعروف باسم تاريخ ابن خلدون .

وابن دقماق صاحب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، والجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، ونزهة الأنام فى تاريخ الإسلام .

والقلقشندى صاحب صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، وضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ، وقلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان .

وأحمد بن عقبة صاحب عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب .

والمقريزى صاحب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزى) وجواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط ، واتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، والسلوك لمعرفة دول الملوك ، والتاريخ الكبير المقفى ، وإغاثة الأمة بكشف الغمة .

وابن حجر العسقلانى صاحب رفع الإصر عن قضاة مصر ، والدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، وإنباء الغمر بأنباء العمر .

وابن الجيعان صاحب التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية .

وخليل بن شاهين الظاهرى صاحب زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك .

وأبوالمحاسن بن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، والمنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، وحوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور .

والسخاوى صاحب التبر المسبوك فى ذيل السلوك ، والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، وتناسق الدرر — ترجمة شيخ الإسلام بن حجر ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع — وهو وإن كانت وفاته فى السنة الثانية من القرن العاشر إلا أن إنتاجه العلمى كله كان فى القرن التاسع .

وتشير كتب التاريخ إلى أن البدر العينى لم يكن على وفاق مع كبار مؤرخى عصره وتعلل ذلك بحسدهم إياه على ما بلغه من مكانة سامية وحظوة لدى سلاطين المماليك ، وقد يكون هذا واضحا بالنسبة لعلاقته بالمقريزى — فقد رأينا أنه تبادل معه وظيفة الحسبة عدة مرات فى أيام الناصر فرج بن برقوق مما أوجد بينهما جفاء وخصومة . ولذا قال عنه البدر العينى فى ترجمته و كان مشتغلا بكتابة التاريخ وبضرب الرمل » وكذلك الحال بالنسبة لابن حجر حتى إنه عرض بالبدر — ساخراً — حينما هدمت إحدى متذنتى جامع المؤيد فقال :

لجـامع مولانا المؤيـد رونق	منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا	فليس على حسنى أضر من العينى

ويرد على ذلك البدر معرضاً أيضاً فيقول :

منارة كعروس الحسن إذ جليت	وهدمها بقضاء الله والقـدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط	ما آفة الهدم إلا خسة الحجر

ولما وقع الخلاف بين علماء الشافعية المتعصبين للهروى والمتعصبين للبلقينى ألقى بعضهم ورقة فى مجلس السلطان وكان فيها :

يأيهـا الملك المؤيـد دعـوة	من مخلص فى حبه لك ينصح
انظر لحال الشافعية نظـرة	فالقاضيان كلاهما لا يصلـح
هذا أقاربه عقارب وابنـه	وأخ وصهر فعلهم مستقبـح
غطوا محاسـنه بقبح صنيعهم	ومتى دعاهم للهدى لا يفلـح
وأخو هراة بسيرة اللنك اقتدى	فله سهام فى الجوارح تجـرح
لا درسه يقرا ولا أحكامـه	تدرى ولا حين الخطابة يفصح
فافرج هموم المسلمين بثالث	فعسى فسـاد منهم يستصلح

وقد نسبت هذه الأبيات إلى شعبان بن محمد بن داود الآثارى ، ونسبها بعضهم إلى ابن حجة ، ونسبها بعضهم إلى شاعر من جهة القاضى بهاء الدين المناوى الشافعى . كما نسبهم بعضهم إلى شهاب الدين بن حجر . ويقول البدر العينى ، والظاهر أنه هو (عقد الجمان ٦٨ : ٤٦١ ، ٤٦٢)

وغير ذلك لم يشتهر اللهم إلا ما كان بينه وبين ناصر الدين بن البارزى — كاتب السر — من عداء مستحكم بسبب عمله المستمر على الوقيعة بين السلطان المؤيد شيخ — وبين البدر العينى ؛ فإنه كان يكره أن يرى غيره قريباً من السلطان . وقد أشار البدر إلى ذلك فى عقد الجمان (٦٨ : ٤٢٢) .

كتاب السيف المهند ومنهج تصنيفه

عنوان هذا الكتاب سيرة الملك المؤيد ولكن دور المؤيد فى أكثر فصوله لايعدو أن يكون مدخلا لعديد من الدراسات (لا يمكن أن يضمها كتاب واحد اللهم إلا لو كان من المطولات التى يقال بشأنها دوائر معارف أو جمهرات). وشخصية السلطان المؤيد تبدو فيه على مسافات متباعدة يطول فيها الكلام فى موضوعات ربما يشعر القارىء وهو يقرؤها أنها بعيدة كل البعد عن حياة هذا السلطان، ثم تحين الفرصة لتظهر شخصيته كرابط بين الموضوعات.

ولهذا فقد صدرت المخطوطة بمكتبة باريس بنبذة فرنسية جاء فيها ما ترجمته :

« ومؤلفه بدر الدين العينى، يبتعد فى كل لحظة عن موضوعه، فإذا أراد أن يعلمنا بأن المؤيد من أصل تركى فهويبدأ بخلق العالم، وخلق الملائكة والناس والجن وأولاد نوح.

ولكى يقول لنا إن المؤيد كان يلقب بأبى النصر فإنه يذكر عدداً كبيراً من الملوك والسلاطين والوزراء الذين اتخذوا ألقاباً.

وبعد عبارات مضطربة من نفس الطبيعة يدخل فى الموضوع ؛ وذلك فى الفصل التاسع قبل النهاية بأربع عشرة صفحة ليقول إن المؤيد ملك مصر فى سنة ٨١٥ هجرية ».

ولعل الغرض الذى أشار إليه العينى فى مقدمته للكتاب - وهو أنه أراد أن يتحف السلطان الملك المؤيد بشىء يقربه إليه فوجد أن أنسب إتحاف هو جمع كتاب يحتوى على سيرته - هو الذى دفعه إلى جمع هذا الشتات من الدراسات وأن يقحم المؤيد عليها أو يقحمها على المؤيد وبذلك يتيسر له إنجاز تحفته فى وقت يسمح له بتقديمها إليه، أوقراءتها عليه كما أشار هو إلى ذلك، وليؤكد الخصوصية التى كان يتمتع بها عنده. فقد قيل بأن البدر العينى كان خصيصاً بالسلطان وكان يقضى معه أربع ليال فى الأسبوع إذا كان نازلا بالقصر. وأنه استمر على ذلك حتى توفى السلطان (عقد الجمان ٦٨ : ٤٢٢).

وإذا استعرضنا الكتاب نجده يشتمل على مقدمة فى مديح السلطان المؤيد شيخ المحمودى تجمع بين النظم والنثر، وبها بعض عبارات باللغة الفارسية ختمها المؤلف بأنه أراد أن يتحف السلطان - لأن العادة قد جرت قديماً وحديثاً بالإتحاف للملوك

والسلاطين بما يسر الله لكل أحد من المقدرة والتمكين — وأنه رأى أن من المناسب لذلك جمع كتاب يحتوى سيرته وأحوال دولته ، وجعله على عشرة أبواب :

الباب الأول :

فى أصل المؤيد شيخ المحمودى . وجنسه ، وقد بدأه بالحديث عن خلق الله للكون ، وما فيه من ملائكة وجن وإنس ، وعن أولاد آدم ومن نسل منهم من القبائل والأجناس ، حتى وصل إلى قبيلة « كرمون » التى تولدت من بين الجركس والعرب وهى التى ينتسب إليها الملك المؤيد شيخ المحمودى .

الباب الثانى :

فى اسمه وما يدل عليه ، وما تدل عليه حروفه ، فتحدث فيه عن كلمة شيخ ، ومواضعها فى القرآن الكريم ، ومعانيها فيه وفى لغة العرب ، وتعرض لطابقة الاسم للمسمى ، وأن وضع الأسماء بالإلهام لحكمة إلهية ، ثم ذكر أسباب تسمية آدم وأبنائه وأبنائهم الأنبياء ، وبعد ذكر مناسبة تسمية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر أن المؤيد شيخا قد انفرد بهذا الاسم دون سلاطين الترك الذين تولوا السلطنة فى الديار المصرية ، وتحدث عن ولاية الخلفاء الراشدين وما جرى لهم ، ثم تحدث عن أحوال سلاطين الأتراك بالديار المصرية من أول المعز أيبك التركمانى حتى الظاهر برقوق وما صادفهم من الفتن والإحن من أتباعهم . ثم تحدث عن أصالة نسب شيخ المحمودى بالنسبة لهم بعد أن ذكر تاريخ نسبهم ، وبين أنه يشترك معهم فى أحسن صفاتهم ويزيد عليهم . وتحدث عن أسرار اسمه بالنسبة للنجوم والبروج ، وأن نجمه تاسع البروج كما أنه تاسع السلاطين الجلوبين ، ورسم صفاته وأحواله — كما يقول نجمه — بالنسبة للصحة والمرض والأقارب والأولاد والزوجات والأسفار والحساد والأعداء ، وما يوافقه من الأمور وما ينبغى له أن يفعله . ثم تحدث عمن يشترك معه من الأنبياء فى حروف اسمه .

الباب الثالث :

فى كنيته وما تدل عليه ومن تكنى بها من الملوك . فكنية الظاهر بيبرس (أبوسعيد) تدل على سعده وفتوحاته ، كذلك أبو النصر كنية شيخ المحمودى تدل على أن النصر أصبح جزءا منه . ثم أورد آيات القرآن الكريم التى تشتمل على النصر وما اشتق منه . ثم أورد ذكر من تكنى بأبى النصر من السلاطين والملوك والوزراء والعلماء والشعراء .

الباب الرابع :

فى لقبه وما يدل عليه ، ومن تلقب به من الملوك . فتحدث عن لفظ المؤيد لقب شيخ المحمودى ، وعن لقب أبى بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلى بن أبى طالب . ثم ألقاب خلفاء بنى أمية ، وخلفاء بنى العباس ، وخلفاء الفاطميين ، وبنى بويه ، وسلاطين الأيوبيين وسلاطين الترك . ثم أورد آيات القرآن الكريم التى تشتمل على التأييد وما يشتق منه ، ومن لقب بالمؤيد من ملوك الآفاق ، واستطرد فى ذكر ملوك اليمن من بنى رسول ـ ثم تحدث عن لفظ السلطان ومواضع وروده فى القرآن ومعناه ، وأن كل من ملك مصر منذ الأيوبيين يسمى سلطانا ، واستعرض ألقاب ملوك الدول الأخرى ثم قدم رسما فنياً لشجرة النسب من آدم حتى نبينا محمد عليه السلام .

الباب الخامس :

فى كونه تاسع السلاطين الترك الذين جلبوا إلى مصر فاستعرض تاريخ هؤلاء السلاطين المجلوبين ورأى أن يتحدث عن تسع دول عظام قبل الإسلام وتسع دول عظام بعده . ووجد فى كل دولة منها تسعة من الملوك العظام الكبار ، وأن التاسع منهم فى كل دولة هو أحسنهم وأكثرهم خيراً ، وأبسطهم عدلا ، وأشدهم قوة ، وأعلاهم منزلة ، وأكثرهم أمنا فى عسكره وبلاده ورعيته ، ومثلهم السلطان المؤيد فى كونه تاسع الأتراك المجلوبين .

أما الدول التسع العظام التى قبل الإسلام فهى : الأكاسرة ، والقياصرة ، والتبابعة ، والفراعنة ، والبطالسة ، والنماردة ، والقحاطنة ، والعدنانة ، والمناذرة .

وأما الدول التسع العظام التى بعد الإسلام فهى :

دولة بنى أمية ، ودولة بنى العباس ، ودولة الفاطميين ، ودولة بنى بويه ، ودولة السلاجقة ، ودولة الجنكزية ، ودولة الأغالبة ، ودولة بنى أيوب ، ودولة الترك بالديار المصرية .

ويعتبر هذا الباب تاريخاً دقيقاً فى اختصار مقصود غير مخل لثمانى عشرة دولة .

الباب السادس :

فى استحقاق شيخ المحمودى للسلطنة وقسمه إلى عشرة فصول :

الأول : فى استحقاقه من حيث السن ، فإنه تولى بعد الأربعين ، وهى وقت كمال العقل ، ووفور الرأى ، وفرصة الإنابة والرجوع إلى الله ، وهى سن بلوغ الرشد المقصود فى قوله تعالى «حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة» ـ واستعرض سلاطين الترك الذين تولوا السلطنة صغاراً وما جرى عليهم من المحن ؛

الثانى : فى استحقاقه من حيث الشجاعة والقوة ، لأنها صفات ينتظم بها الناس ، وتستقيم أحوالهم وتأمن بها البلاد . وتعرض لشجاعة الرسول عليه السلام ونصره بالرعب ، وأثر رسله إلى الملوك الذين أرسلوا إليهم ، وتعرض لشجاعة الخلفاء والصحابة الذين انتصر بهم الإسلام .

الثالث : فى استحقاقه من حيث الفروسية ، ومنها اللعب بالرمح ، والرمى بالسهام ، وتحدث عن أصل الرمح وأصل الرمى ، وأصوله ، ونهايته ، وفنونه ، وأفضليته ، وشهرة المؤيد فى ذلك .

الرابع : فى استحقاقه من حيث حسن الصورة والقامة والبسطة فى الجسم ، وتحدث عن مدى تأثير تلك الصفات فى الرعية ، وتعرض لجمال يوسف عليه السلام ، وأثره فى قومه .

الخامس : فى استحقاقه من حيث معرفته بأحوال الرعية من العرب والعجم والترك والتركمان . وتحدث عن أثر ذلك فى الرعية ، وبين معرفة المؤيد بأحوال مصر والشام والبلاد الحلبية قبل ولاية السلطنة ، وذلك لأنه تولى كثيراً من الوظائف بها .

السادس : فى استحقاقه من حيث المعرفة والذوق بأمور الشرع والسياسة وتقدم الحكم له ، واستعرض ما تحلى به المؤيد من تلك الصفات ، وعدد وظائفه فى أيام الناصر فرج بن برقوق ،وأسر تيمورلنك له ، ثم فراره وعوده إلى مصر ، ثم خروجه على السلطان فرج ومعه جماعة من الأمراء مرة بعد أخرى ، واستمرار النضال بينهم إلى أن انتصر المؤيد ومن معه على السلطان .

السابع : فى استحقاقه من حيث الباعث عنده إلى نشر العدل والحلم والعفو والصفح ، وتحدث عن أثر تلك الصفات فى الرعية . واستعرض بعض الأحداث التى جرت مع المؤيد ، والتى تدل على اتصافه بتلك الصفات .

الثامن : فى استحقاقه من حيث الفضل والكرم والإحسان إلى أهل العلم والغرباء ، واستعرض أخبار المؤيد فى ذلك .

التاسع : فى استحقاقه من حيث قربه من الناس وتواضعه واختلاطه بهم وخصوصاً بالعلماء والفقراء ، وأثر ذلك فى الرعية .

العاشر : فى استحقاقه من حيث تعينه للسلطنة لانفراده فى زمنه لعدم وجود من يدانيه ، وقرر أن الشخص إذا انفرد بأوصاف ، وتعين بها لاستحقاقه للوظيفة ، يجب عليه أن يقبلها ، ويأثم إذا رفضها .

والمؤيد شيخ تعين للوظيفة لوجود شروط السلطنة فيه .

الباب السابع :

فيما ينبغي له أن يفعل وما لا ينبغي ، وهو بمثابة توجيه وعظي إلى معرفة قدر الولاية ، وعظم شأنها ، والبعد عن الظلم ، ومحبة العلماء ، والعدل فى القضاء ، وعدم احتقار أرباب الحوائج ، وعدم الاشتغال بالشهوات ، ومعرفة أمور الرعية قليلها وكثيرها ، واحترام الصالحين ، والمسارعة فى طلب نصيحة العارفين ، والإثابة على الفعل الجميل ، وعقاب المفسدين ، وتتبع أحوال نوابه وأخبارهم ، والتحلى بالسياسة ، وأن يجعل وزيره الرأى ، ونديمه التدبر ، والإكثار من قراءة الأخبار ، وحفظ سير الملوك ، وترك الغفلة والإهمال ، وأن يقضى يومه فى الطاعة ، والنظر فى أمور السلطنة ، وإنصاف المظلومين ، والجلوس مع العلماء والعقلاء وأرباب الآراء ، وأن يتجنب مجالس اللهو والمغانى والمنكرات .

الباب الثامن :

فيمن يوليه على خواص نفسه وعلى الرعية ، وهو توجيه إلى التحرى فى اختيار الحاشية ، وألا يولى السلطان الوظائف إلا من هو أهل لها ، وعرض بعض الأخبار الخاصة بالأنبياء والملوك فى ذلك .

الباب التاسع :

فى بيان تاريخ سلطنة المؤيد شيخ المحمودى ، وما يدل عليه هذا التاريخ ، وتحدث عن دخول المؤيد مصر بعد هزيمة الناصر فرج بن برقوق وقتله ، وتفويضه سائر الأمور من قبل الخليفة السلطان المستعين العباسى ، ثم خلعه للمستعين وولايته السلطنة فى مستهل شعبان سنة ٨١٥ هجرية .

الباب العاشر :

فى الحوادث والأمور التى وقعت فى أيامه ، وقد استعرض أخبار الدولة المؤيدة سنة بعد سنة ، معرضاً عن ذكر الوفيات إلا ما ندر ، وانتهى الكتاب بأخبار يوم الاثنين الثامن من جمادى الأولى من السنة التاسعة عشرة بعد الثمانمائة .

هذا ومن المعلوم أن المؤيد قد توفى يوم الاثنين الثامن من المحرم سنة ٨٢٤ من الهجرة — وبذلك لم يشتمل هذا الكتاب على جميع سيرته وأخبار دولته . ولعل السر فى ذلك هو ما أشرت إليه فى أول هذه المقدمة .

نسخة الكتاب

لا يوجد من هذا الكتاب سوى مخطوطة واحدة بمكتبة باريس برقم (عرب ٦٨٥ مجلد ٦٠) وتوجد منها صورة فوتوغرافية بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٥ تاريخ ، وتقع فى مئتين لوحة كل لوحة تمثل صفحتين وتتكون الصفحة من خمسة وعشرين سطراً . وخطها دقيق متوسط الجودة كلماته غير تامة النقط .

ولا يمكن القطع بأن هذه النسخة من خط المؤلف ، وذلك لكثرة الأخطاء الواردة بها والتى لا يقع فى مثلها عالم من طراز البدر العينى .

والنسخة مشوهة فى لوحتها الأولى وكذلك لوحتها الأخيرة حيث دون عليها أحد العابثين قصيدة لا تمت إلى المؤيد شيخ المحمودى بصلة .

وإذا كان البدر العينى شارك معاصريه وغيرهم من المؤرخين فى تصنيف التاريخ وتدوينه فإنه انفرد عنهم بقربه من السلاطين مع طول العمر . وألف مثلهم كتابه عقد الجمان وانفرد عنهم بتأليفه ثلاثة كتب فى سير المؤيد شيخ والظاهر ططر والأشرف برسباى .

وحقق كتاب الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر (ططر) ونشر مرتين . وهو صورة مصغرة من كتابنا هذا يتفق معه فى المنهج وطول المقدمات وعناوين الفصول والأبواب وطريقة العرض .

أما سيرة برسباى فإنه لم يعثر عليها .

* * *

وبعد فقد سبق أن بينت أن البدر العينى وقف فى هذا الكتاب عند أخبار الثامن من جمادى الأولى من السنة التاسعة عشرة بعد الثمانمائة . أى أنه لم يتم تاريخ السلطان المؤيد شيخ . ولكن البدر العينى فى كتابه عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان وصل فيه بالتاريخ إلى سنة ٨٥٠ هجرية وبذلك تيسر لى أن أتمم تاريخ المؤيد معتمداً على كتب المؤلف نفسه دون حاجة إلى الرجوع إلى كتب المؤرخين الآخرين .

ولقد عن لى أن أحقق الجزء الخاص ببقية حياة المؤيد شيخ من كتاب عقد الجمان وألحقه بهذا الكتاب إتماما للفائدة . ولكن رؤى الإبقاء على كتاب السيف المهند

بصورته ، وإخراجه كما هو دون ملاحق ـ ولم أملك أمام هذا الرأى إلا الامتثال مستعيضاً عن ذلك بتضمين المقدمة أهم الأحداث التى وقعت فى السنوات الباقية من حياة المؤيد .

فنى السنة التاسعة عشرة بعد الثمانمائة وقع غلاء شديد فى الأسعار ، وقلت الحبوب المجلوبة إلى العاصمة ، وشحت الأقوات ـ ولم يقف المؤيد من ذلك موقفاً سلبياً بل أسرع إلى التبرع بمبلغ كبير من المال ، فرقه فى الجوامع والمدارس والخوانق ، كما أمر بتفريق كمية كبيرة من الخبز على المحتاجين ، فكان يفرق كل يوم ستة آلاف رطل من الخبز . واستمر على ذلك مقدار شهرين حتى خفت وطأة الغلاء .

وقد صاحب ذلك فناء عظيم بالديار المصرية ابتدأ فى فصل الربيع من ذلك العام نتيجة لانتشار وباء الطاعون . وكان يموت فى القاهرة وحدها فى أول أمر الوباء كل يوم حوالى مائة نفس ، ثم تفاقم الخطب فزاد عدد الموتى كل يوم إلى مائتين ، ثم إلى أربعمائة ، ثم إلى ألف ، وانتشر الوباء أيضاً بصعيد مصر والوجه البحرى فكان له ضحايا كثيرون .

كذلك كان الفناء العظيم بالشام وبخاصة بطرابلس . كما كان بفارس وبلاد العجم .

وفى هذا العام . لاحظ السلطان المؤيد كثرة النواب لقضاة الشرع الأربعة حتى وصلت عدتهم إلى مائتى نائب . فأمر القضاة بعزل نوابهم . ثم قرر للقاضى الشافعى عشرة نواب وللقاضى الحنفى عشرة نواب وللقاضى المالكى خمسة نواب وللقاضى الحنبلى أربعة نواب . ولكنه بمسعى من كاتب السر ابن البارزى أعاد أكثرهم إلى النيابة .

وفى هذا العام قام عربان الصعيد بحركة مناوئة للمؤيد شيخ وحكومته وامتدت هذه الحركة إلى عربان الوجه البحرى ، وأخذت صورة التمرد على السلطة ، فجرد المؤيد حملتين إحداهما اتجهت إلى الصعيد والأخرى اتجهت إلى الوجه البحرى ، وقامتا بحملة تأديب شاملة وصلت إلى درجة الإبادة .

وتعرضت مدينة الإسكندرية فى هذا العام لهجوم مفاجىء من أسطول الفرنج ولكن هذا الهجوم لم يطل حيث انصرف الفرنج عائدين من حيث أتوا بعد أن غنموا بعض الغنائم وأسروا بعض الأسرى ، وذلك قبل أن يلتقوا بجنود السلطان ، أومع ذلك الجيش الجرار من المتطوعين ـ جهاداً فى سبيل الله ـ تحت قيادة العارف بالله الشيخ زين الدين أبى هريرة بن النقاش .

السنة العشرون بعد الثمانمائة :

خرج السلطان المؤيد فى هذه السنة إلى بلاد الشام بجيش عظيم لتأديب النواب والأمراء الخارجين عليه فى شمال سوريا ، وما يدخل فى سلطته من بلاد الروم وقلاعها . وصحب معه ابنه الشاب الأمير إبراهيم وقضى بالشام ثمانية أشهر ، أكد فيها قوته وسيطرته على بلاد مملكته ، وقرر فيها النواب فى القلاع والبلاد ، وعزل وولى ، وأطلق وسجن . ثم عاد إلى القاهرة بعد أن حقق هدفه من هذه الحملة التأديبية .

وفى أخريات هذه السنة انخفض سعر عامة المبيعات من الغلال ونحوها ، وخفت وطأة الغلاء بالديار المصرية ، وجادت الزروع وزكت ونمت ، فتراخى السعر وصلحت الأحوال .

واهتم السلطان بأمر العملة ، فحدد سعر الدينار من الذهب المصرى والدينار الإفرنجى ، وجمع الفلوس من الأسواق فى شبه وسيلة من وسائل إصلاح العملة والنقد بالبلاد .

وشهد هذا العام ثورة محلية بدمياط ، قام بها الشعب ضد واليها ناصر الدين محمد السراخورى ، الذى اتصف بسوء السيرة والظلم والتسلط ، وخصوصاً مع صيادى السمك ببحيرة تنيس ، وانتهت هذه الثورة بالقبض على ذلك الوالى ثم قتله حرقاً بالنار .

وفى هذه السنة أقيمت الجمعة بمسجد المؤيد قبل أن يكتمل بناؤه ، وفى أخرياتها مالت إحدى مئذنتيه فهدمت .

السنة الحادية والعشرون بعد الثمانمائة :

استمر اهتمام السلطان فى هذه السنة بإصلاح العملة المتداولة عن طريق تخفيض قيمتها ، فضج الناس وكثر اضطرابهم ، فلم يلتفت السلطان إليهم ، ولكن أعقب ذلك بأن أمر بتخفيض الأسعار فى المبيعات بقدر ما خفض من قيمة العملة ، ووحد العملة فى الدراهم المؤيدية ، بحيث تكون هى المتداولة فقط فى البيع والشراء ، ومن ذلك اليوم صار النداء فى الأسواق بالدراهم الفضية المؤيدية ، وأبطل النداء بالذهب والفلوس ، كما حذر من التعامل بالدينار الأفرنجى إذا كان ناقصاً ، وذلك لأن بعض التجار كانوا يبردونه وينقصونه ، فعالج ذلك بهذا التحذير .

وعزم السلطان فى هذا العام على الحج إلى بيت الله الحرام ، وتجهز له ، ولكن

ما بلغه عن قيام قرا يوسف بحركة غزو لبعض البلاد الشامية — وهو يطارد عدوه قرا أيلك الذى لجأ إلى حلب — جعله يعدل عن الحج ، ويستعد للتوجه إلى الشام لحماية بلاده من قرا يوسف ، وفى أثناء ذلك وصلته رسالة من قرا يوسف يخبره بأنه ما كان يقصد الإغارة على بلاد السلطان ، وإنما كان ذلك خارجاً عن إرادته ؛ ولولا ما فعله قرا أيلك لما وقع ، وعتب على السلطان أنه يبسط حمايته على عدوه قرا أيلك ، وحذره من صداقته .

وفى هذه السنة تعرضت البلاد المصرية لحملة إرهابية قام بها الأمير فخر الدين الاستادار ؛ جمع من ورائها أموالا طائلة من دافعى الضرائب وخصوصاً من زراع ورعاة الوجه القبلى .

ولم يصل فيضان النيل فى هذه السنة إلى حده المعتاد ، ومع ذلك فإنه تراجع ونقص وأسرع فى الهبوط ؛ فارتفع سعر الغلال ، وبادر كثير من الناس إلى الزرع قبل أوانه ، فصادف الحر الشديد والسموم ، ففسد أكثره بأكل الدود ، وارتفعت الأسعار فى القمح والفول والبرسيم ؛ ثم قل الخبز فى الأسواق .

السنة الثانية والعشرون بعد الثمانمائة :

وفيها خرج الأمير إبراهيم ابن السلطان المؤيد على رأس جيش مصرى وبصحبته عدد من الأمراء متجهين إلى بلاد الروم التى كان يحكمها على بك ومحمد بك أبناء علاء الدين بن قرمان ؛ وذلك لأنه حدث خلاف بين الشقيقين فهرب على بك إلى مصر واستجار بالسلطان المؤيد ؛ فأكرمه وهب لنجدته ، كما أن محمد بك بن قرمان تعدى على بلاد السلطان . وأخذ مدينة طرسوس ، وأسر نائب السلطان بها ، وتوجه العسكر المصرى ، ورافقه العسكر الشامى ، وأوقع بمحمد بك وابنه مصطفى بك ، فقتل الثانى وأسر الأول ، واستقرت الأمور ببلاد الروم تحت حكم على بك بن قرمان نائبا عن السلطان ، وخطب فيها باسم المؤيد ، وضربت سكتها باسمه أيضاً ، ثم عاد الأمير إبراهيم وجيشه إلى القاهرة فى التاسع والعشرين من رمضان من هذه السنة .

وفيها أيضاً أرسلت حملة إلى الصعيد ؛ فأوقعت بالعربان من أهل هوارة ، واستحوذت على أموالهم وما يملكونه من الحيوانات .

وفى يوم الجمعة الحادى والعشرين من شوال من هذه السنة كانت أول جمعة تقام فى مسجد السلطان المؤيد — بعد تمامه — . واهتم السلطان فى هذه السنة بعدة إصلاحات اجتماعية ، فأبطل بعض العادات التى لا تتفق وتعاليم الإسلام ؛ فهدم أماكن الفساد ، وأراق

الخمور ، ومنع النساء من النوح والصياح فى الأماكن العامة . واهتم اهتماماً شديداً بأحوال المسلمين فى الأقطار الأخرى، ولفت النظر إلى ضرورة معاملتهم معاملة حسنة .

وفى هذه السنة استشرى وباء الطاعون فى البلاد ، وكثر الموت ، فذعر الناس ، فأمر السلطان أن ينادى فى الناس بصيام ثلاثة أيام فصاموها ، ثم خرجوا إلى الصحراء وعلى رأسهم الفقراء والعلماء والمشايخ والقضاة ، والوزير وكبار رجال الدولة ، ولحقهم السلطان لابساً ثياباً من صوف بسيط خشن ، ولجأ الجميع إلى الله بالدعاء ، وبكوا واستمر ذلك وقتا طويلا ، ثم نحرت الذبائح والقرابين ووزعت على الجوامع والزوايا والفقراء ، كما وزع من الخبز ثلاثون ألف رغيف ، واستمر الناس فى الدعاء إلى أن اشتد حر النهار . فانصرفوا ، فيسر الله عقيب ذلك رفع البلاء .

وفى شعبان من هذه السنة سطا الفرنج على رأس القديس منصور أحد من كتب الأناجيل الأربعة ، وكانت موضوعة فى مكان أمين بالإسكندرية ، وكانت لا تتم البطرقية لقسيس من اليعاقبة إلا بعد أن توضع هذه الرأس فى حجره ، ولذلك فقد استعظموا ذلك ورفعوا شكواهم للسلطان .

السنة الثالثة والعشرون بعد الثمانمائة :

وفيها أوفد السلطان مؤلف هذا الكتاب البدر العينى إلى بلاد الروم ومعه خلعه للأمير على بك بن قرمان ، ولكى يكشف هذه البلاد ، وينقل أخبارها للسلطان ، فلما وصل إلى مدينة «قونية» عاصمة بلاد ابن قرمان وجد على بك محاصراً لقلعتها ، وقد تحصن بها منتقر مملوك محمد بك بن قرمان ، ورفض تسليمها ، وآخر الأمر لم يستطع على بك الاستيلاء عليها وهرب ، ووقع البدر العينى ورفقاؤه فى يدى منتقر هذا ، فأكرمهم وأهدى إليهم ، ثم أذن لهم فى السفر ، فعاد البدر العينى إلى القاهرة ، وأخبر السلطان بما جرى .

ومن حوادث هذه السنة وفاة الأمير إبراهيم ابن السلطان المؤيد ، ويقول فى ذلك البدر العينى (عقد الجمان ٦٨ : ٤٨٩) : وفى هذه الأيام بلغ كاتب السر ابن البارزى أن سيدى إبراهيم ابن السلطان يتوعده بالقتل ، وأنه إذا ظفر به لا يشرب عليه الماء ، فشرع كاتب السر عند السلطان بالحط عليه بالطريقة . ويذكر عنده أشياء موهمة ، توهم منها السلطان ، ضمن ذلك قال له : إنه يتمنى موتك ، ويعد الأمراء عواعيد ، وأنه يعشق بعض حظاياك ، فلأجل ذلك يتمنى موتك ، ورتب له على ذلك أمارات وعلامات . إلى أن بغض السلطان ولده ، وأحب الراحة منه ، ورتبوا له

أموراً ، وحسنوا له أن يقتله بالسم أو بغيره إن لم يمت من مرضه — فإنه كان ضعيفاً — فأذن لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سبباً لقتله من غير إسراع ، ودسوا عليه من سقاه من الماء الذى يطفى فيه الحديد [الزرنيخ] فلما شربه أحس بالمغص فى جوفه ، فعالجه الأطباء مدة ، وندم السلطان على مافرط منه ، وأمرهم بالمبالغة فى علاجه ، فلازموه نصف شهر إلى أن انفصل من مرضه قليلا ، فركب فى نصف الشهر إلى بيت زين الدين عبد الباسط بشاطىء النيل ، ثم ركب إلى الخروبية بالجيزة فأقام (٤٩٩) بها ، وكاد أن يتعافى ، فدسوا عليه من سقاه . ثانيا — بدون علم أبيه — فانتكس ، واستمر إلى آخر الشهر ، فتحول إلى الحجازية [دار بنتها خوند تتر الحجازية بنت الناصر قلاون بخط الجمالية] ثم حمل فى الثالث عشر من جمادى الآخرة إلى القلعة ، فمات ليلة الجمعة الخامس عشر منه ، فاشتد جزع السلطان عليه إلا أنه تجلد ، وأسف الناس كافة على فقده ، وكثر الترحم عليه ، وشاع بينهم أن أباه سمه ، ولم يعش أبوه بعده إلا سنة وستة أشهر وأيام (ا. هـ) .

وأشيع فى هذه السنة بأن قرا يوسف صمم على قصد البلاد الشامية ، فشرع السلطان فى التهيؤ للسفر إلى الشام لملاقاته ، وكتبت المحاضر فى القاهرة بكفر قرا يوسف وولده ، ثم نودى بالقتال معه ، ثم خرج الجيش المصرى متوجهاً إلى حلب ، فوصلها فى أول شوال من هذه السنة .

وابتدأ مرض الوفاة ينزل بالمؤيد ، فجمع القضاة والأمراء وأعيان المماليك ، وعهد بالسلطنة من بعده لابنه الصغير الأمير أحمد وعمره دون السنتين ، وأن يكون الأمير الكبير الطنبغا القرمشى أتابك العساكر نائبا عنه فى الحكم إلى حين صلاحيته ، وحلف الجميع على ذلك ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق . وجاءت الأخبار فى أخريات ذى القعدة من هذه السنة بوفاة قرا يوسف.

السنة الرابعة والعشرون بعد الثمانمائة :

وفى يوم الاثنين الثامن من المحرم منها توفى السلطان المؤيد إلى رحمة الله قبل الظهر بنحو ساعة ، من مرض وجع المفاصل وعسر البول والإسهال والصداع ، وقد حاول كثير من الأطباء من مصر وغيرها علاجه ولكن لم يفد علاجهم شيئاً ، فجاء الأمر المحتوم الذى لايقدر على رده أحد ، ثم تولى السلطنة ابنه أحمد ، ثم شيعت جنازته فى قلة من الأمراء ، ودفن بالجامع المؤيدى بجنب ولده الأمير إبراهيم .

وأخيراً فهأنذا أقدم هذا الكتاب راجياً أن أكون قد وفقت فى تحقيقه ؛ وحل مغاليق ما أشكل من نصوصه ، بقدر ما استطعت وبقدر ما تيسرت لى المراجع ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القاهرة : الثلاثاء ٢١ من جمادى الأولى سنة ١٣٨٦ هـ
الموافق ٦ من سبتمبر سنة ١٩٦٦ م

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى نصب على عباده سُرَادقات العز والآن ، ومدَّ بين يدَيهم موائِد اللطف والإحسان ، وخفض رايَةَ أهلِ الظلم والفساد والطُّغيان ، ورفع دينه بنصب حِزْبه على سائر الأَديان ؛ ببعثة المؤيد مَلِكًا فى هذا العصر والزمان ، قامعًا للمفسدين ، حاكمًا بأَمر الفُرقان ، مقرونًا بالنصْر مُكَنًّى به بعيدًا عن الخذلان ، حاويًا لشروط السلطنة بالبيان والعَيَان ، وحماه بنصره ، وجعله فى عِزٍّ مُشيَّد الأَركان ، ووقاه من كل سوء ومن شر كل إنس وجان ، والصلاة على أشرف الخلق سيد بنى عدنان ، محمد المصطفى المختار المستأْثر بأَعظم برهان ، وعلى آله وأَصحابه الصادقين المخلصين فى الإيمان [لا] [1] سيّما أبى بكر وعمر وعثمان ، وعلى المرتضى الذى نَجَلَ منه الْحَسَنَانِ ، وعلى علماء كل عصر وَأَوَان ، ما كرّت الساعات وتجدد الْمَلَوَان .

وبعد : فإن العبدَ الفقير إلى رحمة ربه الغنىّ ، أبا محمد محمود بن أحمد العَيْنِىّ ، عامله الله ووالديه بلطفه الجلىّ والخفى يقول :

لَمّا منّ الله تعالى على عباده بإرسال مَلِك احتوى فضائل

---

(1) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الملوك ، ومكّنه من رقاب كل مالك ومملوك ، وجعله سلطان أحسن البقاع من الرُّبع المسكون ، أرض مصر والشام وما حوتا من السهول والحزون ، التى أشْرَفُها مكة المحرّسة ، والمدينة النبويّة والأرض المقدّسة ، فمن ملك هذا ملك زمام العرب والعجم ، وعلت يدُه على سائر البلاد والأمم ، وصار دستور أعاظم السلاطين وأكبرهم ، وقدوة سائر الملوك وأفخرهم ، وهذا هو الملك الذى تفتخر به ملوك الآفاق ،كالشمس تعلوجميع النَّيِّرَات فى الإشراق ، وينجر إليه الانقياد من كل دان وقاص[1] ، ومن كل مطيع وعَاص[2] ، فلا جرم ارتفعت بِرَايَاتِ عَلْيِهِ منارات المُلْك والدّين ، وانتشرت بأعلام فضله آيات الحق المبين ، وترفرق فى سرادقات عزه أنوار سعادته الأبدية ، وتحقق فى أطناب دولته مخايل مفخرته السّرمديّة ، وأزْهر فى حدائق ملكه أشجارُ العدل والإنصاف ، وأنور فى دقائق حكمه أغصانُ الحق من غير إجحاف ، وانخمدت لجلال هيبته نارُ الظلم والاعتساف ، وتفرقت بعظمة سطوته جموعُ المفسدين من كل أصناف ، وتبين بمكانِهِ فضيلةُ أرباب العمائم على أصحاب القلانس ، الذى اختاره الله لزماننا وأحيا بدولته الرسوم الدّوَارِس ، وانتبهت بنباهة عِزِّهِ لسادة قادة الحق الخُدُودُ النواعس ، السلطانُ الأعظم والإمام المعظم ، العالِم العادل ، الناهض الكامل ، معمارُ المساجد والمدارس ، ومخرِّبُ البيع والكنائس ، المحكم ذباب سيفه على

(١ ، ٢) فى الأصل : دانى وقاصى وعاصى ، وقد كثر مثل ذلك فيه وهو من خطأ الناسخ ولا يقع فى مثله عالم كالبدر العينى . وسيصير التصويب دون الإشارة إليه فى الهوامش.

الطلى والقوانس ، المقلد طلس الذئاب رعى بيضاء الكوانس ، المتهلل بأنوار سلطنته وجهُ الزمان العابس ، المُورِى قبَس العدل لكل متنوِّرٍ قابس ، المتلمظ بشكر أياديه كل جاهر وهامس ، المتفَيِّئ بظلال إقباله كل راج وآيس ، المرتدى فى حمى حمايته كل رطب ويابس . ٥

علت دولة الإسلام واهتز عــــودُه
وعاد إليــــه ماؤه وهــــــو يابس
وأشرق من أُفق الوعـــود سعـــوده
وساعدنا الدهـــر العنـود المـداحس[1]

*

تـأَيـــدت الأَحكام والشرع حينمـــا ١٠
تولى على مصر مليك مــــــؤيد[2]
أبو النَّصر كنَّاهُ إله خـــــلائق
فبين الورى من ذاك بشر مـــؤبد
فأَوْرَقَ غصن العـدل من بعد يُبْسِـــهِ
وأزهر نوْرُ الشرع قد كان يخمد ١٥
وقامت قنـــــاة الدين واشتـــد أَهْلُـه
وصار أخو خوف يعيش ويرغد[3]

(١) المداحس : المفسد ، والذى يدس بالشر من حيث لا يعلم (لسان العرب) .
(٢) انتقل المؤلف إلى قافية أخرى وليس هناك ما يدل على انتقاله من قصيدة إلى غيرها .
(٣) فى الأصل « وصار ذو خوف ويعيش ترغد » . وما أثبته يتفق والسياق . ٢٠

تزيّن كـــرسىٌّ لشرع محمّـــدٍ
عليه بساط العـــدل فرشٌ ممهد

مليك به أحيا الإله شريعـــة[1]
لها زمن بارت فصارت تجـــدد

فدولة ظلم قـــد تولت وولـــولت
وأصحاب ظلم قد أذِلُّـــوا وأُخْمِدُوا

همام وباسيـــل شجاع سميـــذع[2]
أسود الشرى منـــه تذل وتـــوطد

له غزوات مع فرنج بساحـــلٍ
بصيدا وبيروت بعـــز تُشيَّـــدُ

وآيات رحمات بقابيـــه أُنزلت
ومن سيفه الأَعـــدا تذوب وترعد

فمن حسن حُبِّيـــهِ لسنـــة أحمد
آثار طحاوىٍّ[3] تُساق وتسنـــدُ

كذاك بخـــارىٍّ بقصر سعـــادة
وبالجامع القرآنُ يُقْـــرَا ويُسْـــرد

---

(١) فى الأصل « مليك به الله قد أحيي شريعة » وما أثبته يتفق والوزن .

(٢) السميذع : السيد الموطأ الأكناف (لسان العرب) .

(٣) الصواب « آثار » بمد الألف . وقد خففت لضرورة الشعر ، والمراد هو كتاب « معانى الآثار » الذى ألفه رئيس فقهاء الحنفية أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلمة الأزدى الطحاوى المولود سنة ٢٣٩ هـ والمتوفى سنة ٣٢١ (الزركلى – الأعلام ١ : ٦٥ ط أولى .

فيارب صنه من ذوى المكر والـــرّدى

وأعلِ له سيــفا على من تَمَــرَّدُوا[1]

فدولتــه الغرّا تطـــول بِمَنِّــــه

وعسكره الزهـــرا تُطيـــع وتحمدُ

إيزدْ[2] تعالى أَطْنَابِ سُرَادِقَاتِ جَهَانْدَارِى ، وأَعْطَافِ أَذْيَالِ شَهْرِ بَارِى ، خُدَاوَنْدِ عَالَمْ ، بَادْشَاهِ بَنِينَ وَبَنَاتِ آدَمْ ، جَمْشِيدِ ثَانِى ، ظِلِّ يَزْدَانِى ، كَيْخُسرَوِ دَهْرْ ، أَفْرِيدُونِ عَصْرْ ، فَلَكْ قُدْرَت[3] مَلَكْ سِيَرت ، خُورْشِيدْ طَلْعَت ، مَاهْ بَهْجَت ، مُشْتَرى مَنْظَر ، عَطَارِد . . . .[4] مِرِّيخ هَيْبَت ، كَيْوَان[5] رِفْعَت ، ناشر العدل والإحسان ، باسط الأَمن والأَمان ، رَا بِأَوْتَادِ أَبَدِى ، وَبَأَمِيرِى سَرْمَدِى ، مؤكّد دَارَدْ ، وبِطِرَازِ بَادْشَاهِى ، مُطرَّز وَمُعَزَّز ، بالنّبىّ وآله .

---

(١) فى الأصل « وأعلى سيوفه على من تمرد » .

(٢) من هنا إلى قوله « معزز بالنبى وآله » عبارات فارسية مسجوعة : تفضل بترجمتها — مشكورا — الأستاذ نصر الله مبشر الطرازى رئيس الفهارس الشرقية بدار الكتب . والترجمة : وأيد الله أطناب سرادقات الملك ، وأعطاف أذيال السلطنة لسيد العالم — أى شيخ المحمودى — ملك أبناء وبنات آدم ، جمشيد الثانى ، ظل الله ، كيخسرو الدهر ، أفريدون العصر ، فلكى القدرة ، ملائكى السيرة . شمسى الطلعة ، قمرى البهجة ، مشترى المنظر ، عطاردى الجسم ، مريخى الهيبة ، كيوانى الرفعة ، ناشر العدل والإحسان ، باسط الأمن والأمان ، بأوتاد أبدية — وإمارات سرمدية ، مطرزة بطراز الملك ، ومعززة بالنبى وآله .

(٣) فى الأصل « قدرة وسيرة وبهجة وهيبة ورفعة » بتاءات مربوطة .. وقد صوبت وفقاً لرسم الإملاء الفارسى .

(٤) بياض فى الأصل ، ولعلها « بيكر » بمعنى الجسم وذلك اتباعاً للسجع وبها ينتظم المعنى .

(٥) كيوان : هو رئيس قبيلة بنى زهير بالخليج العربى ، وكان عزيز الجاه رفيع المنزلة : J. j. P. Des maisons : Dief. Jroecaus Francais, V :3 .

أَرَدْتُ أَنْ أُتْحِفَ حضرتَه السنيّة وخدمته البهية ، ليكون سَبَبًا لِنصْب خَفْضِ الحَالِ ، ورَفْعِ مَاجَزَم قَلْبِي مِنْ كَسْرِ البَال ، وجرّ ما يَعودُ إليه من السرور ، وإبدال ما فيه [٣] من الهَمّ والثّبور ، لأنّ العادة قد جرت قديمًا وحديثًا بالإتحاف للملوك والسلاطين ، بما يسّر الله لكل أحد من القدرة والتمكين ، فرأيت المناسب لذلك جمع كتاب يحتوى على سيرته الشريفة ، وأحوال دولته المنيفة ، مترجم بـ« السَّيْف المُهَنَّد فى سيرة الملك المؤيد » وجعلته على عشرة أبواب :

الباب الأول : فى أصله وجنسه .

الباب الثانى : فى اسمه وما تدل عليه حروفه .

الباب الثالث : فى كنيته وما تدل عليه ومن تكنى بها من الملوك.

الباب الرابع : فى لقبه وما يدل عليه ومن تلقب به من الملوك .

الباب الخامس : فى كونه تاسع السلاطين الترك الأفاقِيّين[1] وما فيه من البشارة له .

الباب السادس : فى استحقاقه السلطنة ، وهو مشتمل على عشرة فصول :

الأول : فى استحقاقه من حيث السّن .

الثانى : فى استحقاقه من حيث الشجاعة والقوة .

الثالث فى استحقاقه من [حيث][2] الفروسية ومعرفة أنداب الحرب ونحوها

(١) المراد بالأفاقيين : المجلوبين انظر ص ١٠٥ من هذا الكتاب .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل يقتضيها نسق السياق .

الرابع : فى استحقاقه من حيث حسن الصورة والقامة .

الخامس : فى استحقاقه من حيث المعرفة والخبرة بأحوال الرعية ، من العرب والعجم والتُرك والتركمان ، وأهل البلاد والأديان .

السادس : فى استحقاقه من حيث المعرفة والذَّوق من أُمور الشرع والسياسة ، وتقدُّم الحكم له . ٥

السابع : فى استحقاقه من حيث الباعث عنده إلى نشر العدل والحلم والعفو والصفح .

الثامن : فى استحقاقه من حيث الفضل والكرم والإحسان إلى أهل العلم والغُرباء ، وافتقاده المنقطعين . ١٠

التاسع : فى استحقاقه من حيث قربه من الناس ، وتواضعه واختلاطه بالعلماء والفقراء .

العاشر : فى استحقاقه من حيث تَعيّنه لمنصب السلطنة ؛ لانفراده فى زمنه ، لعدم من يُدَانيه أو يقاربه .

الباب السابع : فيما ينبغى له أن يفعل وما لايفعل . ١٥

الباب الثامن : فيمن يُوَليه على خواصّ نفسه وعلى الرعيّة .

الباب التاسع : فى بيان تاريخ سلطنته ومادل عليه تاريخه .

الباب العاشر : فى الحوادث والأُمور التى وقعت فى أيامه .

فها أنا أشرع فى بيانه مُسْتعينا بالملك الوهاب ، إنّه الميسّر لكل صعاب ، وإليه المرجع والمآب . ٢٠

البَابُ الأوَّل

في أَصلِهِ وَجِنسِهِ

اعلم أن الله تعالى خلق ثمانية عشر ألف عَالَم : الدنيا عَالَم منها ، والعُمْران فى الخراب كَفُسْطَاط فى البحر ، ومَيَّز من بينهم أربع طوائف وهم : الملائكة ، والإنس ، والجن ، والشياطين ، جعلهم عشرة أجزاء : تسعة الملائكة ، وجزء الإنس والجن والشياطين . ثم جعل هذه الثلاثة : عشرة أجزاء ، تسعة الشياطين ، وواحد الإنس والجن . ثم جعل هذين الصِّنْفَين عشرة أجزاء : تسعة الجن ، وواحد الإنس .

فالملائكة من النُّور ، والجن والشياطن من النار ، والإنس من التراب . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خُلِقَت الملائكة من نور ، وخُلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم - رواه مسلم - أما الملائكة فهم أصناف : منهم حملة العرش ، وهم اليوم أربعة ، وهم فى عظم لا يوصف . عن جابر [بن][1] عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أُذِن لى أن أُحدِّثَ عن ملك من ملائكة الله عزَّ وجلّ من حملة العرش ، إن مابين شحمة أُذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام - رواه أبو داود - أحدهم على صورة بنى آدم ليشفع لبنى آدم فى أرزاقها . والثانى على صورة ثَوْر ليشفع للبهائم فى أرزاقهم ، والثالث على صورة

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل.

السَّبُع ليشفع للسِّباع فى أرزاقها ، والرابع على صورة النَّسْر ليشفع للطيور فى أرزاقها ، فإذا كان يوم القيامة أمدَّهم الله تعالى بأربعة أخرى ، وذلك قوله تعالى « وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ[1] » ومنهم الكَرُوبِيُّون[2] الذين هم حول العرش ، وهم أشرف الملائكة المقربون[3] ، ومنهم [إسرافيل][4] ومن عظمته أن جبريل عليه السلام طار بأجنحته — وهى ستمائة جناح — ثلاثمائة عام ما بين شَفَتَى إسرافيل وأنفه فما بلغ آخره . وعن عبد الله قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سدّ الأُفق ، يسقط من جناحه من التهاويل من الدُّر والياقوت ما الله به عليم — رواه الإمام أحمد .

ومنهم سُكَّان السمٰوات السبع ، وقال صلى الله عليه وسلم : مافى السمٰوات السبع موضع شبر إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ما عَبَدْنَاك حقَّ عبادتك إلا أنّا لم نُشْرِك بك شيئًا — رواه الطبرانى[5] . ومنهم الموكلون بالجنان ، وإعداد الكرامة لأهلها ، وتهيئة الضيافة

---

(١) الآية رقم ١٧ من سورة الحاقة .

(٢) الكروبيون : سادة الملائكة ، أو المقربون منهم (محيط المحيط) .

(٣) الرفع على الخبرية .

(٤) ما بين الحاصرتين سقط فى الأصل ، والإثبات عن السطر الذى بعد التالى .

(٥) الطبرانى : أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمى الشامى ، من كبار المحدثين . له المعاجم الثلاثة فى الحديث ، وله «التفسير» ، و «الأوائل» ، و «دلائل النبوة» عاش فى الفترة من ٢٦٠ — ٣٤٠ هـ (الزركلى . الأعلام ١ : ٣٨٤ ط أولى) .

لساكنيها من ملابس ومصاوع[1] ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لاعين رأت ، ولا أُذن سَمِعَت ، ولاخطر على قلب بشر. وخازن الجنة مَلَكٌ يُقَال لَه : رضوان ، جاء مُصَرَّحًا به فى بعض الأَحاديث . ومنهم الموكلون بالنَّار ، وهم الزَّبَانِيَة ومقدموهم تسعة عشر ، وخَازِنُها مالِك وهو مقدَّمٌ على جميعهم ، ومنهم موكلون بحفظ بنى آدم كما نَطَقَ به القرآن ، وكل إنسان له حافظان : واحدٌ من بين يَدَيْه ، وآخرُ من خلفه يحفظانه بأَمر الله من أمر الله ، وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله ، وكاتب اليمين أمينٌ على كاتب الشمال .

وأما الجن فهم أَيضًا أصناف كبنى آدم ، يأْكلون ويشربون ويتناسلون ، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ، وقد اختلف العلماءُ فى مؤمِنى الجِنّ : هل يدخلون الجنَّة ، أو يكون جزاءُ طائِعِهم ألاَّ يُعذَّب فى النار فقط ــ على قولين ، والصحيح أَنهم يدخلون الجنة لعمومات القرآن ، وأَما كافرو الجن فكلّهم أهل النار ، ومقدَّمهم الأَكبر إبليس عليه اللعنة ، وكان اسمه قبل أن يُبْلَس عزازيل . وكنيته أبو كردوس ، وجميع الشياطين من ذريته ؛ لأَنَّه باض[2] ثلاثين بيضة : عشرة بالشرق وعشرة بالغرب وعشرة فى وسط الأَرض ، وخرج من كل بيضة جنسٌ من الشياطين ، [٤] كالعفاريت والغِيلاَن والسَّعَالى والجَّان[3] ،

(١) المصاوع : الأماكن المهيأة (محيط المحيط) .
(٢) فى الأصل « باضت » .
(٣) الجنان : جمع جان (المنجد : ١٠٢) .

وعن مجاهد : أكبر أولاده خمسة وهم : الثُّبَرُ وزُليفون وداسِمٌ والأعور ومسوط [1] ، وقَسّم الشّر بينهم : فالثُّبَرُ صاحب المصائب ، وزليفون صاحب رمي العداوة والفتن بين الناس ، وداسِم صاحب الوسواس ، والأعور صاحب الزنا ، ومسوط صاحب الراية يركزها وسط السوق يفد [2] مع أوّل [3] من يَفدفيطرح بين الناس الخصومات والجدال ، وذكر النقاش [4] : أن أم هؤلاء الخمسة طُرطيةُ .

وأما الإنس فكلهم أولاد آدم عليه السّلام ، ولكن انقرضوا كلهم بطُوفَان نوحٍ عليه السلام ، ولم ينجُ منهم إلا أصحاب السّفينة وهم ثمانون نفسًا على قول الجمهور ، ثم لمّا استوت بهم على الجُودِيّ [5] خرجوا منها وبنوا قرية سموها قرية الثمانين فى أرض [6] الجزيرة ، وعاش نوحٌ بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة ، وجميع عمرِه ألفٌ وسبعمائة وثمانون سنة ، ثم هلكوا ولم يبق منهم إلا نوحٌ وأولاده الثلاثة ، وهم : سام ،

---

(١) فى الأصل « مسور » والتصويب عن الوارد فيا بعد :

(٢) فى الأصل « يفد » ولعلها من « الوغد » بمعنى قدح من سهام الميسر لاحظ له .

(٣) « أول » واردة بهامش اللوحة مع الإشارة إلى مكانها فى السطر بسهم .

(٤) النقاش : هو محمد بن الحسن بن زياد . أبو بكر النقاش . عالم بالقرآن وتفسيره ، ولد ونشأ ببغداد . له « شفاء الصدور فى التفسير » ، « الإشارة فى غريب القرآن » ، « الموضح » فى القرآن ومعانيه و « المعجم الكبير » فى أسماء القراء وقراءاتهم ، واختصره — عاش فى الفترة من ٢٦٦ — ٣٥١ هـ (الزركلى — الأعلام ٣ : ٨٨٣ ط أولى .

(٥) الجودى : جبل ببلاد جزيرة ابن عمر بالموصل ، وبينه وبين دجلة ثمانية فراسخ . (المسعودى — مروج الذهب ١ : ٤٠) .

(٦) أرض الجزيرة . انظر التعليق السابق ، وقيل سميت القرية بالثمانين نسبة إلى الثمانين نفساً الذين كانوا فى السفينة .

وحام ، ويافث وأزواجهم ، ولما حضرت نوحًا الوفاةُ أوصى ابنَه ساماً وجعله وليّ عهده ، وكان قد وُلد قبل الطوفان بثمانٍ وتسعين سنة ، وقسّم الأرضَ بين أولاده الثلاثة ، فجعل لسام وسط الأرض وفيها: الحجاز، واليمن، وبيت المقدس، والشام، وفيها: النيل والفرات، ودجلة، وسيحون وجيحون . وجعل لحام بلاد الغرب وما وراءَ غربيِّ النيل ، إلى منحر ريح الدبور[1] . وجعل ليافث الجنوب وبلاد المشرق.

واتفق النسّابون على أن جميع الأُمم متفرِّعَةٌ من هؤلاء الثلاثة ، وأن يافث أكبرهم ، وحاماً أصغرهم ، وساماً أوسطهم. وخرّج [الطبرى][2] حديثا مرفوعًا : أن ساماً أبو العرب وفارس والروم ، وأن يافث أبو الصَّقَالِبَة والتُّرك ويأجُوج ومأجُوج ، وأن حاماً أبو القِبط والسُّودان . وذكر ابن إسحٰق[3] أن ساماً وُلِد له خمسة من الأولاد وهم : أَرْفَخْشد، ولاوَذ ، وإرَام ، وأشُور ، وعَيْلام . وَوُلِدَ لأرفخْشَد شالَخ ، ولشالَخ عابَر ، ومن عابَر العبرانيون ، وَوُلِدَ له وَلَدَان فالَغ ويَقْطِنُ ؛ فمن فالَغ إبرٰهيم الخليل عليه السلام ، ومن إبرٰهيم إسحٰق وإسماعيل ، فمن إسحٰق يعقوب وعِيصُو ، فمن يعقوب بنو إسرائيل ، ومن عِيصُو الرُّوم وهو روم بن سمالحين بن هويان

---

(١) منحر ريح الدبور : المراد به أقصى الغرب .

(٢) سقط فى الأصل . وما أثبته عن تاريخ ابن خلدون ٢ : ١١ ؛ ١٢ط بيروت .

(٣) هو محمد بن اسحق بن يسار المطلبى المدنى – أبو بكر ، من أقدم مؤرخى العرب ، له « السيرة النبوية » مات سنة ١٥١ هـ (الزركلى – الأعلام ٣ : ٨٦٢ ط أولى) .

ابن علقما بن عيصو ، ويقال عيص . ومن إسماعيل عليه السلام العرب المستعربة ، ومن ذريته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وولد ليَقْطِن ثلاثة عشر ولدا وهم : المرذاذ ، وهزورام ، وسالف ، وسبأ ـ وهم أهل اليمن ـ والتبابعة ، وكَهْلان، وهذرماوُت ٥ وهم: حضرموت ، وبَارَاح ، وأَوْذال ، ودَقلا ، وعُموثال ، وأفيمائيل وأوفير وحُوَيْلاَ ، ويوفاف . وذكر النسّابون أن جُرهُم والهند والسند من ولد يَقْطِن ولا يُدْرَى من أى الأولاد .

وأما الاوَذ فولدله أربعة وهم : طَسم ، وَعِمْلِيق ، وفارس ، وجرجان . ومن العِمْلِيق ـ الكنعانيون جبابرة الشام ، وفراعنة مصر . ١٠

وأما إرم فولد له عَوْص ، وكاثر ، وعَبِيل . ومن ولد عَوْص عاد ، ومن ولد كاثر ثمود ، وجَدِيس ، وأُمَيْم ، وطَسْم فى قول ، وهم العرب العاربة .

وأما أشُور فولد له أربعة وهم : إيران ونَبِيط ، وجُرمُوق وباسِل ؛ فمن إيران الفرس ، والكُرْد ، والخزر ، والنَّبط ، والسُّرْيان ، ١٢ ومن جُرْمُوق الجرامقة ، ومن باسِل الدَّيلم ، والجيل ، وقيل الكُرد من العرب ثم تنبطوا ، وقيل إنهم أعراب العجم ، وفى مروج الذهب للمسعودى : وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من قال إنهم من ربيعة ابن نزار بن بكر بن وائل انفردوا فى قديم الزمان وانضافوا ٥٠ إلى الجبال فتغيّرت ألسنتهم ، وقيل : إنهم من ولد كُرْد بن مُرد

ابن صعصعة بن هَوَازن ، تفرقوا فى قديم الزمان لوقائع ودماء كانت بينهم وبين غسّان ، فتغيرت ألسنتهم لمجاوريهم[1] من الأُمم المختلفة ، وقيل هم من إماء سليمان عليه السلام حين سُلِبَ ملكه ، ووقع على إمائه المنافقات الشيطانُ المعروفُ بالجسد ، وعَصَمَ اللهُ منه المؤمنات ، فعَلِقت منه المنافقات . فلما ردّ الله تعالى على سليمان عليه السلام مُلكَه ، ووضعت تلك الإماء الحوامل ، أَمَرَ وقال : اكردوهنّ إلى الجبال والأَودية ، فَرَبَّتْهُم أُمهاتُهُم هناك ، وتناتجوا[2] وتناسلوا وسمُّوا أكرادًا ، وقيل إن الضحّاك الملك الذى يقال له الدهّاك ، واسمه بيُوراسِب خرج بكتفَيْه حيّتان ، فكانتا لا تغذيان إلا بأَدمغة الناس ، فأَفنى خلقا كثيرا ، وكان وزيره يذبح كل يوم شاةً ورجلاً ويطعم أدمغتها لتلك الحيتين ، ويطرد من تخلص إلى الجبال ، فاجتمعوا فيها وكثروا فتَناسلوا ، فهذا بدءُ الأَكراد ، وهم قبائل وأصناف ، وأكثر قبائلهم الشوهجان ، والهاجردان[3] والشاذنجان، والمارنْدان، والماذنجان، والبارسان، والمسكان، والجابارقان والجاوان ، والجاليان ، والصديان ، وكل واحد منها يتفرّع إلى أصناف . ومن الصديان بطن يقال لهم الرَّوَاديّة . منهم أصل السلطان الملك الناصر بن المظفر صلاح الدين يوسف بن الأَمير

---

(١) فى المسعودى – مروج الذهب ٢ : ١٢٣ « لما جاورهم » .

(٢) فى المرجع السابق ٢ : ١٢٣ « وتناكحوا » .

(٣) فى المرجع السابق ٢ : ١٢٤ « الماجران » .

نجم الدين أيوب بن شادى بن مَرْوَان ، صاحب الدِّيار المصرية والشاميّة ، واليمنيّة ـ كان رحمه الله تعالى ـ

وأمّا عيلام فولد له أولاد منهم أهل خوزستان .

وأما حام فولد له أربعة أولاد ـ كذا فى التوراة ـ وهم: مِصْرَايم وكَنْعَان ، وكُوش ، وقُوط .

أما مِصْرَايم فولد له فلشتين ، ومن بنى فلشتين جالوت ، وأهل فلسطين ، وولد له أيضًا كفتُور وهم أهل دمياط ، ويقال كفتوريم هو قبطقاى وهم القبط ، وقيل أهل القبط من مصرايم بن حام ، وولد له أيضا عَنَامِيم وهم أهل الإسكندرية .

وأما كَنْعَان فولد له أولاد كثيرون ، منهم صيدون،وإيمورى وكِركاشِى ، فهم أهل أفريقيةٌ وَبنُوسِى منهم البربر .

وأما [٥] كُوش فولد له السِّند ، والحَبَشَة ، والنُّوبة ، وقزَّان وَزَغَاوَة والزنج ،والزط ،والدّهْلَكُ ،والزَّيْلَع ،والفَاقُو ،والقوماطين والغزنة، والتكرور، والكانِم ، والكَوْكَو ، والدهدم ، والدمادم ، وهم تتر السودان ، ويخرجون على السودان كل وقت ويقتلون منهم ، والزرافات فى بلادهم كثيرة .. وقال السهيل[1] : الحبشة هم بنو حبش بن كوش بن حام .

وأما قوط فأكثر النسابين على أن القبط منهم والله أعلم .

---

(١) السهيل : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمى السهيلى ، توفى بمراكش سنة ٥٨١هـ ـ له «الروض الأنف ـ فى شرح السيرة لابن هشام» ، «والتعريف والأعلام فيما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام» ، «نتائج الفكر» (الزركلى ـ الأعلام ٢ : ٤٩٨ ط أولى .

وأما [يافث][1] فقد ذكر فى التوراة أنه كان له من الأولاد سبعة وهم كومَر ، وياوان ، وماذاى ، وماغوع ، وظوبال ، وماشخ . وظَيْرَاش ؛ فولد لكومر ثلاثة من الأولاد ، الأول : ريفاث وهم أصل الإفرنج ، فمدنهم تزيد على مائة وخمسين مدينة غير الكُوَر ، وأول من اشتهر من ملوكهم : قَلوذِية ، ثم لزريق ثم دقسرت ، ثم قاذلة ، ثم بنيق ، وكرسى مملكتهم تسمّى فرنسة ، مجاورة لجزيرة الأندلس من شماليها ، وأشهر أصنافهم جنَوِيّة وبَنَادِقة وجَلاَلِقَة . والثانى : أشكياذ وهم الصقالبة . والثالث : توغرما ، وهو أصل التُّرْك فى قول . وأما ياوان فولد له يونان ، ودودانيم وأليشا ، وكِيْنَم ، وتَرْشيش وهم أصل طَرسُوس . أما ماذاى فولد له الدَّيْلم ، وأمّا ماغوع فهو أصل يأجوج ومأجوج ، وهم مُغَل المغولِ ، أشد بأسًا وأكثر فسادًا ، لايموت واحدٌ منهم حتى يرى من ذريته ألفًا فصاعدًا ، فمنهم من هو كالنَّخلة ، ومنهم من هو فى غاية القِصَر ، ومنهم من يفترش إحدى أُذنَيْهِ ويتغطّى بالأُخرى . وأما ظوبال فمنه أهل الصين . وأما ماشخ فمن ولده أهل خراسان . وأما ظيراش فمن ولده الفرس عند الإسرائيليين ، وقيل من ولده الخزر ، والصحيح أن التُّرك من بنى كُومَر ، ويقال ترك بن يافث ، وهم فى الأَصل عشرون

(١) سقط فى الأصل . والإثبات من الكامل لابن الأثير ١ : ٣٥

قبيلة ، وكل قبيلة منها بطون لايُحْصَوْن ، فأول[1] القبائل ـ قرب الروم ـ بُجْنَك ، ثم قَفْجَاق ويقال قبجاق ، ثم أَغزّ ، ثم يَمَاك ، ثم بَشْغُرْت ، ثم قاى ، ثم يباقو ، ثم تتار ـ ويقال تتر . ويقال ططر ، ثم قِرْقِز ، ثم جكل ، ثم تَخْسِى ، ثم يَغْما ، ثم أعزاق ، ثم جرق ، ثم جمل ، ثم أيغر ، ثم تنكت ، ثم ختَاى ، ويقال خطاى ، ويقال خطا ، وهى التى تسمى صِين ، ثم توغاج ، وتسمى مَاصين[2] .

ومن قبيلة أَغَز تتفرع التركمان ،وهم اثنان وعشرون بطنا ، لكل بطن منها علامة وسِمة على دوابهم وأوانيهم ، يَعْرِفُ بها بعضُهم بعضًا . فأعظمهم قَنَق ، ومنهم السلاطين والملوك ، وعلامتهم هذه « » ، ثم قبَع ويقال قَبَن ،وعلامتهم هذه « » ثم بَايَنْدَر ، وعلامتهم هذه « » ثم أُوَا ويقال يُوَا ، وعلامتهم هذه « » ثم سَلْغُرْ ويقال سَلُرْ ، وعلامتهم هذه « » ثم أَفْشَار ويقال لهم أَوْشَار وعلامتهم هذه « » ثم بِكْتِلِى ويقال بكْتِلِى،وعلامتهم هذه « » ثم بكدر،وعلامتهم هذه « » ثم بَيَات وعلامتهم هذه « » ثم يَزْغَر ويقال يَزَر ، وعلامتهم هذه « » ثم أُيْمَر وعلامتهم هذه « » ثم قَرَايِلُك ،

(١) رسم القبائل التركية التالية غير واضح فى الأصل ، وقد تم تصويب الرسم وضبط بعض الأسماء بالشكل بعد الرجوع إلى كتاب المؤلف « الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ـ طبعة » بتحقيق المرحوم الشيخ الكوثرى، وكذلك ديوان لغات الترك ج ١ وبمعاونة الأستاذ نصر الله مبشر الطرازى .

(٢) ماصين : أى الصين الخاص ويراد به ما يقع داخل سور الصين العظيم .

وعلامتهم هذه « =□ » ثم ألقابلُك ، وعلامتهم هذه « [symbol] » ثم أكْدَر ،ويقال يَكْدَر ، وعلامتهم هذه « [symbol] » ثم أرْكر ويقال يُرْكر ، وعلامتهم هذه « [symbol] » ثم تُوتر وعلامتهم هذه « ٧٨ » ، ثم أولا يَندُلغ وعلامتهم هذه « [symbol] » ، ثم تُوكر ويقال دُكر وعلامتهم هذه « [symbol] » ، ثم بُجْنَك وعلامتهم هذه « [symbol] » ثم جُولْدُرْ ، وعلامتهم هذه « [symbol] » ، ثم جبنى ، وعلامتهم هذه « [symbol] » ثم جرقلع ويقال[1] جرقلو ، وهى قليلة خفيّة علامتها ، وهؤلاء اثنان وعشرون رجلاً ، فصار كل منهم أبَ بطنٍ واحد .

وأصلُ ذلك أن ذا القرنين لما قصد بلاد التُّرك ــ وكان ملك الترك يومئذ شخصا يسمى شُو ، وكان له جيش عظيم لا يوصف ــ فكبسهم ذو القرنين بغتةً فتحيّروا ــ وكان ذلك بالليل ــ فأخذ كل إلى جهة ، فتأخر منهم فى معسكرهم هؤلاء الاثنان والعشرون ، ولم يدركوا حمولتهم ، فرآهم ذو القرنين وهم ذوو شعور ، فقال : هؤلاء تُرْك مَانن بالفارسية ــ ومعناه هؤلاء يشابهون الترك ، فبقى لهم هذا الاسم من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، ولكن خَفَّفُوا إحدى النونين بالحذف لكثرة الاستعمال .

ومن بطون الترك : الخُتَّل والأَشْروسَنَه ، والصُّغْد ، والخزلخ ، والطغرغر ، والغُزِّية والخزلخيّة ، والمغُلُ ، والبُتيْته ، والبغرغزيّة والحزحزيّة ، والبرغزيّة ، والكهاكيّة ، والجغر ، والجامات ، والخلْج ،

(١) عبارة « ويقال جرقلو » واردة فى هامش اللوحة .

والبدية ، والبرغانية ، والخزر ، والموغان ، والغراعنة ، والعلان ، ويقال ألآن .

ومن قبيلة قنق بنو سلجوق ، فأول ملكهم السلطان طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، وأول من عبر بلاد الإسلام من نهر جيحون ألب [1] أرسلان بن جغرى بك ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، وكان عسكره مائتى ألف فارس ، ومن ذريتهم الملوك الذين ملكوا بلاد الروم ، وآخر من ملك الروم منهم السلطان عز الدين [2] كيكاوس ابن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان ابن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بن سلجوق . توفى سنة سبع وسبعين [وستمائة] [2] ، وكان عبور السلجوقية بلاد الإسلام فى شهر ربيع الأول من سنة خمس وستين وأربعمائة ، ثم بعد ذلك ظهر جنكزخان ، وعبر نهر جيحون فى سنة ست عشرة وستمائة ، ثم هلك جنكزخان فى سنة أربع وعشرين وستمائة وخلف أولادا كثيرة ، وأكابرهم خمسة وهم : توشى ، وهرتوك ، وباطو ، وبركه ، وبركجار . فملكوا

---

(١) تسلطن بعد عمه طغرلبك ، وتمت سلطنته سنة ٤٥٧ هـ ، وهو أول من أسلم من إخوته ، وأول من لقب بالسلطان من بنى سلجوق ، وذكر على منابر بغداد ، وقتل فى جمادى الآخرة سنة ٤٦٥ هـ .

ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة — ٥ : ٩٢ ، ٩٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن أبى الفدا — المختصر فى أخبار البشر ٤ : ١١ ، ١٢ — ، فيه أن عز الدين هذا خلف ولدا اسمه مسعود ملك سيواس ، وأرزن الروم ، وأرزنكان ، ثم جعلت سلطنة الروم باسمه ، وافتقر وانكشف حاله ، وهو آخر من سمى سلطانا من السلجوقية الروم .

البلاد ، ثم ملك صرصق بن توشى ، وهُلاوُن بن باطو بن جِنْكِزْخان ، ثم استقر هُلاوُن فى المملكة ، وقتل الخليفة المستعصم بالله ، وأخذ[٦] بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم أخذ حَلَب وأخربها فى سنة ثمان وخمسين وستمائة . وكذلك أخذ نائِبُهُ كَتْبُغَانُوِين مدينة دمشق ، ثم مات هُلاوُن فى ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وستمائة ، وخلف خمسة عشر ولدا ذكرا وهم[1] : جماغر وهو أكبرهم سِنًا ، وأَبْغَا ويسمى أَبَاقَا ، ويَضْمت ، وتِيِسين ، ونكشى ، وتُكُدَار ، وأجاى ، وألاجو ، وسبوجى ، ويشودار ، ومنكوتَمُر ، وقنغرطاى وطوغاى ، وتَمُر وهو أصغرهم . وجلس موضعه أَبْغَا ، وملك ماملك أبوه من الأقاليم وهى : إقليم خُرَاسَان ، وكرسيه نيسَابُور وإقليم عراق العجم وكرسيّه أَصْفَهان ، وإقليم عراق العرب وكرسيّه بغداد ، وإقليم أَذْرَبِيجان وكرسيّه تَبْرِيز ، وإقليم خُوزَسْتان وكرسيّه تُسْتَر التى تُسمِيها العامة تُشْتر ، وإقليم فارس وكرسيه شِيرَاز ، وإقليم ديار بكر وكرسيّه المَوْصِل ، وإقليم الروم وكرسيّه قُونِيَة .

ثم مات أَبْغَا فى سنة إحدى وثمانين وستمائة ، فوقع

(١) جاء فى جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى (٢ — ١ : ٢٢٣) أنه كان لهولاكو أربعة عشر ولداً ، وسبع بنات ، وهم : آباقاخان ، وجوموقور ، ويشموت ، وييكين ، وطرغاى وتوسين ، وأحمد (تاكودار) ، وآجاى ، وقونقرتاى ، ويسودار ، ومنكوتيمر ، وهولاجو ، وسباوجى ، وطغاى تيمور — ويلاحظ أن البدر العينى ذكر أربعة عشر فقط مع اعتبار « طوغاى تيمر » اثنين فى حين أنه اسم واحد .

النزاع بين ولده أُرغون ، وبين تُوكُدَار بن هُلاوُن ، ثم استمر أرغون إلى أن مات فى سنة أربع وتسعين وستمائة .

ثم ملك قازان بن أرغون ، ومات فى سنة ثلاث وسبعمائة .
وملك بعده أخوه خَرْبَنْدا ويقال له خُدَابَنْدا[1] ، ثم توفى فى رمضان من سنة ست عشرة وسبعمائة .

وجلس فى التخت بعده ولدُه الكبير بوسعيد ، وله من العمر ثلاث عشرة سنة ، وكان مشتغلا بالكتاب والسنة ، ثم مات بوسعيد بالباب الحديد[2] فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة .

وملك بعده البلاد الشيخ حسن بن حسين بن آقْبُغَا بن إيلكان سبط أرغون بن أبغَا بن هُلاون ، ثم مات الشيخ حسن ببغداد فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة .

وتولى عوضه أُوَيْس[3] .

وفى هذه السنة مات الأمير شَيْخُون[4] رحمه الله ، ثم مات أُوَيْس فى سنة ست وسبعين وسبعمائه .

---

(١) ومعناه بالفارسية : عبد الله ، وكان أبوه قد سماه خربندا ، وهو اسم مهمل معناه عبد الحمار ، وسبب ذلك أن أولاده كانوا يموتون صغارا فقال له بعض الأتراك : إذا جاءك ولد فسمه اسما قبيحاً ليعيش ، فسمى هذا فى الظاهر — خربندا — وسماه فى الحقيقة — أبجيتو ، فلما كبر وملك استقبح اسمه وكرهه فجعله خدابندا ، ولما أسلم تسمى بمحمد (ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٩ : ٢٣٨) .

(٢) الباب الحديد : موضع على مسافة تسعين كيلومتراً جنوبى بلدة كش — وعرضه من ١٢ متراً إلى ٢٠ متراً وطوله ثلاثة كيلومترات (الرمزى — تلفيق الأخبار ١ : ٥٣)

(٣) أويس : هو الشيخ أويس بن الشيخ حسن السابق ذكره (ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ١ : ٣٢٣)

(٤) هو الأمير الكبير أتابك العساكر شيخون بن عبد الله العمرى الناصرى اللالا مدبر—

وفى هـذه السنة فتحت سيس[١] ، ومات الأمير مَنْجَك[٢] والأمير حَيّار بن مُهَنّا أمير آل فضل[٣] .

ثم ملك بعده دُوشِى بن جِنْكِزْخَان ، ثم ملك تُدَان مَنْكُو ثم تَلاَبُغا بن مَنكوتَمرُ ، ثم ملك طُقْطَاى بن مَنكُوتَمرُ ، ثم توفى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة . وكانت مدة مملكته ثلاثا وعشرين سنة .

ثم تولى أُزبَك خان بن طغرلجا بن منكوتَمرُ بن طُغَان بن باطو ابن دوشيخان بن جِنكِزْخان ، ثم توفى أُزبَك خان فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة .

وفى هذه السنة تولى الملك الأشرف علاء الدين كُجَك بن الملك الناصر محمد بن قلاون .

وكانت مدة مملكة أُزبَك خان ثمانيًا وعشرين سنة ، ثم تولىّ بعده جانى خان بن أُزْبَك خان وانتشأ مُلْكًا عظيما ، ويقال إن عسكره بلغت سبعمائة ألف .

- الممالك الإسلامية بالديار المصرية ، توفى من أثر جرح أصابه به قطلوخجا السلاح دار بضربة سيف فى موكب السلطان حسن ، وكانت وفاته فى ذى القعدة أو ذى الحجة سنة ٧٥٨هـ ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ١٠ : ٣٢٤ .

(١) سيس : عاصمة ارمينية الصغرى وقليقية ، وتقع بين أنطاكية وطرسوس . ياقوت — معجم البلدان ٣ : ٢١٧ .

(٢) هو الأتابك منجك اليوسفى ، وقد تولى نيابة حلب ونيابة الشام ونيابة السلطنة بمصر وأتابك العساكر بها — ابن إياس — بدائع الزهور ١ : ٢٣٠ .

(٣) آل فضل : هم بنو فضل بن ربيعة ، ومنازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة آخذين على شقى الفرات وأطراف العراق حتى ينتهى حدهم قبلة بشرق إلى الوشم آخذين يساراً إلى البصرة — القلقشندى — قلائد الجمان فى قبائل الزمان ٧٦ .

وأما التركُمَان الذين يسكنون اليوم ببلاد الرّوم والشام فأصلهم من التُّركمان الذين جاءُوا مع السلطان ألْب أرْسَلان السلجوقى ، فسكنوا فى البلاد رحّالة ببيوت خركاوات[1] ، فطائفة سكنت ببلاد ديار بكر ومنهم تركمان قَرامحمد[2] ، وبنو يحمر ، وبنو يغمر ، ومنهم طائفة سكنت ببلاد الرّوم على سواحل البحر الملح ، ومنهم تركمان ورسخ ، وأولاد قَرَمَان ، وأولاد حَميلو ، وسليمان باشاه ، ومنهم أصل عثمانجق[3] وولده أُرْخان ، وولده مراد باك ، وولده أبو يَزِيد وولده كِرِشْجِى ــ الآن صاحب الرّوم .

ومنهم طائفة سكنت ببلاد الشام والأرمن ، وهم طائفتان إحداهما تسمى أُوْجَ أَق ، والأُخرى تسمى بُزْأَقْ ، ومنهم أولاد دُلغَادِر .

ومن طائفة التُّركِ الجراكسةُ ، وأصلهم أربع قبائل وهم : جركس[4] ويقال سركس ، وأركس ، والآص ، وكسا ، وتتفرع منهم بطون كثيرة وهى : أباز ا ، وكِبكًا وجنا ، وبوله ، وبُزْدُغو ، وإسفُوا وبُصجقا ، وأعجبس ، وسكاغُوا ،

---

(١) خركاوات : جمع خركاه ، واللفظ فارسى معناه الخيمة الكبيرة أو البيت من الخشب يصنع على هيئة مخصوصة ويغشى بالجوخ ونحوه ، ويحمل فى السفر ليكون فى الخيمة للمبيت القلقشندى ــ صبح الأعشى ٢ : ١٣٨

(٢) فى هامش اللوحة عنوان بخط مغاير « تركمان قراجمد » .

(٣) فى هامش اللوحة عنوان بخط مغاير « أصل عثمانجق » .

(٤) انظر كتاب الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر « ظطر » المؤلف بتحقيق المرحوم الشيخ الكوثرى والتعليقات عليه ص ١١ وما بعدها بصدد القبائل التركية .

وهو الذى يتكلم بلسان آبَزَا ، وجغا وهو أيضًا يتكلم بلسان آبزا وبشرِيا ، وأبخاس ، وأزغا ، وبُغْرَوْ ، وبخ ، ووقاقا ، وَبِمِيغَا وبلس ، وقوص ، وأريس ، وصندى ، وهؤلاء بطنان يسكنون عند الباب الحديد ، وهو الذى يسمى دُمُرْقبى[1] من ناحية بحر طبرستان ، وصمدقا وهم بطن كبير يسكنون فى المضيق الذى بينهم وبين كُرْج ، يمنعون الناس من الدخول والخروج ، وبسنى وهم بطن كبير يُعَامِلُون مع التتر ويَرُوحُون إليهم ، ومن أعظم البطون وأشرفها تَصْبُغًا ، وخونية ، وآدُخان ، وقيل الرابع منهم كِبْكَا ، وهم فى الأصل أولاد جَبَلَة بن أَيْهَم الغسَّانى لَمَّا توالدوا وتكاثروا ، نُسِب إلى كل منهم بطن ، وأصلُ تَصبُغَا إسم لخركاةِ[2] من فضة .

ومن أشرف بطون الجراكسة كَرْمُوك ، وهو فى الأصل اسم ملك كبير فيهم سُمِّى هذا البطن باسمه ، وكان حاكمًا عليهم ، فلما مات خَلَف ابنًا يسمى جويا فتولى جميع كرموك ، وَمَشى مشىَ أبيه ، فلما مات خلف ابنا يسمىُ طقجا ، فتولى كرموك كأبيه وجده ومشى مشيهما ، ثم مات وخلف ابنا يسمَّى إينال فتولى جميع كرموك كأسلافه ، ولما مات خلف ابنا سمى سَرمَاش

(١) دمرقبى : وبهامش اللوحة بخط مغاير « تيمرقبو » وهو موضع قرب مدينة « باكو » وأورد الرمزى (تلفيق الأخبار ١ : ٥٣) أن هذا الموضع على مسافة تسعين كيلو متراً جنوبى بلدة « كش » وعرضه من ١٢ إلى ٢٠ متراً ، وطوله ثلاثة كيلو مترات . ويقال له « تيمرقبو » أى الباب الحديد .

(٢) الخركاه : انظر ماسبق فى ص ٢٦ .

فتولى جميع كرموك كأجداده ، ولما مات خلف ابنًا يسمى أركماس ، وتولى كرموك بعده على عادة آبائه وأجداده ، وهو الآن مَوجُود .

وَمولانا السلطان الملك المؤيّد ثبّت الله قواعد دولته من ذرية إينال المذكور ، وهو أصل شريف كبير فيما بينهم ، مشهور بالشجاعة والشهامة والمروءة والكرم والسطوة ، وأبوه أيضا كان كبيرًا كأسلافه ، حاكما على طائفته . واعلم أنّ كرموك من بين الجركس والعرب ، وهم عرب غسّان ؛ وأصل [٧] ذلك : أن جَبَلَة بن الأيْهَم لمّا ارْتد عن الإسلام بعد أن قدِم على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه صار إلى هِرَقل صاحب الروم ، ولما هرب هِرقل من أنطاكية — لمّا فتحها الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فى سنة سبع عشرة من الهجرة — وركب البحر ، وعدّى إلى بلاد قُسْطَنْطِينِيّة وماقدونية وأثينيّة[١] — وهى فى بلاد الجانب الشمالى — وهرب معه جَبَلة ، ومعه خمسمائة رجل من قومه من عرب غسّان فتنصروا كلهم ، وأقاموا عندهم إلى أن انقرض ملك القياصرة ، ثم تَحَيَّزُوا إلى جبال الجراكسة وبلادهم ، وهى ما بين بحر طَبَرِسْتَان وبحر نيطُش[٢] ، الذى يمدّه خليج قُسْطَنْطِينِيَة ، فاختلطوا بالجراكسة وبلادهم ،

---

(١) أثينية : وردت فى الأصل دون نقط وهى : أثينا .

(٢) بحر نيطش : هو البحر الأسود فى الجغرافية الحديثة وانظر النويرى — نهاية الأرب ١ : ٢٤٦ هامش ٢

وتزوّجوا منهم نساء ، وتزوّجت الجراكسة منهم نساء ، فتوالَدُوا وتناسلوا ، وكثرت ذراريهم ، واختلط بعضهم ببعض ، ودخلت أنساب بعضهم فى بعض ؛ حتى ليزعم كثير من الجراكسة : أن أصلهم من نسب عرب غسّان ، وليس كذلك ، بل الجراكسة من أولاد يافث كما ذكرنا ، وإنما حصل الاختلاط فيما بعد ، ولكن كَرَموك من الجركس والعرب كما ذكرنا ، ومن ذلك يوجد فى الجراكسة خصال من خصال العرب ، منها الشجاعة الظاهرة ، والفروسية الباهرة ، ومنها الصَدْمَة الأُولى فى الحروب ، ومنها الغيرة العظيمة على الحريم والنساء ، ومنها حسن القيام بحق الضَّيْف ، وأن الضَّيْف عندهم أعزّ من أَحَبِّ الخلقِ إليهم ، ومنها أن المستجير بأَحدهم لا يُضَام ، ولا يناله مكروه ولو كان عليه دَمٌ أو طلب ، ولا يقدر واحد أن يأخذه ولو كان صاحب شوكة ، ومنها أن عندهم حِدَّةً وزَعَارة فى أخلاقهم ، ومنها أنهم يغضبون سريعًا ، ومنها أن عندهم تعصُّبًا عظيمًا ؛ لا يرجع عمن تعصّب له ولو كان على باطل ، ومنها أن العداوة إذا وقعت فيما بين الطائفتين لم يزالوا على ذلك ، فمن قدر منها على الأُخرى يُفْنِى أوّلهم عن آخرهم ، وآخرهم عن أوّلهم ، حتى إن العداوة تستمرّ بين أولادهم ، وأولاد أولادهم ، وكل ذلك من خصال العرب .

أما أم مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله ، فقيل إنها من التُّرك ، ولكن لَمَّا اجتمعت به يوم الإثنين العاشر من ربيع الآخر ، سنة ثماني عشرة وثمانمائة ، لأجل قراءة تاريخه وسيرته ، وسألتُه عن أُمّه فقال : إنها من الجركس ، فأثبتُّ ذلك مثل ما سمعت ـ والله سبحانَه أعلم .

الباب الثاني

في اسمه وما يدل عليه

وما تدل عليه حروفه

والله أعلم

اعلم أن اسم مولانا السلطان ـ خلَّد الله ملكه ـ ثلاثة أحرف وهى الشين المعجمة والياء آخر الحروف ، والخاء المعجمة ، وهو شيخ ، وهو اسم مبارك قد ذكره الله تعالى فى القرآن فى حق نبيين كريمين عظيمين ، أحدهما إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال الله عزَّ وجل حكاية عن امرأته سَارة « ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا[1] » ، والثانى شعيب عليه السلام حيث قال الله عز وجل حكاية عن ابنتَيْهِ صفورا وحتونا « قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ »[2] . وذكر المفسرون أن إطلاق الشيخ على إبراهيم كان لأجل التَّوْقِير والتعظيم ، وعلى شُعَيْب كان لأجل الاستعطاف والشفقة ، فمن الأول مخاطبة الناس العلماء الأجلاء ، والأئمة والفضلاء بهذه اللفظة . ومن الثانى مخاطبتهم أصحاب السن والأكابر فى العمر ، وكذا قال أهل اللغة : الشيخ من استبانت فيه السِّنُّ ، وكَمُلَ فيه العقلُ والرأىُ ، وقال كمال الدين عبد الرزاق[3] فى رسالته فى باب الشين ، الشيخ هو الإنسان الكامل فى الشريعة والطريقة

---

(١) الآية رقم ٧٢ من سورة هود .

(٢) الآية رقم ٢٣ من سورة القصص ـ هذا وقد فات المؤلف أن يذكر قوله تعالى فى سورة يوسف الآية رقم ٧٨ فى شأن يعقوب النبى « قالوا يأيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين » .

(٣) هو كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد القاشانى المتوفى سنة ٧٢٠ هـ ، ورسالته هى شرح اصطلاح القوم فى شرح اصطلاح الصوفية ـ انظر فهرس الكتب العربية بدار الكتب جـ ٦ ص ١٦٢ .

والحقيقة ، البالغ إلى حد التكميل ، ولهذا قيل لأبى بكر الصديق رضى الله عنه شيخٌ . ولشرف هذا الاسم ، ووقوع التعظيم والتوقير به لا يُذْكَر وَلِىٌ من أولياء الله إلا ويُوصَفُ به ، وتطلق عليه هذه اللفظة ، وكذا يقال لرئيس العلماء ، هذا شيخ الجماعة ، ولكبير القوم ، هذا شيخ الطائفة .

ثم كل حرف من هذه الأحرف الثلاثة يدل على معنى فى ذات صاحبه ، وذلك لأن الاسم إما عين المسمّى على ما قاله البعض أو لاعَيْنُه ولا غيره على ما قاله أهل السنة والجماعة ، وعلى كلا التقديرين[1] توجد المناسبة فى وضع الأسماء للمسمّيات على ما اقتضته الحكمة الإلّهية ، ولاشك أن وضع الأسماء لا يكون إلاّ بالإلهام من الله تعالى ، فلو لم يكن ماتضمّنه الاسم من المعانى ، أو بعضه موجوداً فى مسمّاه لَمَا وقع عليه بالإلهام الرّبانى ، ألاَ ترى أنّهم قالوا : إنما سمّى آدم عليه السلام بهذا الاسم لكونه خلق من أديم الأرض وهو وجهها ، وسُمّى شيث عليه السلام بهذا الاسم لأنّ معناه عطيّة وهبة بالسُّريانية ، وسمى به لأنّه هبة من الله لآدم عليه السلام ، عوضا عن هابيل ، وسمّى نوح عليه السلام بهذا الاسم لكثرة نَوْحِهِ من خوف الله تعالى ، وسمى إبراهيم عليه السلام بهذا الاسم لأن معناه أب رحيم فى السّريانية ، وسمى أيضا بالخليل لأن الله

---

(1) فى الأصل « وعلى كل التقدير » — ويوجد مقابلها فى هامش اللوحة عنوان بخط مغاير : « فى مناسبة الأسماء للمسميات » .

تعالى اتّخذه خليلاً ، وسمّى موسى عليه السلام بهذا الاسم لأن أصله فى السريانية مُوشَا ، فـ « مو » هُوَ الماءُ و « شا » هُوَ الشجر ، وكان قد وجد بين الماء والشجر ، فسمّتْه بهذا الاسم آسية بنت المزاحم امرأة فرعون لَمَّا وجدوه فى التابوت ـ وهو الصندوق ـ وهو فى اليَمِّ ـ وهو البحر ، وذلك حين ألقته أُمُّه فيه خوفًا عليه كما قصّ الله تعالى فى القرآن الكريم ، ويعقوب عليه السلام سمِّى بهذا الاسم لأَنه تنازع مع أَخيه عيصُو فى بطن أُمهما وكانا توأَمين فغلبه عيصو فخرج أولاً ، وخرج يعقوب عقيبه ، فلذلك سمى يعقوب ، وسمِّى عيصو بهذا الاسم لأَنه عصَى عليه ، وسمى إسرائيل أيضا لأَنه لما رحل إلى خاله بحرّان خوفا على نفسه من أَخيه عيصو ، كان يسرى بالليل ويَكْمُن بالنهار ؛ فـ « إسْر » من السّرى بالليل ، و « إيل » من الليل وقيل « إيل » . اسم من أسماء اللّه تعالى ، و « إسر » معناه العبد ، أى عبد الله ، وسمى سليمان بهذا الاسم لأَنه كان سليم القلب[1] ، وسمى أبوه عليه السلام داود لأَنه كان يداوى جراحات القلوب ، ولم يُفسِّر بهذا التفسير إلا النملة التى خاطبت سليمان عليه السلام ، وقصتها أن سليمان عليه السلام كان سائرا يومًا بعسكره على البساط فى الهواء إذْ أتى على وادى النمل فقالت نملة « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ[2] » فألقت الريح هذه الكلمة فى أُذُن سليمان عليه

(١) يوجد بهامش اللوحة عنوان بخط مغاير « قصة سليمان عليه السلام مع النملة » .
(٢) الآية رقم ١٨ من سورة النمل .

السلام ، وكان من جملة معجزاته عليه السلام أنّ كل مَنْ تكلّم بكلمة كانت الريحُ تُلْقيها فى أُذنه عليه السلام ، سواءٌ كان من قرب أو بعد ، فحين سمع سليمانُ عليه السلام بذلك أمر الريحَ بأن تضع البساط على جانب وادى النمل فوضعته ، فطلب سليمانُ عليه السلام تلك النملة - وكانت حاكمة النمل وسلطانها ، وكانت عرجاء فى قدر كلب فى الجثة قيل اسمها طاحية - ، فقال لها :لم حذّرتِ قَوْمَكِ عَنِّى وعن عسكرى وأنا ما عندى ظُلْم ؟ ، فقالت : يا نبيَّ الله حَاشَاكَ من الظُّلْم ؛ وإنما قلتُ : وَهم لاَيَشْعُرُون ، وقيل . قالت : أردتُ حَطم القلوب لاَحَطْمَ الأبدان ؛ حيث يشتغل النمل بالنظر إلى عظيم عسكرك وبهجتها عن ذكر الله تعالى ، فَعَلِمَ سليمانُ عليه السلام أنها صاحبة حكمة ، فقال لها : إنى سائلك عن مسائل ، فقالت : سَلْ ، فقال : ما معنى سَواد جسمك وحركة رأسك دائما ، ورقة وسطك ؟ فقالت : يانبي الله . الدنيا دار حُزْن ومُصِيبة ، ومن يكون فى حزن ومصيبة يكون لباسه السَّواد ، وأما حركة رأسى فأنا مشتغلة بذكر الله تعالى دائما ، ومن كان فى ذكر الله يتحرك رأسه دائما ، وأما رقة وسطى ، فأنا عبد واقف فى الخدمة ، فمن كان عبدًا واقفا فى الخدمة يكون وسطه مشدودًا . فلما سمع سليمان عليه السلام أعجبه عجبا عظيما ، ثم قال لها : سلينى ماشئت أُعْطِك ، فقالت : من يعطيك أنت ؟ فقال : الله ، فقالت : فما الحاجة أن أسألك فأنت أيضا تسأل غيرك ،

فقال سليمان : إن من عادة الملوك مهاداة بعضهم لبعض فلابدّ
أن تسألى شيئًا مما فى خاطرك ، فقالت : إن كان لابد من ذلك
فأسألك شيئًا واحدًا . فقال : سلى ، فقالت : اكتب إلى خازن
النار بأن يردّنى منها إن كان الله تعالى كتب على بالقدوم إليه ،
فقال سليمان هذا ليس لى ، فقالت : اكتب إلى خازن الجنة ٥
أن يفتح لى باب الجنة إذا قدمت إليه ، فقال هذا أيضًا ليس
لى ، فقالت إن عجزت عن هذا فأَزِل السواد من جسمى ، فقال
ليس لى هذا أيضا ، فقالت : إذن أنت عاجزٌ ، وليس لى
حاجة عند العاجز مثلى ، وإنما أرفع حاجتى إلى الله الذى ظهرت
قدرتُهُ فى خلقه ولا يُرَدُّ سائلُه ، ولا ينقص من خزائنه شىء ، ١٠
فتحير سليمان عليه السلام من ذلك ، ثم قالت : أنا أيضا
أسألك عن مسائل ، فقال : سلى . فقالت : لم سمّيت
سليمان ، ولم سمِىَ أبوك داود ؟ ، ولم سخر الله لك الريح ؟ ،
ولم جعل ملكك فى خاتمك ؟ ، فتحيّر سليمان فلم يجب
بشىء ، فقالت أنا أجيب عن ذلك . أمّا أنت فإنما سمّيت ١٥
سليمان لأنك سليم القلب ، وأما أبوك داود فإنما سمّى به
لأنه دَاوَى جراحات القلوب ، وأما تسخير الريح لك فلتعلم
أن هذه الدّنيا كالرّيح ليس لها ثبات ، وهى سريعةُ الزوال ،
فتارة لك وتارة عليك ، كالريح تارة من اليمين وتارة من
الشمال . وأما جعل ملكك فى خاتمك ، فلتعلم أن هذه الدنيا ٢٠
ليس لها قدر عند الله إذ لو كان لها قدر لما جعلها فى خاتم .

فلما سمع سليمان عليه السلام بذلك بكى بكاء شديدا ، ثم قال لها : فما بلغ مقدار عسكرك ؟ فقالت نحن أضعف خلق الله تعالى فمن أين لنا القوة حتى يكون عسكرًا ، فقال سليمان عليه السلام : لابد من عرض عسكرك علىَّ ، فقالت : إذن نعم ، فأمرت لصنف من النمل - وهى النملة الصفراء الصغار جدًا - فخرجت من شقوق الأرض وامتدّت ، فأقام سليمان عليه السلام هناك سبعين يوما وهى تخرج ولا تنقطع ، فقال لها : أفلا تنقطع هذه ؟ فقالت : يانَبِيَّ الله والذى بعثك بالحق نبيًا لو أقمت هنا إلى يوم القيامة لاينقطع هذا الصنف : وعندى تسعة وستون صنفا غير هذا الصنف ، فقال سليمان عليه السلام : سبحانك ربى ما أعظم شأنك ، وما أقوى سلطانك ، فعند ذلك أمر الريح أن ترفع البساط فرفعت .

وكذلك سمى يحيى عليه السلام بهذا الاسم لأنه حَيِيَ به رحمُ أمه ، وقيل لأنه كان حيًا بالطاعة .

وكذلك سمّى عيسى عليه السلام بهذا الاسم لأنه من العِيْس وهو البياض ، وقيل من العَوْس وهو السياسه ، وسمى مسيحًا لأنه كان يمسح فى الأرض ، وقيل لأنه ولد ممسوحًا بالدُّهْن ، ويقال المسيح القاتل ، سمّى به لأنه كان يقتل الدّجال ، وسمى الدّجال مسيحًا لأنه ممسوح أى مقتول ، والمسح القتل ،قال الله تعالى «فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ»[1]

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة ص

وهو بالسريانية مسيحًا ، وسميت أُمه مريم لأَنها كانت عابدة ومعنى المريم عبادة فى لغتهم ، وقيل لأَنها مرّت فى الطاعة مرور الحوت فى اليَمّ .

وكذلك سمىَ نبينا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحمدَ ومحمودا ، فاسمه فى الأَرض محمد ، وفى السماء أَحمد ، وتحت الثرى محمود ، والمعنى إذا حمدت أحدًا فأَنت محمد ، وإذا حمدنى[1] أحدٌ فأَنت أَحمد ، وأَنت محمود فى السموات والأَرضين .

وكذلك اسم مولانا السلطان ـ خلَّد اللهُ مُلْكَه ـ يدل على أن ذاته معظم موقر مشرف ، فالشين تدل على شرفه ، والياء تدل على يُمْنه ويُسْرِ أَمْرِه ، والخاء تدل على خيره فى أفعاله وأقواله ، ومن جملة دلالة [٩] الخاء فى آخر اسمه أنه آخر السلاطين[2] الترك على مارمز به بعض أصحاب الرموز ، فيكون به صلاح الدنيا ويختل بعده نظام العالم .

ومن جملة غرائب هذا الاسم أنه لم يُسَمَّ به أحد من سلاطين الترك وغيرهم فى دولة الإسلام ، وقد انفرد بهذا الاسم مولانا السلطان خلّد الله ملكه ، والسرّ فيه إشارة إلى أنه شيخُ السلاطين الذين تولوا الدّيار المصرية ، والدليل على ذلك أنه فاق عليهم من وجوه كثيرة ، وفيه من الخصال

(١) كذا فى الأصل ـ ولعلها وحمدك ، لأن الحديث على الخطاب .

(٢) ولم يصدق ذلك فقد وصل عدد سلاطين الأتراك فى مصر إلى نيف وأربعين وكان ترتيب المؤيد بينهم الثامن والعشرين .

ما لا يوجد فى غيره ، ولا يُعْرَفُ إلا من تَتَبُّع تواريخهم فى سِيَرهم ، وقد تَتَبَّعْتُ ذلك فوجدت صدقه فى أمور ، منها : أنه تولىّ السلطنة بِيُسْر وسهولةٍ من غير سَلّ سَيْفٍ ، وسَفْكِ دَمٍ ، بخلاف غيره من السلاطين التُّرك كما نُبَيِّنُه عن قريب ،

وقد وجدنا بالاستقراء أن كلّ من تولى بهذه الصفة تكون أيامُه صالحة ، وتكون الرعيّة فى دولته آمنة ، وتطيعه العباد والبلاد ، والقريب والبعيد ؛ والدليل على ذلك أن النبىّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا توفى ، وانتقل إلى دار الكرامة ، وقع الاختلاف فى نصب الإمام حتى أن بعض الأنصار قالوا : ينبغى أن يكون أمير من الأنصار ، وأمير من المهاجرين ، ووقع كلام كثير حتى بيّن لهم الصِّدِّيقُ رضى الله عنه أن الخلافة لاتكون إلا فى قريش فرجعوا إليه وأجمعوا عليه .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : لما قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فأتاهم عمر فقال : يامعشر الأنصار أَلَسْتُم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَمَرَ أبا بكر أن يؤمَّ الناس ، فأيُّكم تَطِيبُ نَفْسُهُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذُ بالله أن نتقدَّمَ أبا بكر . رواه النسائىّ وأحمد . ثم اشتدَّ الحال ، وارتدَّت أحياءٌ كثيرة من العرب ، ونجم النفاق بالمدينة ، وانحاز إلى مُسَيْلِمَة الكذاب — لعَنَهُ الله — بنوحنيفة وخلقٌ كثيرٌ باليمامة ، والتفَّت على طليحة الأسدى بنو أسد

وطيء وبَشَرٌ كثير أيضا ، وادَّعى النبوة ، وضاق الحال حتى جعل الصِّدِّيقُ ـ رضى الله عنه ـ على أبواب المدينة حرسًا يبيتون بالجيوش حولها إلى أن كشف الله هذه الغُمَّة عن الأُمة ، ولما توفى أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء ، بُويِعَ عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه بالخلافة بعهد الصِّديق إليه ، فسمعوا له وأطاعوا ، ولم يتخلف عن بيعته لاصغيرٌ ولا كبير ، فانقطع فى أيامه الشِّقاق والنفاق ، وانْحَسَمَ الباطلُ ، وقَوِىَ الحقُّ ، وقام السلطان ، وظهر أمر الله تعالى ، وفتحت فى أيامه الفتوحات : بلاد مصر ، والشام ، وحلب ، والجزيرة ، وبلاد فارس ، وتُسْتَرَ [1] ، والأهوَاز ومَا سَبَذَان [2] ، وقَرْقِيسِيَا [3] ، وتكريت ، والمَوْصِل ، وحُلْوَان [4] ، والمدائِن ـ التى هى كرسِى كسرىَ والسُّوس [5] ، وجنْدِى

---

(١) تستر : هى القاعدة الثانية لخوزستان ، ويسميها الفرس شوستر وشوشتر ، ولها قلعة حصينة وتبعد عن الأهواز ميلا . ومنها طريق يمتد غرباً إلى العراق ـ ليسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ٢٦٩ .

(٢) ماسبذان : كورة بأرض الجبال على حد العراق الغربى فى جنوب سهل ماى دشت (المرجع السابق ٢٣٧)

(٣) قرقيسيا : مدينة تقع عند ملتقى نهر الخابور بنهر الفرات ، ويقال إنها حصن الزباء التى أخذت خذيمة الأبرش . هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ٢ : ٥٣٧ ياقوت ، معجم البلدان ٤ : ٦٦

(٤) حلوان : مدينة على الحدود بين العراق وإقليم الجبال (عراق العجم) ـ ليسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ٢٢٦ و ٢٢٧

(٥) السوس : مدينة قديمة فى إيران (خوزستان) وآثارها باقية ، وعندها يكرمون قبر النبى دانيال .

المنجد ـ معجم أعلام الشرق والغرب ٢٧١ . وكذلك القلقشندى، صبح الأعشى ٤ : ٣٢٦

سَابُور[1] ، ونَهَاوَنْد ، وأَصْبِهَان ، وكِرْمَان ، والدينور[2] ، وقُم ، وقَاشان[3] ، والرَّى ، وقُومَس[4] ، وجُرْجَان ، وطَبَرِسْتَان ، وباب الأَبواب[5] ، وجبال الّلان[6] ، وتَفْلِيس[7] ، ومُوقَان[8] ، وبلاد خُرَاسان ، وهَرَاة ، ومَرْوُ الشّاجان[9] ، ومَرْوُ الرُّوذ[10] ، وجور[11] ، ٥

(١) جندى سابور : وكانت قاعدة خوزستان فى عهد الساسانيين. لسترنج بلدان الخلافة ٢٧٣.

(٢) الدينور : مدينة بإقليم الجبال على بعد خمسة وعشرين ميلا غربى مدينة كنكوار ، وكانت قصبة لإمارة حسنويه فى المائة الرابعة الهجرية ، وسماها المسلمون بعد الفتح « ماه الكوفة » أى مالها لأعطيات أهل الكوفة . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٢٢٤.

(٣) قاشان : مدينة قرب أصفهان وبينهما ستة وثلاثون ميلا تقريباً ، وتذكر دائماً مع قم وبينهما اثنا عشر فرسخاً وتقع بينهما وبين ساوة . ياقوت : معجم البلدان ١٥ : ٢٩٦ و ٢٩٧ ط بيروت . ١٠

(٤) قومس : إقليم بين جبال البرز والمفازة الكبرى ، يشقه طريق خراسان آتياً من الرى بإقليم الجبال إلى نيسابور فى خراسان ، عاصمة الإقليم « الدامغان » وسماها العرب قومس.
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٤٠٤ و ٤٠٥ . ١٥

(٥) باب الأبواب ، ويسمى الدربند : بلدة تقع على الشاطىء الغربى لبحر قزوين شمالى باكو وقبالة تفليس . ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٩٤ .

(٦) جبال اللان : وتكون ولاية من ولايتى بلاد الخزر (جورجيا) من إقليم جيلان .
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٢١٣ .

(٧) تفليس : قصبة كرجستان « جورجيا » وتقع قرب باب الأبواب ، وهى مدينة كبيرة يشقها نهر الكرّ فى أعاليه . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٢١٦ . ٢٠

(٨) موقان : إحدى نواحى أذربيجان ، وأهلها يقولون « موغان » - ياقوت : معجم البلدان ٤ : ١٨٦ .

(٩) مرو الشاجان : هى مرو الكبرى ، مدينة وقلعة . يمر بها نهر « مرغاب » وهى عاصمة أحد أقاليم خراسان . ٢٥
لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ٤٣٩ .

(١٠) مرو الروذ : هى مرو الصغرى وتقع أيضاً على نهر مرغاب فوق مرو الشاجان بنحو ١٦٠ ميلا حين ينعطف شمالا من بعد خروجه من جبال الغور -
المرجع السابق : ٤٤٧ .

(١١) جور : هى فيروز أباد كما سماها عضد الدولة البويهى وهى من أعمال فارس . ٣٠
المرجع السابق : ٢٩١ وما بعدها .

ودار أبجرد[1] ، وسِجِسْتَانْ ، ومُكْران ، وغزوة التُّرك ، وغزوة الأكراد ، ومن بلاد المغرب : بَرْقَة ، وزُوَيْلة[2] .

وكانت الدنيا آمنة عامرة بأهلها ، إلى أن قُتِلَ عمر رضى الله عنه وهو قائم يصلى فى المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ضَرَبَهُ أبو لؤلؤة المجوسىّ الأصل ، الرومى الدار ، بخنجر ذات طرفين ؛ فضربه ثلاث ضربات ، وقيل ست ضربات إحداهن تحت الصِّفاق[3] ، ومات بعد ثلاث ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم سنة أربع وعشرين .

ثم وقع الاتِّفَاق والإجماع على عثمان بن عفَّان رضى الله عنه ، ومشى الحال فى أيامه ، وفُتِحَت الفتوحاتُ ، وغزوا فى أيامه أفريقية والأندلُس[4] ، وفتحت قبرص على يد معاوية بن أبى سيفان ، وفى أيامه [هلك][5] مَلِكُ الفُرس يَزْدَجِرْدُ آخر ملوكهم ، وانقرضت دولة الأكاسرة ، وفى

(١) دار ابجرد : أبعد كور فارس إلى الشرق .
لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ص ٣٢٥ .

(٢) زويلة : هى زويلة السودان عاصمة القزّان من أعمال ليبيا على ملتقى الطرق الصحراوية .
المنجد — معجم أعلام الشرق والغرب ٢٣٧ .

(٣) فى الأصل «السفاق» . والصفاق الجلد الباطن تحت الجلد الظاهر أو غشاء مابين الجلد والأمعاء .
معجم الوسيط ١ : ٥١٩ .

(٤) سار إليها عبد الله بن نافع بن الحسين وغزاها وعاد سنة ٢٦ هـ —
أبو الفدا — المختصر فى أخبار البشر ١ : ١٦٧ .

(٥) مابين الحاصرتين سقط فى الأصل . وما هنا من أبى الفدا — المختصر فى أخبار البشر ١ : ١٦٨ .

أيامه فتحت : الطَّالِقَان[1] ، وبَلْخ ، ومَرْو الرُّوذ ، وغير ذلك.

ثم قتل عثمان رضى الله عنه بعد قصة طويلة ، يوم الجمعة فى آخر ساعة منها ، لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقيل قتل يوم النحر منها .

ثم تولى علىٌّ رضى الله عنه بعد أمور كثيرة ، وأول من بايعه طلحةُ بنُ عبد الله بيده اليمنى ، وكانت شَلَّاءَ من يوم أُحُد ، وَقَى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعض القوم : والله لايتمُّ هذا الأَمرُ ، وكان كذلك ، وهرب خلق كثير من المدينة ، ولم يُبَايِعُوا عليًّا رضى الله عنه ، ولم يبايعه غالب أهل الأَمصار ، حتى معاوية فى الشام ، ثم وقعت فى أيامه وقعة الجمل ، وكانت فى سنة ست وثلاثين ، قتل فيها خلق كثير ، ثم وقعت وقعة صفِّين ، وكانت وقعة عظيمة مشهورة فى الإسلام ، وكان مع علىٍّ رضى الله عنه مائة وخمسون ألفا من أهل العراق ، وكان مع معاوية مائة وثلاثون ألفا من أهل الشام ، وكان القتال بينهم سبعة أشهر ، وقيل تسعة أشهر ، وقُتِل من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا ، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفا ، وكانوا يَدْفِنونَ فى القبر الواحد خمسين نفسا ، وكان مع كل من الفريقين جماعةٌ من الصحابة رضى الله عنهم ، ثم افترقوا برفع أهل الشام المَصَاحِفَ ،

---

(١) الطالقان : مدينة فى الديلم بين جبلين على ثلاث مراحل من مرو الروذ من جهة بلخ . لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٤٦٥ و ٤٦٦ .

ثم حكَّمُوا حكمَيْنِ وهما : عمرو بن العاص ، وأبو موسى الأشعرى ، ثم وقع الأمر لمعاوية ، وخالف أهلُ العراق عَلِيا ، ولم يزل فى اضطراب أمْرٍ [إلى] أن[1] قتل يوم الجمعة سحرًا لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين ، ودفن بالكوفة ، وغُبِّىَ[2] قبره رضى الله عنه ، ثم بايع أهل العراق ، الحسن ابن على رضى الله عنهما ، ولم يَتِمّ له الأمر حتى سلَّمَ [١٠] الأمر لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما ، وإنما ذكرنا هذا شاهدا لما ذكرنا .

وأما بيان أحوال سلاطين التُّرك ، فأول من ملك منهم السلطان الملك المُعِزّ أيْبَك التُّرْكُمَانى ، فإنه لم يتولَّ إلا بعد قَتْلِ الملك المعظم تورانشاه ابن الملك الصالح ، وبعد عَزْلِ شَجَرِ الدُّر حَظِيَّةِ الملك الصالح من السلطنة ، وكانت قد تولت السلطنةَ مُدةَ ثلاثة أشهر ، فلما تولى الملك المُعِزُّ فى أيام الفتنة ، وتحرَّكَ التَّترُ لَمْ يَنْتَعِشْ بالسلطنة .

وكذلك المظفَّر قُطُز ماتَوَلَّاها إلا فى أيام الفتنة ، وتَوَجهِ هُلاوُن إلى الشام ، وبعد عزل الملك المنصور نور الدين علىّ ابن المُعِزِّ أَيْبَك ، وكذلك الملك الظاهر بِيبَرْس البُنْدُقْدَارِى ماتولّاها إلا بعد قتل المظفَّرِ ووقوع الهرج ، وكذلك الملك المنصور قَلاوُن ماتولّاها إلا فى أيام الفتنة : أعنى فتنة التَّتَر ،

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل ليستقيم السياق .
(٢) غبىّ : ستر (محيط المحيط)

وبعد عزل الملك العادل بدر الدين سُلامِش بن الظاهر ، وفتنة سُنْقُر الأَشقر الذى تولّى السلطنة بدمشق وتلقّب بالملك الكامل ، وكذلك الملك العادل زين الدين كَتْبُغَا ما تولّى السلطنة إلا بعد خلع الناصر محمد بن قلاون ، وبعد وقوع فتنة كبيرة من مماليك الأَشرف خليل ، وكذلك المنصور لاجين ماتولّى السلطنة إلا بعد فتنة كبيرة من جهة عزل العادل ، وكذلك الملك المظفر بِيبَرس الجَاشْنكير ماتولاَّها إلا بعد خلع الناصر نَفْسَه عن السلطنة لمَّا سافر إلى كَرَك فى سنة ثمان وسبعمائة لأَجل الفتن ، وعدم تمشية أَمرِهِ مع العسكر ، وكذلك الملك الظاهر بَرْقُوق ماتولّى السلطنة إلا بعد عزل الصالح أَمير حاج ابن الأَشرف ، وبعد وقوع فتن كثيرة من جهة مملوكه إِيتَمُش الخَاصْكِى ، وكان قد اتْفق مع مماليك الأَسياد[1]. وبَكا الأَشرف على قتل الظاهر فأَعلمه الله تعالى ذلك ، وحبسهم فى خزانة الشمايل[2] ، وهم خمسة وستون نفسا ، منهم كُزُل الخطى وَيَلْبُغَا الخَازِنْدَار ، ثم مسك الأَبْغَا الدوَادَار العثمانى أَحد المقدمين بالديار المصرية وسجنه ، ثم بعد هذه

(١) مماليك الأَسياد : هم مماليك الأمراء أبناء السلاطين الذين لم يتولوا السلطنة وكان الواحد منهم يدعى « وسيادى » ابن اياس : بدائع الزهور ١ : ٢٧٠ .

(٢) خزانة الشمايل : نسبت إلى الأمير علم الدين شمايل والى القاهرة فى أيام الكامل ابن العادل أبى بكر بن أيوب . وكانت من أشنع السجون وأقبحها ، يحبس فيها من وجب عليه القتل ، ومن يريد السلطان هلاكه ، وقد هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى سنة ٨١٨ هـ وأدخلها فى جملة ماهدمه من الدور وبنى مكانها مدرسته وجامعه بجوار باب زويله — المقريزى — (المواعظ والاعتبار) ٢ : ١٨٨ .

الفتن تولى السلطنة يوم الأربعاء التاسع عشر من رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة .

ومنها أن مولانا السلطان الملك المؤيد ـ خلد الله ملكه ـ أصيل بالنسبة إليهم ، بيان ذلك : أن المعز أصله من التركمان ولم يعرف له غير ذلك ، وأن الملك المظفر قُطُز أصله من الترك غير معروف حتى قال بعضهم إنه من أولاد الناس[1] ، واسمه محمود بن مودود بن خوارزام شاه ، فإن كان هذا صحيحاً فلا يكون داخلاً فيما نحن فيه ، وأما الظاهر بِيبَرس فإن أصله قفجاق ، وقيل من بُرْج أُغلى وليس مشهوراً بالأصالة ، وقيل إنه من الأرمن ؛ فانظر إلى هذا الاختلاف .

وأما المنصور قلاون فإن أصله من خالصة القبجاق ، وقيل من تركمان قَزَغْلى ، وأما العادل كَتْبُغا فإن أصله من التتر غير معروف ، وأما المنصور لاجين فإن أصله من الجَرْكَس ، وليست قبيلته بمشهورة ، وقيل من التتر ، وأما المظفر بِيبَرس فإن أصله من التتر ، وقيل من الجَرْكَس ، وقيل غير ذلك ، وهو أيضا ليس بمشهور على الصحيح ، وأما الظاهر بَرْقُوق فإن أصله من جَرْكَس كَسَا ، ولا يقارب جنس مولانا السلطان الملك المؤيد ـ خلد الله ملكه ـ ولا غيره من هؤلاء السلاطين يُقارب جنس السلطان المؤيد ـ خلد الله ملكه ـ لأنا قد ذكرنا

(١) ويقصد بهم القطاء .

أن جنسه من كرموك ، وهو أشرف بطون الجراكسة ولا سيما هو من ذرية الملوك ، ومِمَّن اختلطَ فى نسبهم عربُ غسّان .

ومنها أن كل واحد من هؤلاء السلاطين تولّى السلطنة من غير أن يسبق له حكم ، وقبل أن يَعْرِف أحوال بلاده وأحوال رعيته ، بخلاف مولانا السلطان المؤيد ـ خلّد الله ملكه ـ فإنه قد تولّى النيابات فى البلاد الشّامية ، وظهرت له حكومات. وتقدّمت له [الأوامر][1] والنواهِى ، فأَوّلُ ما حكم فى مدينة طَرَابُلس ، ثم تولّى دمشق وبلادها ، ثم تولّى حلب وبلادها ، وكذلك حكم فى مدينة صَفَد ، ومدينة كَرَك ، ثم حكم فى الدِّيار المصرية أميرًا كبيرًا ، ثم تولّى السلطنة ، وعرف أحوالَ الناس والرعيّة من سائرِ الأَصناف ، ولا تحِقّ السلطنة إلا لمثل هذا .

ومنها أن مولانا السلطان ـ خلّد الله ملكه ـ شارك هؤلاء السلاطين فى أوصافهم الحسنة وفاق عليهم ، بيان ذلك :

أن المعز كان مشهورا بالحِلْم مع قِلّة التيقُّظ ، ومولانا السلطان الملك المؤيّد مشهور بالحِلْم مع اليقظة والحزم . وأن المظفر قُطُز كان مشهورا بمحبة العلماء والسُّنّة ، ومولانا السلطان كذلك مشهور ، بل أعظم منه ، فإن إحسانه إلى العلماء ، ولا سيما القادمين منهم من البلاد شىء لايوصف ، ولا سَبَقَهُ إليه أحد ، ومن جملة ماشاهدنا من ذلك : أن الشيخ

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل يقتضيها السياق .

شمس الدين الشهير بالعَدوِى كان قد قدم إلى الديار المصرية فى أواخر ربيع الأَول من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة لزيارة مولانا السلطان ـ خلدَ الله ملكه ـ ، فوجد قبولا عظيما وإحسانا جسيما ، والتعظيمُ الذى فعله مولانا السلطان فى حقه لم يوجَد من مَلِكٍ قَبْلَهُ لِعَالِمٍ قدم إليه ، وكذلك المرتبات التى رتبها له لم يرتِّبْها أَحدٌ مثله لمثله .

وأما الظاهرِ بِيبَرس[1] فإنه كان مشهورا بالغَزَوَات مع الفرنج ، ووطىء أرض الرُّوم حتى قَيْسَارِيَّة ، فكذلك مولانا السلطان المؤيد ـ خلد الله ملكه ـ اشتهرت له غزوات مع الفرنج بالسواحل الشامية ، وأنه وطىء بلاد الرُّوم أميراً وسلطانا ، ووطىء الأَراضى الفُرَاتِيَّةُ أيضا . ولم يصل إلى بلاد الرُّوم من السلاطين غير الظاهر بِيبَرس ومولانا السلطان المؤيد .

وأما السلطان المنصور قلاون فإنه كان مشهوراً بالصورة [١١] الحسنة ، والبهاء والجمال ، وعلوّ الهمة ؛ استدلالا بالمارستان الذى بناه بين القصرين ، فكذلك مولانا السلطان المؤيد ـ خلد الله ملكه ـ صاحب صورة جميلة ومنظرٍ حسن بهيج وبهاء ، وبسطة جسم ، وحسن قامة ، وعلو همة ؛ والدليل على ذلك : شروعه فى بناءِ مدرسة[2] إذا تمت ـ إن شاء الله تعالى ـ تفوق سائِر المدارس.

---

(١) كلمة بيبرس مدونة فى هامش اللوحة .

(٢) المراد الجامع والمدرسة بجوار باب زويلة . وقد حفر الأساس لهما فى جمادى الآخر سنة ٨١٨ هـ . وتم البناء فى أواخر سنة ٨٢٢ هـ أى بعد أن أتم المؤلف هذا الكتاب ـ المبارك ـ الخطط التوفيقية ٥ : ١٣٤ وما بعدها . وابن إياس ـ بدائع الزهور ٢ : ٦ .

وأما العادل كَتْبُغا فإنه كان مشهورا بالخير ، وبسط العدل ، والحكم بين الناس ، فكذلك مولانا المؤيَّد - خلد الله ملكه - مشهورٌ بالخير والصدقات إلى أهل العلم والفقراء ، وتفرقة الأموال الكثيرة على قراء الحديث والمصاحف ، والدليل عليه : أنه أعطى لقارئ الطحاوى وسامعيه من الذهب المصرى مائة وخمسين ، ما قيمته من الفلوس الجُدُد خمسة وثلاثون ألف درهم ، وكان الملك الذى قبله يصرف لهم من الفلوس الجدد مبلغ أربعة آلاف درهم .

وأما المنصور لاجين فإنه كان مشهوراً بقلة الأذى للناس ، فكذلك مولانا السلطان المؤيد - خلد الله ملكه - مشهورٌ بذلك ، فإن الناس أَمِنُوا فى أيامه على أنفسهم وأموالهم .

وأما المظفر بِيبَرس فإنه مشهور بعلُوِّ الهمة استدلالا بالخانقاه[1] التى أنشأها داخلَ باب النصر ، فكذلك مولانا السلطان الملك المؤيد كما ذكرنا .

وأما الظاهر برقوق فإنه كان مشهورًا بأنواع الفروسية من الرمح والنُّشّاب ونحوها ، فكذلك مولانا السلطان المؤيد مشهور بلا خلاف بالفروسية وأنواع الحروب ، بل فاق عليه بقوة الجنان ، فإنه قد ثبت بالتواتر أن مولانا السلطان فى الحروب

---

(١) الخانقاه : دار لنزول الصوفية يقيمون فيها عاكفين على العبادة . وخانقاه بيبرس جملة من دار الوزارة الكبرى بخط الجمالية بدأ بناءها المظفر ركن الدين بيبرس قبل أن يلى السلطنة فى سنة ٧٠٦ هـ وبنى بجانبها رباطاً كبيراً ، وقبة بها قبره - المبارك - الخطط التوفيقية ٤ : ٦٨ ، والنجوم الزاهرة ١٢ : ٧٠ .

كالجبل الراسى لا يتحرك يمينا وشمالا ، ويُحَرِّضُ من يرى فيه عجزا وكلالا ، ويجتهد فى ذلك بالعزم ، ولا ينزعج من حركات الخصم ، ولقد شاهَدَتْ العامّةُ والخاصّةُ ذلك منه فى مواطن كثيرة ، وقد أخبرنى بذلك جماعةٌ كثيرة من الأُمراء والأجناد وغيرهم .

ثم اعلم أنّ من جملة أسرار حروف اسم السلطان أنها مشتملة على الحروف النّارِيّة ، وهى الشين ، والهوائيّة وهى الياء ، والتُّرَابيّة وهى الخاء . وقد علم فى أسرار الحروف أنّها نارية ، وهوائية ، وترابية . ومائية . ثم الشين تدل على أن كل من عاداه ، أو عصَى عليه ، أو خرج من طاعته ، أو أضمر له سوءاً ، أو نوى له مكرًا وخديعة ، فإنه يحترق بناره ، ويتلاشى أمرُه ، ويتفرّقُ شمله ، ويَنْدَرِسُ حَالُه ، ولا يبقى له ولا لحاشيته أثر ولا خبر ، كالنار إذا وقعت فى أرض تأكل ما فيها كله . والياء تدل على أن من نصح له وأخلص فى طاعته ظاهرا وباطنًا تَنْصَبُّ عليه نفحات نسيمه الوسيم ، وتهب عليه نسمات برّه وخيره العظيم ، كالهواء فإنه حياة كل ذى روح ، وبقاءُ كل حيوان . والخاء تدل على عمارته بلاد رعيته ، ويدل على ذلك عدله ؛ وذلك لأن التراب تخرج منه أرزاق جميع العباد والحيوانات ، ويُسْتَر به من كان من الأموات ، . والشين فى الجمل الكبير ثلاثمائة ، وفى الصغير ثمانية ، والياء فى الكبير والصغير عشرة . والخاء فى الكبير ستمائة ، وفى الصغير ساقطة ، فالباق بعد الإسقاط ستة ، فإذا أضيف إليها ما بقى من اسم

أمه الحواء يكون تسعة ، فيكون نجمُه تاسع البرج وهو القوس
وهو تاسع السلاطين ، وطالعه المُشْترى وهو برج ذكر نهارى
نارىٌّ ملوكى ، ذو جسدين ، قوته من أول النهار إلى نصفه ،
يمتزج فيه الخريف بالشتاء ، حارة يابسة ، طبيعتها مرة
صفراءُ ، مُدَبِّرُها بالنهار الشمسُ ، وبالليل المشترى ، وشريكُهُما
بالليل والنهار زُحَلٌ ، وإذا نزلت الشمس إلى هذا البرج يكون
الليل أربع عشرة ساعة والنهار عشر ساعات ، وله من منازل
القمر ثلاثة : الشَّولةُ والنعَائم والبلدة ، وله ثلاثة وجوه ، الأَول
لعطارد ، والثانى لقمر ، والثالث لِزُحَل ، وهو آخر القوس ،
وقد كان ميلاد مولانا السلطان الملك المؤيد - والله أعلم - فى الوجه
الثالث ؛ لأَن العلامات التى فيه تدل على ذلك ، وهى تمام
القامة ، وبسطة الجسم ، وحسن الصورة ، وعُلوّ الهمة والإقبال
والسلطنة ، والرئاسة التامة الكاملة ، ودلّ هذا أيضًا على أُمور ،
الأَول : بيت الحياة يعمرُ طويلا ، ويعيش حميدًا سعيدًا .
الثانى : بيت المرض يعتلّ علة صعبة شديدة فى ثلاث سنين
من عمره وأُخرى فى اثنتى عشرة وأُخرى فى ثلاث وثلاثين ، فإذا
عدّى ذلك عاش طويلا ، وأكثر أمراضه فى أفخاذه وَصُلبه ؛
بسبب استيلام البلغم . الثالث بيت الأَقارب والإخوة : يكون
هو المقدم عليهم ، والمحبوب عند والِدَيهم ، ويتأخر بعدهَمُ
بزمان ، ويفارقهم من مكان . الرابع بيت الأَولاد : ويفرح

بالأولاد وربما يرزق ستة من الذكور غير الإناث [اللاتى [1]
تتزوج فى حياته ، وربما يأتى له توأمان . الخامس بيت
النساء : يتزوج كثيراً ، ويفرح باثنتين ، ويرى منهما البركة
والصلاح . والسادس بيت المال : يرزق مالاً عظيماً ، وينفق
أكثره فى سبيل الله ، وتُوَافِقُه التجارةُ ، وعمارة الأرضين
والبساتين . السابع بيت الأسفار : لايُخَافُ عليه فى السفر ،
بل يرى فيه أرباحًا ومكاسب . الثامن بيت الحُسَّاد والأعداء :
كلّ مَن يعاديه يهلِكُ أو ينالُه مكروه لا ينجو منه ، ولا يعمل
فيه كيدُهم ، ولو سحروه لا يعمل فيه السحر ، لعلوّ نجمه
وقوته . التاسع بيت علاماته الظاهرة : دلَّ نجمه على أن بفخذه
علامة ، وعلى صدره علامة أو شامة ، وعلى كتفه كذلك ، وربما
يكون فى جسده عقر الحديد . العاشر بيت علاماته الباطنة :
شديد البأس ، جرىء فى أموره ، يتكلم بكل ما يجرى على
لسانه ، ثم يندم من ساعته [١٢] ، يغضب ويرجع سريعًا ،
وهو كريم المشهد ، صدوق اللهجة ، سليم الناحية ، كثير
الحلم والصفح والعفو ، قابل للحق ولو فى وجه من يُحِبّه .
الحادى عشر ، ما يوافقه ومالا يوافقه من المشروبات :
المنقوع المُحَلَّى ، والتمر هندى المُحَلَّى ، ومن الفصوص :
الياقوت الأزرق ، ومن الدواب : الشقر ، ومن الثياب : الأصفر
والأخضر ، ومن الندماء والجلساء : من كان نجمه القوس والحمل

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة للسياق.

والأسد ، ولا يوافقه من كان نجمه العقرب والحوت والسرطان ، ويوافقه من الشهور العربية : رمضان ، ومن شهور الفرس : أذرماه ومن شهور الروم : كانون الأول ، ومن الأيام : الخميس ، ومن الزمان : الشتاء ، ويتوفى يوم الأربعاء[1] . الثانى عشر بيت

٥ ما ينبغى أن يفعله : ينبغى له إذا أراد أن يباشر النساء أن أن يتقلّل الطعام والشراب . وإذا نام يجعل رأسه مما يلى المشرق فإنه أصح لأحلامه ، وإذا أراد أن ينظر إلى الهلال ينظر على وجه ذكر – والله أعلم –

فهذا الذى ذكرنا عند بعضهم إنما يمشى قبل السلطنة ؛

١٠ لأن عندهم لا يحسب للسلاطين والملوك ، ومن الطوالع إلاّ بُرْج الأسد ، وطالع الشمس ، وهذه قاعدة عندهم واصطلاح ، ولا منازعة فيه ، ومن خواص هذا الاسم : أنه ليس [فيه][2] حرف من الحروف التى ينغلق بها الفم ، ففيه إشارة أن صاحبه دائما فى الفتوح والبركات .

١٥ ومن النكات فيه أن حروفه موجودة فى حروف بعض أسماء الأنبياء عليهم السلام ، فالشين موجودة فى اسم شُعَيب النبى عليه السلام ، وشعيا النبى عليه السلام ، وشمويل عليه السلام ، وشِيث النبى عليه السلام ، وشمشون النبى عليه السلام . والياء موجودة فى اسم يونس النبى عليه السلام ، ويحيى النبى عليه

٢٠ (١) ولم تصدق هذه النبوءة ، وتوفى المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الإثنين الثامن من المحرم سنة ٨٢٤ هـ .

عقد الجمان للمؤلف م ٦٨ ص ٥٠٦ – مخطوط بدار الكتب .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة السياق .

السلام ، ويوشع النبي عليه السلام ، ويوسف النبي عليه السلام ، ويعقوب النبي عليه السلام . ، والخاءُ موجودة فى الخليل عليه السلام ، وخضر النبي عليه السلام . وكذلك حروف اسم مولانا السلطان موجودة فى اسم نبيِّنا محمد عليه السلام ، وذلك لأَن العلماء عَدُّوا له سبعين اسمًا ــ ذكرها الفارقى فى كتاب البستان ــ منها : الشاهد والشكور وياسين ، فالشين والياءُ موجودتان فى هذه الأَسماء الثلاثة . وأما حرف الخاء فلا توجد إلا فى اسمه المذكور فى الإنجيل « خير طا » ، واسمه المذكور فى التوراة « خيذَاخيد » واختلف فى معنى هذين الاسمين ، فقيل معنى الأَول السّيد ، وقيل المختار . ومعنى الثانى نبى كريم ، وقيل نبىُّ الرحمة ، ثم السّر فى هذا أنه روى فى بعض الإسرائيليات : أنه إذا كان يوم القيامة يؤتى برجل فيحاسب فَتَغْلِبُ سيئاتُه حسناتِه فيُؤمر به إلى النار ، ثم ينادى أوقفوه وأنْظُرُوا هل تعلم فى الدنيا فى عمره شيئًا من العلم ؟ فينظرون فلا يجدون شيئًا ، ثم يقال انظروا هل جالَسَ العلماء فإن العلماء لا يشقى جليسهم ؟ فينظرون فلايجدون شيئًا ، ثم يقال : انظروا هل أحب العلماء فإن من أحب قوما فهو منهم ؟ فينظرون فلا يجدون شيئًا ، ثم يقال : انظروا أَرافق العلماء فى عمره مرة ؟ فينظرون فلا يجدون شيئًا ، ثم يقال : انظروا هل سكن فى محلة فيها عالم من العلماء ؟ ، فينظرون فلايجدون شيئًا ، ثم يقال : انظروا هل يوافق اسمه اسم أحد من العلماء ؟ فينظرون فلايجدون شيئًا من ذلك ، ثم

يقال : انظروا هل فى اسمه حرف من حروف اسم أحد من العلماء ؟ فينظرون فيجدون فى اسمه حرفًا من حروف اسم أحد من العلماء ، فَيُغْفَرُ له ببركة ذلك ، ويُسَاق إلى الجنة . فإذا كان من يستحق النار يغفر له ببركة وجود حرف فى اسمه من حروف اسم أحد من العلماء ، فأَولى وأَجْدَر وأَحقُّ أن يغفر [له] ويستوجب الكرامة من كان فى اسمه حروف من حروف اسم نَبىٍّ من الأَنبياء عليهم السلام ، ولاسيمّا حروف اسم مولانا السلطان - خلد الله ملكه - كلها موجودة فى أسماء الأَنبياء المذكورين عليهم السلام ، فإن قال قائل ، فكذا يوجد فى أسماء غيره من السلاطين التُّرك حرف من حروف اسم نبى من الأَنبياء عليهم السلام فيتساوى كلهم فى هذه الفضيلة ، قلنا : لا نسلم ذلك ؛ لأَن كلامنا فى اللفظ العربى ، فاسم مولانا لفظ عربى من المشتقات ، واسم غيره من السلاطين المذكورين لفظ أعجمى ، فإن أسماءهم أَيبُك وقُطُز ، وبِيبَرس ، وقلاوُن ، وكَتْبُغا ، ولاجين ، وبِيبَرس الثانى وبَرْقُوق ؛ فإنها أَلفاظ عجميَّة فلا تدخل فى المأْخذ الذى ذكرنا ، فإذا كان كذلك فقد فاق مولانا السلطانُ على هؤلاء بما تضمنه اسمُه الشريف مما ذكرنا . ومن أسرار هذا الاسم أن صاحبه إذا أراد أن يدعوَ الله تعالى عند طلب حاجة من جَلْب منفعة أو دَفْعِ مضرَّة ينبغى له أن يذكر الله تعالى بأَسمائه التى أوّل حروفها حروف اسمه نحو أن يقول : يا شكور ، يا شهيد ، يا خالق ، يا خبير . وأما حرف الياء فإنها تذكر فى أول كل اسم عند الدعاء نحو : يا أَالله ، يارحمٰن ، يارحيم وغير ذلك .

البَابُ الثَالِثُ

فى كُنْيتِهِ وَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ وَمَنْ تَكَنَّى بِهَا مِنَ الملُوك [1]

---

(١) فى الأصل « الباب الثالث فى كنيته ويدل عليه من تكنى به من الملوك » وما أثبته مما ورد سابقا فى ص ٢٦ عند تفصيل المؤلف للأبواب والفصول .

اعلم أن كنيةَ مولانا السلطان أَبُو النَّصْرِ ، وهى كل اسم يُصَدَّر بأم أو أب ، ويستعملها العرب للتَّعظيم والتَّوْقِير وربما يصير كالعَلَم بالغلبة ، أما العرب فإن الكنية عندهم باسم أوَّل وَلَد يُولَدُ له ، أو باسم أشهر أولاده سواء كان ذكرًا أو أنثى. وأما الملوك والسلاطين فإن الكنية عندهم ليست كذلك بل بلفظة يختارونها تفاؤلا بمعناها ، كما اختير لفظ « النصر » فى كنية مولانا السلطان ، وكما اختير لفظ « السّعيد » فى كُنْيَة الملك الظّاهر بَرْقُوق ، وكما اختير لفظ « الفَتْح » فى كنية الملك الظاهر بيبَرس. ثم لاشك أن وضع الكنَى أيضًا إلهامٌ من الله تعالى كالأسماء الأعلام ، يظهر سرُّها فى صاحبها ؛ ألا ترى أن الظاهر بِيبَرس لمَّا تكنَّى « بأبى الفتح » حصلت فى [١٣] أيامه فتوحات كثيرة ، ومنها قَيْسَارِيَّة[١] الشام ، وأَرْسُوف[٢] ويافا ، والشَّقِيف[٣] ، وأنطاكِيَة ، وبَغْرَاس[٤] ، وطَبَرِيَّة ، والقُصَير[٥] ، وحصن

(١) قيسارية الشام : بلدة على ساحل فلسطين ــ
ياقوت ، معجم البلدان ٤ : ٢١٤ .

(٢) أرسوف : مدينة على ساحل الشام بين قيسارية ويافا ــ
ياقوت ، معجم البلدان ٢ : ١٥٢ ط بيروت .

(٣) الشقيف : المراد شقيف أرنون وهى قلعة حصينة فى كهف جبل قرب بانياس من أرض دمشق ــ
ياقوت ، معجم البلدان ١٢ : ٣٥٦ ط بيروت .

(٤) بغراس : مدينة فى لحف جبل اللكام قرب أنطاكية ــ
ياقوت ، معجم البلدان ٤ : ٤٦٧ ط بيروت .

(٥) القصير : ضيعة ، وتعد أول منزلة من دمشق لمن يريد حمص ــ
ياقوت ، معجم البلدان ١٥ : ٣٦٧ ط بيروت .

الأكراد[1] ، وحصن[2] عكّار ، والقُرَين[3] ، وصافِيتا[4] وصفَد ، والقُلَيْعَات[5] ، وحَلْبَا ، وعِرْقَا . وقال النّوَيْرِي : أول فتوحاته قيساريّة الشام بالسواحل ، وآخر فتوحاته قَيْسَاريّة الرُّوم[6] . وأماعدّة فتوحاته فكانت تزيد على أربعين حِصْنًا ، وأخذ جميع قِلاع[7] الإسماعيلية ، وناصف[8] الفرنج على المَرْقَب[9] وبَانْيَاس[10]

---

(1) حصن الأكراد : حصن يقابل حمص —
ياقوت . معجم البلدان ٢ : ٢٧٦ .

(2) فى الأصل «عكا» والصواب ماهنا .
انظر السلوك للمقريزى ١ : ٥٩٢ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٨١ ويقع هذا الحصن شمالى طرابلس .

(3) القرين : حصن قرب صفد بفلسطين — المنجد — أعلام الشرق والغرب ٤١٥ .

(4) صافيتا : قضاء فى سوريا ، وبلدة به مبنية على أنقاض البرج الأبيض الفرسان الهيكليين فتحها بيبرس سنة ١٢٧١ م — المنجد — أعلام الشرق والغرب ٣٠٢ .

(5) القليعات : حصن قرب طرابلس الشام — المقريزى — السلوك ١ : ٥٤٥ هامش الدكتور زيادة .

(6) قيسارية الروم : تقع على نهر قاراصو أحد فروع نهرقزل أرمك ، وكانت عاصمة بنى سلجوق بآسيا الصغرى .
ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٢١٤ .

(7) الإسماعيلية : فرقة من الشيعة تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق : صارت دعوتها سياسية ، ويسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الهادية — وقلاعهم هى : الكهف ، والمينقة والقدموس والعليقة والخوابى والرصافة ومصياف والقليعة — وكانت كلها مضافة إلى طرابلس
انظر السلوك للمقريزى ٢ : ٥٧٧ هامش الدكتور زيادة .
والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٨٧ وهامشها ، وصبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ١٤٦ و ١٤٧ .

(8) ناصف : أى جعل ريعها مناصفة .

(9) المرقب : بلدة وحصن بساحل الشام قرب أنطرسوس ، وبينهما ثمانية أميال .
ياقوت . معجم البلدان ٤ : ٥٠١ .

(10) بانياس : بلدة فى سوريا قرب نبع الأردن بسفح جبل الشيخ ، وتطلق أيضاً على مرفأ جنوبى اللاذقية . المنجد : أعلام الشرق والغرب ٦٤ .

وبلاد أَنْطَرْسُوس، ومن جملة فتوحاته أنه كسر المَغُول على أَبُلُسْتَيْن[1]، وقتل توقو وتُدَاوُن، واستعاد من صاحب سيس[2] بلادًا كثيرة، واستردّ من أيدى المتغلبين من المسلمين بعلبكّ وصَرْخَد[3]، وعَجْلُون[4] وحِمْص، والصُّلت[5] وتَدْمُر[6] والرُّحْبَة[7] وتل بَاشِر[8] والكَرَك[9] والشُّوبَك[10]

---

(١) ابلستين : مدينة ببلاد الروم .

ياقوت معجم البلدان ١ : ٩٣ : ٩٤ .

(٢) هوجينوم بن قسطنطين بن باسيل ، وسيس هى عاصمة أرمينية الصغرى وتقع بين أنطاكية وطرسوس .

هامش الدكتور زيادة على السلوك ١ : ٥٥١ . وياقوت – معجم البلدان ٣ : ٢١٧ .

(٣) صرخد : بلدة وقلعة ملاصقة لحوران من أعمال دمشق –القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٠٧ .

(٤) عجلون : قلعة من جند الأردن فوق جبل عوف بالغور الشرقى . بناها عز الدين أسامة ابن منقذ أحد أمراء صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٨٠ هـ وكانت أولا دير راهب يسمى عجلون فنسبت إليه وتقع قبالة بيسان .

القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٠٥ .

(٥) الصلت : بلدة وقلعة جنوبى عجلون . هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣١٠ .

(٦) تدمر : مدينة شمال شرقى دمشق ، وبينها وبين حلب ١٥ فرسخاً . فتحها خالد بن الوليد سنة ٦٣٣ م .

المنجد – أعلام الشرق والغرب ١٦٦ .

(٧) الرحبة : رحبة مالك بن طوق على شاطئ الفرات جنوبى قرقيسيا –

ياقوت – معجم البلدان ٢ : ٧٦٤ .

(٨) تل باشر : قلعة وكورة شمالى حلب –

المرجع السابق ٥ : ٤٠ ط بيروت

(٩) الكرك : مدينة محدثة البناء – كانت ديراً ثم وسعه رهبانه حتى صار مأوى النصارى ، ثم صار قلعة –

القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ١٥٥ .

(١٠) الشوبك : قلعة فى أطراف الشام بين عمان والكرك وأيلة والقرم –

ياقوت – معجم البلدان ٣ : ٣٣٢ .

وفتح بلاد النُوبَة بكمالها ، جرّد إليها جيشًا مع الأَمير شمس الدين آقْسُنْقُر الفَارقَانى ، والأَمير عز الدين أَيْبَك الأَفْرَم فى مستهل شعبان من سنة أربع وستين وستمائة ، فوصلوا إلى دُنْقُلَة ، ولقيهم جمع السودان واقتتلوا ، فانهزم السودان ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وأسر منهم مالا يقع عليه الحصر حتى بيع كل رأْس بثلاثة دراهم ، وكان مَلِكُهُم داودَ فهرب إلى الأَبْوَاب ، وهى فوق بلاده ، فالتقاه صاحبها ، واسمه أَدُر وقاتله وقتل وَلَدَه وأَكثرَ من كان معه ، ومسكه وأرسله إلى السلطان أسيرًا ، فاعتقل فى القلعة إلى أن مات فى السجن ، وكانت مملكته لشكندة بن عمه فأَخذ داود منه الملكَ ظُلما ، فهرب منه وجاء إلى السلطان متظلمًا ، فكَسَر جَيْشُ[1] الظَّاهِرِ داودَ ، ومَلَّكُوا عِوَضَهُ شَكَنْده وَرَجعوا . وقال النُّوَيْرِى : أول من غزا النوبة فى الإسلام عبد الله بن أَبِى السَّرْح سنة إحدى وثلاثين فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، ثم فى زمن هشام بن عبد الملك ابن مَرْوَان ، ثم غزاها أبو منصور[2] هى وبرْقَة فى عام واحد ، ثم غزاها كافور الإخشيدى ، ثم غزاها ناصر الدولة [ابن][3] حمدان سنة تسع وخمسين وأربعمائة ، ثم غزاها شاهنشاه بن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف فى سنة

---

(١) فى العبارة اختصار يكاد يخل بالمعنى – وانظر السلوك للمقريزى ١ : ٦٢١ وما بعدها – والمواعظ والاعتبار ١ : ١٩٩ .

(٢) كذا فى الأصل – والمقصود هو أبو جعفر المنصور الخليفة الثانى من بنى العباس وهو الذى ضم برقة إلى مصر سنة ١٤٨ هـ .

(٣) مابين الحاصرتين ، إضافة من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٨٩ .

ثمان وستين وخمسمائة ، قلت ثم غزاها الملك الظاهر بِيبَرس كما ذكرنا وهو ثامنهم ، وسيغزوها الملك المؤيد إن شاء الله تعالى .

وكذلك الظاهر برقوق لَمَّاتَكَنَّى بأَبِى سعيد لم يزل سعيدًا فى حركاته إلى أن مات ، ومن جملة سعادته أنه مات على فراشه بين أولاده وعياله وحاشيته ومماليكه بِعِزَّة ، وَحُرْمَة وَافِرَة ، وأمرٍ نافِذ ، ووصية حسنة بأُمور كثيرة ، وكانت وفاته ليلة الجمعة منتصف شوال سنة إحدى وثمانمائة ، فأُخرجوه نهار الجمعة قبل صلاة الجمعة فى ملأٍ من الناس ومن أمرائه ومماليكه ، ودفنوه فى الحوش الذى كان أرصده لمماليكه ، والمؤذنون يؤذنون لصلاة الجمعة ، وهذه سعادة عظيمة لم تتفق لمن قبله من السلاطين ، ومن جملة سعادته أن مملوكه الخاص الذى كان ربَّاه مثل ولده قد قصد قتله فلم يحصل له حتى قتله هو ، وقضيته مشهورة لاتخفى ، ومن جملة سعادته أن السلطنة عادت إليه بعد أن خرجت منه على يد يَلْبُغا الناصرى ، ومن جملة سعادته أنه نجا من الموت والقتل لما كان مَحْبُوسًا فى قلعة الكَرَك ، وكان مِنْطَاش[1] المتغلب قد أرسل إليه من يقتله فأَنجاه الله تعالى لأُمور تكون له فى أيامه ، ومن جملة سعادته رجوع تَمُرْلَنْك عن بلاده بعد وصوله إلى الأَراضى الفراتية ، إما خوفًا منه ، وإما لغلبة

---

(١) هو الأمير تمر بغا الأفضل المعروف بمنطاش . انظر قصته فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١ : ٣٢٢ — ٣٧٠ .

سَعْدِهِ على سعد تَمُرْلَنْك ، ومن جملة سعادته صيرورة السلطنة بعده إلى ولدَيْه وهما فرج وعبد العزيز ، ثم إلى أعز خواصه من مماليكه الملك المؤيد ، ولم تخرج السلطنة من دائرته ، وغير ذلك من الأمور الغريبة التى اتّفقت له [و][1] التى فيها دلالة على سعادته العظيمة على مالا يخفى .

وكذلك كنية مولانا السلطان المؤيّد تدل على أنه منصور فى كل حركاته ، وكل أموره ، وأن النّصر لا يفارقه ؛ لأنه صار أبًا له فصار النصر كالابن ، والابن جزء من الأب ، فكذلك النصر جزء لمولانا السلطان المؤيّد ، وهذه الكنية أعظم من كنية الظاهر بيبَرس ، وكنية الظاهر برقوق ؛ لأن الله تعالى ذكر لفظ النصر فى كتابه الكريم فى مائة موضع وستة عشر[2] موضعاً : فى سورة البقرة « وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَهُمْ يُنْصَرُونَ »[3] . « ومَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ »[4] ، « مَالَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ »[5] ، « وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ ولاَهُمْ يُنْصَرُونَ »[6] ، « مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ »[7] ، « وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »[8] . « فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ »[9] .

---

(١) مابين الحاصرتين : إضافة على الأصل .

(٢) كذا ذكر المؤلف . والمعروف أن مواضع النصر وما يشتق منه فى القرآن الكريم — ماعدا لفظ النصارى — مائة وأربعة وأربعون موضعاً .

انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن — لمحمد فؤاد عبد الباقى ٧ : ٧٠١ وما بعدها .

(٣) الآية رقم ٤٨ . (٤) الآية رقم ١٠٧ .

(٥) الآية رقم ١٢٠ . (٦) الآية رقم ١٢٣ .

(٧) الآية رقم ٢١٤ . (٨) الآية رقم ٢٧٠ .

(٩) الآية رقم ٢٨٦ — هذا وقد سها المؤلف فى حصره عن قوله تعالى فى سورة البقرة أيضاً « وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » من الآية رقم ٢٥٠ .

وفى سورة آل عمران : « واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ ، مَنْ يَشَاءُ »[1] .

« أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِن نَّـٰصِرِينَ »[2] . « فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ »[3] . « لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ »[4] .

« أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ »[5] .

« يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ »[6] . « وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ »[7] . « وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ »[8] . « وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ »[9] . « إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ »[10] . « وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ »[11] .

وفى سورة النساء : « وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا »[12] . « وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا »[13] . « وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ

(١) الآية رقم ١٣ .
(٢) الآية رقم ٢٢ .
(٣) الآية رقم ٥٦ .
(٤) الآية رقم ٨١ .
(٥) الآية رقم ٩١ .
(٦) الآية رقم ١١١ .
(٧) الآية رقم ١٢٣ .
(٨) الآية رقم ١٢٦ .
(٩) الآية رقم ١٤٧ .
(١٠) الآية رقم ١٦٠ .
(١١) الآية رقم ١٩٢ .
(١٢) الآية رقم ٤٥ .
(١٣) الآية رقم ٥٢ .

نَصِيرًا »[١] . « وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »[٢] .
« وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »[٣] . « وَلَنْ
تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا »[٤] . « وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا
وَلَا نَصِيرًا »[٥] .

وفى سورة المائدة : « وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »[٦] .

وفى سورة الأنعام : فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وأُوذُوا حَتَّى
أَتَاهُمْ نَصْرُنَا »[٧] [١٤] .

وفى سورة الأعراف : « وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا
وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ »[٨] . « لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ »[٩] .

وفى سورة الأنفال : « وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ »[١٠] . « فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ »[١١] .
« هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ »[١٢] . « والَّذِينَ

---

(١) الآية رقم ٧٥ .
(٢) الآية رقم ٨٩ .
(٣) الآية رقم ١٢٣ .
(٤) الآية رقم ١٤٥ .
(٥) الآية رقم ١٧٣ .
(٦) الآية رقم ٧٢ .
(٧) الآية رقم ٣٤ .
(٨) الآية رقم ١٩٢ – وقد وردت فى الأصل «ولا هم ينصرون» وهو خطأ .
(٩) الآية رقم ١٩٧ .
(١٠) الآية رقم ١٠ .
(١١) الآية رقم ٢٦ .
(١٢) الآية رقم ٦٢ ، ويبدو أن المؤلف خلط هنا بين الآيتين هذه والسابقة فقال « فآواكم وأيدكم بنصره وبالمؤمنين » والصواب ما هنا .

ءاوَوْا وَنَصَرُوا »[1] . . . « وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ »[2] . « وَالَّذِينَ ءاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا »[3] .

وفى سورة التَّوبَة : « يُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُم عَلَيْهِمْ »[4] . « لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ »[5] . « إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ »[6] . « وَمَالَهُمْ فِى الأَرْضِ مِنْ وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ »[7] . « وَمَالَكُم مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ »[8] .

وفى سورة هُود : « وَيَٰقَوْمِ مَنْ يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ »[9] . « فَمَنْ يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ »[10] . « ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ »[11] .

وَفِى بَنِى إِسْرَائِيل[12] : « إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً »[13] . « ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً »[14] . « وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَٰناً نَصِيراً »[15] .

---

(١) الآية رقم ٧٢ .
(٢) الآية السابقة .
(٣) من الآية رقم ٧٤ ، وقد ترك المؤلف قوله تعالى « نعم المولى ونعم النصير » من الآية رقم ٤٠ .
(٤) الآية رقم ١٤ .
(٥) الآية رقم ٢٥
(٦) الآية رقم ٤٠ .
(٧) الآية رقم ٧٤ .
(٨) الآية رقم ١١٦ ، وقد سقط لفظ الجلالة فى الأصل .
(٩) الآية رقم ٣٠ .
(١٠) الآية رقم ٦٣ .
(١١) الآية رقم ١١٣ .
(١٢) وهى سورة الإسراء .
(١٣) الآية رقم ٣٣ .
(١٤) الآية رقم ٧٥ .
(١٥) الآية رقم ٨٠ .

وفى سورة الكهف : « وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا »[1] .

وفى سورة الأنبياء : « وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ »[2] .

وفى سورة الحج : « وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ »[3] . « ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ »[4] . « وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ »[5] .

وفى سورة المؤمنين : « قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ »[6] . « إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ »[7] .

وفى سورة الفرقان : « فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا »[8] « وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا »[9] .

وفى الشعراء : « هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ »[10] . « وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا »[11] .

وفى القصص : « فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ »[12] .

---

(١) الآية رقم ٤٣ — وفى الأصل « ولم تكن لهم » وهو خطأ .
(٢) الآية رقم ٦٨ .
(٣) الآية رقم ٤٠ .
(٤) الآية رقم ٦٠ .
(٥) الآية رقم ٧١ .
(٦) الآية رقم ٣٩ .
(٧) الآية رقم ٦٥ .
(٨) الآية رقم ١٩ .
(٩) الآية رقم ٣١ .
(١٠) الآية رقم ٩٣ .
(١١) الآية رقم ٢٢٧ .
(١٢) الآية رقم ١٨ .

« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ »[1]. « وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ »[2].

وفى العنكبوت : « وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ »[3]. « وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ »[4]. « وَمَا لَكُمْ مِن نَّاصِرِينَ »[5]

وفى سورة الرُّوم : « بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ »[6] « وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ »[7] « وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »[8].

وفى سورة الأَحْزَاب : « وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »[9]. « لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا »[10].

وفى فَاطِر : « فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ »[11].

وفى يس[12] : « لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ »[13]. « لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ »[14].

---

(1) الآية رقم ٤١ .

(2) الآية رقم ٨١ — ويبدو أن المؤلف نسى قوله تعالى « فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » من الآية المذكورة .

(3) الآية رقم ١٠ .

(4) الآية رقم ٢٢ .

(5) الآية رقم ٢٥ .

(6) الآية رقم ٥ .

(7) الآية رقم ٢٩ .

(8) الآية رقم ٤٧ .

(9) الآية رقم ١٧ .

(10) الآية رقم ٦٥ .

(11) الآية رقم ٣٧ .

(12) فى الأصل « ياسين » وما هنا رسم المصحف العثمانى .

(13) الآية رقم ٧٤ .

(14) الآية رقم ٧٥ .

وفى الصَّافَّات : « مَالَكُمْ لا تَنَاصَرُون »[1] . «وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَـٰلِبِينَ»[2] . « إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ »[3] .

وفى الزُّمَر : « ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ »[4] .

وفى سورة غَافِر : « إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا »[5]

وفى فُصِّلَت : « وَهُمْ لَايُنْصَرُونَ »[6] .

وفى الشُّورَى : «وَٱلظَّـٰلِمُونَ مَالَهُمْ مِنْ وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ »[7] « وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ »[8] . وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ »[9] . « وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ »[10] .

وفى الجَاثِيَة : «وَمَا لَكُمْ مِن نَّـٰصِرِينَ »[11] .

وفى الأَحقاف : « فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ اتَّخَذُوا »[12] .

وفى سورة محمد : «لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ »[13] . «إِنْ تَنْصُرُوا

---

(١) الآية رقم ٢٥ .
(٢) الآية رقم ١١٦ .
(٣) الآية رقم ١٧٢ .
(٤) الآية رقم ٥٤ .
(٥) الآية رقم ٥١ .
(٦) الآية رقم ١٦ .
(٧) الآية رقم ٨ .
(٨) الآية رقم ٣١ .
(٩) الآية رقم ٤١ .
(١٠) الآية رقم ٤٦ .
(١١) الآية رقم ٣٤ .
(١٢) الآية رقم ٢٨ .
(١٣) الآية رقم ٤ .

اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ »(1) . «فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ»(2) .

وفى الفتح : « وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا »(3) . « ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا »(4) .

وفى الطور : «وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ»(5) .

وفى القمر : « فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ »(6) «نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ »(7) .

وفى الرحمن : «فَلَا تَنْتَصِرَانِ» (8) .

وفى الحديد : «وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ» (9) .

وفى الحشر : «وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ »(10) . «وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ » (11)

وفى الصف : «كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ »(12) . «مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللَّهِ(13) » . «نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ » (14) .

---

(1) الآية رقم ٧
(2) الآية رقم ١٣ — وفى الأصل « ولا ناصر لهم » وهو خطأ .
(3) الآية رقم ٣
(4) الآية رقم ٢٢
(5) الآية رقم ٤٦ — وفى الأصل « وهم لاينصرون » وهو خطأ — والصواب ماهنا .
(6) الآية رقم ١٠
(7) الآية رقم ٤٤
(8) الآية رقم ٣٥
(9) الآية رقم ٢٥
(10) الآية رقم ١١
(11) الآية رقم ١٢
(12) الآية رقم ١٤
(13) الآية رقم ١٤
(14) الآية رقم ١٤

وفى الطَّارق : «فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ»[1] .

وفى الفَتْح : «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ»[2] .

وآخر ألفاظ النصر معقَّب بالفتح حيث قال الله تعالى «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» . ولا شك أنّ المنصور يَظْفَرُ بالفتح والسَّعْدِ[3] ، فالنصر هو أبلغ فى المعنى ؛ لأَن الفتحَ والسعدَ لايفارقانه ، والنُّكْتَةُ فيه أن مولانا السلطان – خلد الله ملكه – كُنِّىَ بـأَبى النصر بالإلهام الربَّانِىّ والوضعِ الالَهى ، وفيه إشارة له أن الفتح والسعد لايفارقانه ، فإن شاء الله تعالى يفتحُ له البلاد التى ليست فى ملكه ، ويُطِيعُ له العبادَ الذين ليسوا تحت أمره ، ولا يزال سعيدا فى حركاته وسكناته ، منصورا فى جميع مايتفق له من أموره ، والله على ذلك قدير ، وبالإجابة للأَدعية جدير .

وكل من تكنَّى بـأَبى النصر من الخلفاء أو الملوك والسلاطين أو الوزراء وجدناهم بالاستقراء قد تَقَضَّت أيامُهم بالخير والسّرور ، والنصر التّام وبلوغ الآمال ، وهلاك من عاداهم .

فمن الخلفاء أميرُ المؤْمنين الظاهر بـأَمر الله محمد بن أمير المؤمنين الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء بـأَمر الله أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأَمر الله أبى عبد الله محمد بن المستظهر بالله

---

(1) الآية رقم ١٠

(2) الآية رقم ١

(3) كلمة «السعد» واردة فى هامش اللوحة وقد أشير إلى مكانها بوضع رأس سهم بعد كلمة «الفتح» .

أبى العباس أحمد بن المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله بن ذخيرة الدِّين بن القائِم بأمر الله أبى جعفر عبد الله بن القادر بالله أبى العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر بالله أبى الفضل جعفر بن المعتضد بالله أبى العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم بالله أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد ابن المهدى محمد بن عبد الله أبى جعفر المنصور محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمى العباسى ، وهو الخامس والثلاثون من خلفاء بنى العباس ، يُكَنَّى أبا النصر . قال المؤرخون : وليس فى الخلفاء من يُكَنَّى بأبى النصر غيرُه . بويع له يوم الأحد سلخ شهر رمضان من سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وتوفى يوم الجمعة ثانى عشر رجب من سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان متواضعًا ، عادلاً ، محسنا إلى الرعيّة .

وقال ابن كثير : وكان من أجود بنى العبّاس سيرة ، وأحسنهم سريرة ، وأكثرهم عطاءً ، وأحسنهم منظرا ورِداءً ، وكان قد رَدَّ المظالم ، وأسقط المُكُوس ، وخفَّف الخراج عن الناس ، وأدى ديُونَ العاجزين عن أدائها ، وأحسن إلى العلماء والفقراء ، وما كان يُوَلِّى إلا أصحاب الدِّيانات والأمانات ، وكان قد كتب كتابًا إلى وُلَاةِ الرعية حين تولّى الخلافة وفيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : اعلم أنّهُ ليس إمْهَالنا إهْمَالاً ، ولا إغضاؤنا احتمالا ، ولكن [١٥] لنبلوكم أيكم أحسن

عملا ، وقد غفرنا لكم ماسلف من تخريب البلاد ، وتشريد الرعايا ، وإظهار الباطل الجلىّ فى صورة الحق الخفىّ ـ حِيلَةً ومَكِيدةً ـ وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاءً واستدراكا ؛ لأغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثين ليث باسِل وأسد مهيب ، تتفقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد ، وأنتم أمناؤه وثقاته فَتُميلُونَ رأيَه إلى هواكم ، وتمزجون باطله بحقه ؛ فيطيعكم وأنتم له عاصون ، ويوافقكم وأنتم له مخالفون ، والآن فقد بدّل الله بخوفكم أمنا ، وبفقركم غنى ، وبباطلكم حقـًا ، ورزقكم سلطانا يُقِيلُ العَثْرَةَ ولا يؤاخذ إلا من أَصَرّ ، ولا ينتقم إلا ممن اَسْتمرّ ، يأمركم بالعدل وهو يريده ، وينهاكم عن الجور وهو يكرهه ، فكم يخاف الله ويخوفكم مَكْرَه ، ويرجو الله ويرغبُكُم فى طاعته ، فإن سلكتم مسالكَ خلفاء الله فى أرضه وأمنائه على خلقه وإلا هلكتم والسلام .

ومن الخلفاء الفاطميين ، أبو المنصور ، وقيل أبو النصر نِزَارُ الملقب العزيز بالله بن المعز بن المنصور بن القائِم بن المهدى العُبَيْدى ، صاحب مصر وبلاد مَغْرِب ، ولى العهد بمصر يوم الخميس الرابع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وتوفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة فى مَسْلَح[1] الحمام فى

(١) المسلح هنا : الحوض وهكذا ضبط فى الأصل ـ انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٣ .

بُلْبَيس ، وكان كريما شجاعًا ، حسن العفو عند المقدرة ، وهو الذى اختطّ أساس الجامع[1] بالقاهرة مما يلى باب الفتوح ، وفى أيامه بُنِى قصرُ البَحْر[2] بالقاهرة لم يبن مثله فى شرق ولا غرب ، وقصر الذهب[3] ، وجامع القرافة ، والقصور بعين شمس . ٥

وَمن السلاطين الذين تكَنّوا بأَبى النصر ، بهاءُ الدَّولة فَيْرُوز ابن عَضُد الدَّولة فَنَّاخُسْرُو ابن ركن الدَّولة أَبى على الحسن بن بُوَيْه بن فنَّاخسْرو بن تمَام بن كُوهِى بن شيرزيل الأَصغر بن شيركده بن شيرزيل الأكبر ابن شيراز شاه بن شيرفنه بن شنشان شاه بن سَسَن قرو بن شيروَزيل بن مسناذ ١٠ ابن بهرام جور الملك بن يزجرد بن هرمز كرمانشاه بن سابور الملك بن سابور ذى الأَكتاف ، وكانت سلطنته أَربعًا وعشرين سنة ، وكان شجاعًا باسلاً .

ومنهم أبو النصر السلطان مسعود بن السلطان محمود ابن سُبُكْتِكين . كان ملكا جليلا ، كثير الصدقة ، تصدق ١٥ مرة فى شهر رمضان بأَلف ألف درهم ، وكان كثير الإحسان

---

(١) المراد به جامع الحاكم ، الذى يعرف بجامع الأنور . أسسه العزيز بالله ، وأتمه الحاكم بأمر الله .

انظر المقريزى — المواعظ والاعتبار ٢ : ٢٧٧ . ٢٠

(٢) نسبة إلى باب البحر الذى يدخل إليه منه — وكان من جملة القصور الداخلة فى القصر الكبير الشرقى .

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١١٣ .

(٣) ويقال له أيضاً قاعة الذهب . وهى إحدى قاعات القصر الكبير الشرقى .

المرجع السابق ٤ : ١١٣ .

إلى العلماء وصنَّفُوا له التَّصَانِيف الكثيرة ، وكان ملكه عظيما ، ملك أصْبهان والرَّىّ وطَبَرِسْتَان وجُرْجَان وخُرَاسان وخُوَارِزْم وكَرْمَان ، وسِجِسْتَان والسِّنْد وغَزْنَة وغير ذلك ، وأطاعه أهلُ البَرِّ والبحر .

وكذلك مولانا السلطان الملك المؤيد ؛ كثير الإحسان إلى العلماء خصوصا إلى القادمين منهم ، ولقد أصرف إلى العلماء والسامعين الحديثَ النبوى فى شهر رمضان ما لم يصرفه أحد قبله من السلاطين .

ومنهم أبو النصر نصر الدولة أحمد بن مَرْوَان الكُرْدى صاحب دِيَار بَكْر ومَيّافارِقِين[1]. وكان ملكا عظيما ، ملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة ، وتنعّم تنعمًا لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، كان عنده خمسمائة سَرِيّة سوى من يخدمهنّ ، وعنده خمسمائة خادم ، وعنده من المُغَنِّيات شىءٌ كثير ، كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار وأكثر ، وكان يحضر فى مجلسه من الآلات والأوانى ما تساوى مائتى ألف دينار ، وتزوّج بعدةِ بنات من بنات الملوك ، وكانت بلادُه آمنَ البلاد وأطيبها وأكثرها عَدْلاً ، وقد بلغه أن الطيور تتوجه فى الشتاء من الجبال إلى القُرى فيصطادها الناس ، فأَمَرَ بفتح الأهراء[2] وألقى

---

(١) ميافارقين : مدينة حصينة بديار بكر قرب آمد. ياقوت : معجم البلدان ١٨ : ٢٣٥ ط بيروت

(٢) الأهراء هى الأماكن التى تخزن بها الغلال والأتبان احتياطاً للطوارئ ، وكانت لاتفتح إلا للضرورة — المقريزى – السلوك ٢ : ٥٠٧ هامش الدكتور زيادة .

ما يكفيها من الغلات مدة الشتاء فكانت تكون فى ضيافته طول عمره .

وقال ابن خلكان : قال ابن الأزرق[1] فى تاريخه : إنه لم يُصَادِر واحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته اللّذّات ، وكانت له ثلاثمائة وستون حَظِيّة ، يبيت عند كل واحدة ليلة من السنة ، ولم [يزل][2] كذلك إلى أن توفى فى التاسع والعشرين من شوال من سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، وعاش سبعًا وسبعين سنة .

ومن الوزراء : أبو النصر عميد الملك منصور بن محمد وزير السلطان طُغْرُلْبَك ، كان ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لَدَيْهِ فضائلُ جمّة ، حاضرَ الجواب سريعَهُ .

ومنهم أبو النصر سابور بن أرْدَشير وزير بهاء الدولة أبى النصر [ابن] [3] عضد الدولة ، كان من أكابر الوزراء ، وأماثل الرؤساء ، جُمِعَتْ فيه الكفايةُ والدِّراية ، ومَدَحَهُ الشعراءُ لكرمِهِ وفضلِهِ .

ومنهم أبو النصر محمد بن محمد بن جَهير الملقب بعميد الملك أحد مشاهير الوزراء وزير القائِم ثم [وزر][4] لِوَلَدِهِ

---

(١) وهو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث. أبو الفضل الأزرق وتوفى سنة ٥٩٠ هـ وتاريخه هو تاريخ ميافارقين. حققه الدكتور بدوى عبد اللطيف ونشرته وزارة الثقافة — وانظر الأعلام الزركلى ٤ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ط رابعة .

(٢) مابين الحاصرتين ، غير وارد فى الأصل .

(٣) مابين الحاصرتين غير وارد فى الأصل .

(٤) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل للتوضيح .

المقتدى ، وكان ذا رأى وعقل وحزم ، وتدبير وإحسان إلى العلماء والفقراء .

ومن تكنّى بأبى النصر من العلماء الكبار أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابى التركى أكبر فلاسفة المسلمين - والرئيس أبو على بن سينا ، تخرج بكتبه وانتفع بكلامه . وكان إمامًا عظيما فى فنون شتى ، خصوصا المنطق والحكمة والموسيقة . وقال ابن خِلِّكان : ويُحْكَى بأنَّ الآلة المسماة بالقانون من وضعه ، وهو أول من ركبها هذا التركيب . وقدم دمشق وكان بها إذ ذاك سيف الدولة ابن حَمْدَان فأحسن إليه وكان نديمه . فانظر إلى هذا الملك الذى كان نديمه الفارابى ، وشاعره المتنبِّى وخطيبه ابن نُبَاتة . وقال ابن خلكان : ورأيت فى بعض المجاميع : أن أبا نصر لما وَرَدَ عَلَى سيفِ الدولة بن حَمْدَان ، وكان مجلسه مجلسَ العُظَمَاء فى جميع المعارف ، فدخل عليه وهو بزىّ الأتراك ، فوقف وقال له : سيفَ الدولة أقعد حيث أنا أو حيث أنت ؟ فقال حيث أنت . فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى سند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه ، وكان على رأسِ سيف الدولة مماليكُهُ وله معهم لسان خاص يسارهم به قَلَّ أن يَعْرِفَه أَحدٌ [١٦] ، فقال لهم بذلك اللسان إنَّ هذا الشيخ قد أساء الأدب ، وإنى مسائله عن أشياء إن لم يُوفِ بها فأخرقُوا به ، فقال لهم بذلك اللسان : أيها الأمير اصبِر فإنَّ الأُمورَ بعواقبها ، فعجب سيفُ الدولة منه ، وقال له :

نعم . أَتُحْسِنُ هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لسانًا ، فَعَظُمَ عنده ، ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين فى المجلس فى كل فنّ ، فلم يزل كلامُه يعلو ، وكلامُهم يسفُل حتى صمت الكلُّ وبقى يتكلم وحدَه ، ثم أخذوا يكتبون مايقول . فصرفهم سيفُ الدولة وخلا به ، فقال له : هل لك فى أن تأكل ؟ فقال : لا ، فقال : فهل تشرب ؟ فقال :لا ، فقال : هل تسمع ؟ فقال :نعم . فأمر سيفُ الدولة بإحضار القِيَان ــ وكان له عشر جُوَق ، كل جوقة عشر قَيْنَات ــ فأحضرَهُن ، وأحضر كل ماهو فى هذه الصناعة بأنواع الملاهى ، فلم يحرِّك أحدٌ منهم آلته إلا وغلبه الشيخ ، وقال أخطأْت . فقال له سيفُ الدولة : هل تحسن فى هذه الصنعة شيئا ؟ قال : نعم . ثم أخرج من وسطه خريطة ففتحها ، وأخرج منها عيدانا فركّبها ، ثم لَعِبَ بها فضحك كل من فى المجلس ، ثم فكَّها وركبها تركيبا آخر فضرب بها ، فبكى كل من فى المجلس ، ثم فكَّها وغيَّر تركيبها وحرَّكها فنام كل من فى المجلس حتى البواب ، فتركهم نيامًا وخرج . وكان أزهدَ الناس فى الدنيا ، لايحتفل بأمر مكسب ولا مسكن ، وأجرى عليه سيفُ الدولة كلَّ يوم من بيت المال أربعة دراهم ، وهو الذى اقْتَصَر عليها لقناعته ، ولم يزل عَلَى ذلك إلى أن توفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق ، وصلى عليه سيفُ الدَّوْلَة فى أربعة من خواصِّه ،

وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن خارِجَ الباب الصغير .

ومن العلماءِ المُحَدِّثين الكبار الأَميرُ أبو النصر سعدُ الملك عليُّ بن هِبَةِ اللّه ، المعروف بابنِ ماكُولاَ[1] صاحب المصنفات النافعة منها كتاب الإكمال وعليه اعتماد المُحَدِّثِين .

ومن العلماءِ الحنفيةِ الكبار أبو نصر الأَلوسى الإمام الكبير من أئمة الشروط ، ومنهم أبو النصر الصفَّار أحمد بنُ محمد ، ومنهم أبو النصر[2] الدامَغَانِي من البيت المشهور ، ومنهم أبوالنصر الأَقطع[3] شارح القدورى .

ومن الشعراءِ المشهورين المجيدين أبو النصر عبد العزيز ابن عمر بن محمد التميمى السعْدى[4] ، طاف البلاد ، ومدح الملوك والوزراء ، والرؤساء .

ومن أسرار هذه الكُنْيَةِ أن صاحبها إذا أراد أن يَدْعُوَ الله تعالى عند طلب حاجة من جَلْبِ منفعة أو دَفْعِ مَضَرَّةٍ ، يَنْبَغِى

---

(١) هو على بن هبة الله بن على بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن الأمير أبى دلف القاسم ابن عيسى بن إدريس بن معقل العجلى المتوفى سنة ٤٧٥ هـ وكتابه الإكمال فى المختلف والمؤتلف من أسماء الرجال . يطبع حالياً فى الهند — وانظر ترجمته فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ١١٥—١١٦ .

(٢) هو قاضى القضاة أبو عبد الله الدامغانى — نسبة إلى دامغان مدينة من بلاد قومس — محمد بن على بن محمد الحنفى ، توفى سنة ٤٧٨ هـ ودفن فى القبة بجوار أبى حنيفة — العبر للذهبى ٣ : ٢٩٢ .

(٣) هو أحمد بن محمد المعروف بأبى نصر الأقطع ، توفى سنة ٤٧٤ هـ — انظر حاجى خليفة — كشف الظنون ٢ : ١٦٣١ .

(٤) السعْدى : لم يستدل عليه المحقق فى المراجع الميسرة له .

له أن يُكثِرَ من قوله ، «فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ »[1] ، «وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ »[2] ، «وكَفَى باللَّهِ نَصِيرًا »[3] ، «وَاجْعَلْ لَنَا مِن لَّدُنْكَ نَصِيرًا »[4] «نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِير »[5] ، «واجْعَل لِّى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَـٰنًا نَصِيرًا »[6] .

٥

(١) الآية رقم ٢٨٦ من سورة البقرة .
(٢) الآية رقم ٢٥٠ من سورة البقرة ، والآية رقم ١٤٧ من سورة آل عمران .
(٣) الآية رقم ٤٥ من سورة النساء .
(٤) الآية رقم ٧٥ من سورة النساء .
(٥) الآية رقم ٤٠ من سورة الأنفال .
(٦) الآية رقم ٨٠ من سورة الإسراء .

١٠

البَابُ الرَّابع

فى لَقَبِهِ وَمَا يَدُلُّ عِلَيْهِ

وَمَنْ تَلَقَّبَ بِهِ مِنَ الملوك

اعلم أن لقب مولانا السلطان المؤيد ، وهو من الألقاب الحسنة التى تُشْعِرُ برفعة المسمَّى ، كما تَلَقَّبَ أبو بكر رضى الله عنه بالصدِّيق والعَتِيق ، وهو أول من تلقَّب فى الإسلام ، وسمى صدِّيقًا لتصديقه خَبَرَ الإسراء ، وقيل لتصديقه النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى أول الأمر ، وهو أول الناس إيمانًا ، وسمّى عَتِيقًا لأن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال : من أراد أن ينظر إلى عَتِيقٍ من النار[1] فلينظر إلى أبى بكر .

وقيل سمّى به لجمال وجهه ، وقيل إنه اسْمٌ سمَّتْهُ أُمه ، وأبو بكر كُنْيَتُهُ ، واسمه عبد الله بن أبى قُحَافَة عثمان بن عامر ابن صَخْر بن كَعْب بن سَعْد بن تيْم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤَىّ ، يَلْقَى أبَا النَبِىَّ صلى الله عليه وسلم فى مُرَّة بنِ كعب . وأُمُّهُ أُمُّ الخير سَلْمَى بنتُ صخر بن عامر[2] بن كَعْب ابن سَعْد . وكانت خلافَتُه سنتين وثلاثة أشهرٍ وعشر ليالٍ . وقال ابن الأثير : سنتين وأربعة . مات ليلة الثلاثاء لثمان بَقَيْن من جُمَادَى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء ، وله ثلاثٌ وستون سنة .

وتلقَّب عُمَرُ رَضِىَ اللّهُ عنه بالفاروق . روى الزُّهرى :أن

---

(١) فى الأصل « من الناس » وما هنا من الكامل لابن الأثير ٢ : ٢٠٥ .

(٢) فى المعارف لابن قتيبة ١٦٨ « صخر بن عمرو »

الذى لقَّبَه به أهلُ الكِتَابِ لِفَرْقِهِ بينَ الحق والباطل ، وقال الوَاقِدِىُّ بإسناده إلى عائشةَ : أنها سُئِلت من سمَّى عُمَرَ الفاروقَ ؟ قالت : النبىُّ صلى الله عليه وسلم . وهو أول من سُمِّىَ بأَميرِ المؤمنين ، وأول من حيَّاهُ بِهَا المُغِيرَةُ بنُ شُعْبَة ، وقيل غيرُه .

وهو عمرُ بنُ الخطاب عن نُفَيْل بن عبد العُزَّى ابن [قرط بن][1] رِياح بن عبدِ الله بن قُرط بن رِزَاح ابن عَدِىّ بن كَعْب بن [لُؤَى بن غالب][2] بن فِهْر بن مَالِك ، يَلْقَى أَبَا النبىِّ صلى الله عليه وسلم فى كَعْبِ بن لُؤَىّ ، وأُمه حَنْتَمَةُ ابنةُ هاشم ابن المُغِيرَة . وقد ذكرنا وفاته .

وتلقَّب عثمان رضى الله عنه بِذِى النُّورَيْن لمكانة ابنتَى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحته وهما رُقَيَّة وأُمُّ كُلْثُوم . تزوَّج أولاً رقيَّة ثم لما تُوُفِّيَت تزوْج بأُم كلثوم ثم تُوُفِّيت ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فى الجنة شجرةٌ ما عليها ورقة إلا مكتوبٌ عليها لا إلَه إلا الله محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق عمر الفاروق، عثمان ذو النُّورَين . رواه الطبرانى بإسناد فيه ضعف .

وهو عثمان بن عفَّان بن العاص بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصَىٍّ بن كِلاَب بن مُرَّةَ . وأُمُّه

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن مروج الذهب المسعودى ٢ : ٣١٣ ، والمعارف لابن قتيبة ١٧٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المعارف لابن قتيبة ١٧٩ .

أروى بنت كُريز بن رَبيعة بن عبد شمس . وقد ذكرنا وفاته .

ويلقَّب على رضى الله عنه بالمُرْتَضى ، ويُكَنَّى بأَبى تُرَاب . وأبو طالب اسمه عبدُ مناف بن عبد المطلب . واسمه شَيْبَة ، وأمه فاطمةُ بنتُ أَسَد بن هاشم بن عبد مَنَاف ، وقد ذكرنا وفاته . ٥

ولم تزل الخلفاءُ من بَنى أُمَيَّة يُلَقَّبُونَ بأمير المؤمنين ، ولا يَذْكُرُون غيرَ ذلك إلَى أَنْ انتَهَت الخلافةُ إلى بنى العباس رضى الله عنه .

فَأَوَّلُهُم أبو العباس السَّفَّاح بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب . فشرع بنو العباس يُلَقبونَ بألقاب ١٠ مختلفة كالمنصورِ ، والمهدِى ، والهادى ، والرشيد ، والمأمون ، والأمين ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمستنصر ، والمستعين بالله ، والمعتزّ ، والمهتدى ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمستكفى والمقتدر . والقاهر ، والراضى ، والمقتفى ، والمستكفى ، والمطيع والطائع ، والقادر ، والقائم ، والمقتدى ، والمستظهر ، والمسترشد ١٥ والراشد ، والمنتجد ، والمستضىء ، والناصر ، والظاهر ، والمستنصر والمستعصم[1] ، وهو آخر الخلفاء العباسيين بالعراق ، فبدأت الخلافة العباسية بالعراق بعبد الله السَّفَّاح ، وختمت بها بعبد الله المستعصم[2] ، وكانت عدّتهم ستةً وثلاثين خليفة ، فجملة أيامهم خمسمائة سنة [١٧] وأربع وعشرون سنة ، ولم تكن أيديهم ٢٠

(٢،١) فى الأصل « المعصم » .

حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أُمَيَّة قاهرة لجميع البلاد والأقطار والأمصار ، وخرج عن ملكهم بلادُ الغرب بكمالها .

وقارَنَ دولتَهُم دولةُ الفاطميين ببلاد مصر ، وبلاد الشام فى بعض الأحيان ، والحرمين فى بعض الزمان ، واستمرت دولتهم قريبًا من ثلاثمائة سنة ، وكان أوّلهم المهدى ، وآخرهم العاضِد ، وكان مُقَامُهم بمصر مائتى سنة وثمانى سنين . وهؤلاء أيضًا تَلَقَّبُوا بألقاب وهم : المهدىّ ، والقائم ، والمنصور ، والمُعِزُّ ، والعَزِيز ، والحَاكِم ، والظَّاهر والمستنصر ، والمُسْتَعْلِى ، والآمِر ، والحافِظ ، والظَّافر ، والفائِز ، والعَاضِد .

وكذلك تلقَّب بَنُوبُوَيْه بألقاب مختلفة وهم : معزُّ الدَّولة ، وعماد الدَّولة ، وركن الدَّولة ، وكانوا إِخْوَةً ، عمادُ الدولة أكبرُهم ، ثم ركنُ الدَّولة ، ثم مُعِزُّ الدَّوْلة ، واستولوا على البلاد وملكوا العِرَاقَيْن ، والأَهْوَاز ، وفَارِس . ثم كلٌّ من ملك من أولادهم وذراريهم يُلَقَّبُ بلقبٍ نحو عضد الدَّولة ، وصِمْصَام الدولة ، وجَلَال الدَّوْلَة ، وسيف الدَّوْلة ، وحُسَام الدَّوْلَة ، وغِيَاث الدَّوْلة ، ومؤيِّد الدولة ، وناصِر الدَّولة ، وعِزّ الدَّولة ، وشَرَف الدَّوْلة ، وبَهَاء الدولة ، وسُلْطَان الدولة ، ومَهِيب الدَّولة ، وأَسَد الدَّولة ، وقوَام الدَّولة ، وشبْل الدولة .

وكذلك تلقَّب بنو أيّوب بألقاب مختلفة وهم : الناصرُ صلاح الدين يوسفُ بن أيُّوب صاحب مصر والشام ، وأولاده

السبعة عشر : الأفضلُ نور الدين على ، والعزيزُ عماد الدين عثمان ، والظافِرُ مظفّرُ الدين خِضر ، والظاهرُ أبو منصور غياث الدين غازى صاحب حلب ، والمعز فتح الدين إسحاق ، والمؤيد نجم الدين أبو الفتح مسعود ، والأعزّ شرف الدين يعقوب ، والزاهر مجير الدين أبو سليمان داود ، والمفضل قطب الدين موسى ، والأشرف عز الدين محمد ، والمحسن ظهير الدين أحمد ، والمعظم فخر الدين تُورَانْشَاه ، والجواد ركن الدين أيّوب ، والغالب نصير الدين أبو الفتح ملكشاه ، والمنصور أبو بكر ، وعماد الدين شادى ، ونُصْرَة الدين مَرْوَان.. ولم يملك منهم بعدَه الدِّيَارَ المصرية والشامية غير الأفضل والعزيز والظاهر ، ثم مَلَكَ أخوه أبو بكر وتلقّب بالعادل ، ثم ابنُه الكامل ، ثم ابنُه الصالح نجمُ الدين أيوب ، وهو الذى جلب المماليك التُّرك فى الدِّيَار المصريّة .

وكذلك تلقّب سلاطين التُّرْك وأولادُهم بألقاب مختلفة ، وأولهم الملك المعزّ أَيْبَكُ التُّركُمَانِى ، تولى السلطنة يوم السبت آخر ربيع الأول من سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ثم الملك المنصور نور الدين على ابن المعزّ ، تولاَّها فى السادس والعشرين من ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وستمائة ، ثم خُلِعَ فى أوائل ذى الحجة من سنة سبع وخمسين وستمائة ، وتولى عوضه الملك المظفّرُ ، ثم تولى الظاهر بِيبَرْس ، ثم ابنُه السعيد بركة قان ، ثم أخوه الملك العادل سُلامِشْ ، ثم الملك المنصور قلاون ،

ثم الملك الأشرف خليل ابنه ، ثم أخوه الملك الناصر محمد ، ثم الملك العادل كَتْبُغَا ، ثم الملك المنصور لاجين ، ثم الملك الناصر [محمد] (١) ،ثم الملك المظفر بِيبَرْس الجَاشْنكِير ،ثم الملك الناصر [محمد] (٢) ، ثم ابنه الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ، ثم أخوه الملك الأشرف كُجَك ، ثم الملك الناصر أحمد ، ثم الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، ثم الملك الكامل شَعبان ، ثم الملك المظفر حاجى ، ثم الملك الناصر حسن ، ثم الملك المنصور محمد ، ثم الملك الأشرف [شعبان بن حسين] (٣) ، ثم الملك المنصور على ابنه ، ثم أخوه الملك الصالح أمير حاج ، ثم الملك الظاهر برقوق ثم الملك المنصور حاجى ، ثم الملك الظاهر برقوق ، ثم الملك الناصر فرج ، ثم أخوه الملك المنصور عبد العزيز ، ثم الملك الناصر [فرج] (٤) ثم المؤيد أيده الله بملائكته الكرام ، ولَقَبُهُ أَحْسَنُ الألقاب ، وكنيتُهُ أَحْسَنُ الكُنَى ، وبهما خاطب الله نبيَّه الكريم حيث يقول فى كلامه القديم « هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ (٥) » .

وقد ذكر الله اشتقاق هذا اللقب فى القرآن فى مواضع فى سورة البقرة ، « وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ » (٦) . ذكره فى موضعين ، وفى آل عمران ، « واللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ » (٧) . وفى سورة المائدة : « إِذْ أَيَّدْتُكَ

(١، ٢، ٣، ٤) ما بين الحواصر إضافة على الأصل .

(٥) الآية رقم ٦٢ — من سورة الأنفال .

(٦) الآية رقم ٨٧ ؛ والآية رقم ٢٥٣ .

(٧) الآية رقم ١٣ .

بروح القُدُس »[1] . وفى سورة الصّفّ ، « فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا »[2] ، وفى سورة الأنفال « فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ »[3] « هو الَّذِى أَيَّدَ كَ بِنَصْرِهِ »[4] .

وذكروا أنَّ من جملة أسماء النَّبىّ صلى الله عليه وسلم : المؤيّد ، أخذُوا ذلك من قوله تعالى ، « هُوَ ٱلَّذِى أيلكَ »[5] ، فلاشك أنه مؤيد منصور ، وكفى مولانا السلطان شرفًا أن يكون لقبه من أسماء النبى وصفاته التى وصفه الله تعالى بها ، ولم تلقب أحد من السلاطين الذين ملكوا مصر بهذا اللقب ، وهو لقب عزيز قد ادّخره الله تعالى لمولانا السلطان .

ومن تلقّب به من ملوك الآفاق ، الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن السلطان صلاح الدين يوسف بن الأمير نجم الدين أيوب بن شادى مروان صاحب رأس العين ، تولّاها وغيرها فى حياة أبيه .

ومنهم الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن ، وكان رسولُ جَدّهُم من التُّركُمان ، وكان ابن ابنه عمر مقدّمَ عساكر أقْسِيس بن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيُّوب

(١) الآية رقم ١١٠ .
(٢) الآية رقم ١٤ .
(٣) الآية رقم ٣٦ .
(٤ ، ٥) الآية رقم ٦٢ ، ويبدو أن المؤلف عدل عن ذكر بقية آيات التأييد — كالآية رقم ٤٠ من سورة التوبة ، والآية رقم ٢٢ من سورة المجادلة ، والآية رقم ٤٧ من سورة الذاريات ، والآية رقم ١٧ من سورة ص .

ابن شادى بن مروان ، واسم أقسيس يُوسُف ، ولقبُه الملك مسعود ، وكان قد تولَّى اليمن أربع عشرة سنة ، وكان قد مرض باليمن ، فكره المقام بها ، وسار إلى مكة ــ ومكة له أيضًا ــ فتوفى فيها فى سنة ست وعشرين وستمائة ، ودفن بالمعلى وعمره ست وعشرون سنة ، وكان لما سار من اليمن استخلف عليها علىّ بن رسول التُّرْكُمَانى المذكور ، فلما سمع على بذلك استولى على اليمن ، وحكم بها إلى سنة تسع وعشرين وستمائة ، ثم توفى ، واستقرّ مكانه عمر بن على ، وتلقب بالمنصور ، واستمر بها إلى سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ثم توفى واستقر مكانه ابنُه يوسف ابن عمر وتلقّب بالملك المظفر . وصفت له اليَمَن وطالت أيامُه ، وتوفى سنة أربع وتسعين وستمائة ، أقام فى الملك سبعًا وأربعين سنة ، وعمره قد جاوز ثمانين سنة . واستقر مكانَه ولدُه الأَكْبَرُ الملك الأشرف نجم الدين [١٨] عمر ، فلم يلبث سنةً حتى مات ، وقام أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفَّر ، وأقام فى الملك إلى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة ثم مات ، ثم تولَّى بعده ولده الملك المجاهِدُ سَيْفُ الدِّين علىّ ، ولما حجّ يَلْبُغَا روس نائب السلطنة بمصر وسيف الدين طاز سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وقع فى تلك السنة بين طاز وبين المُجَاهد هذا ــ وكان قد حجّ فى هذه السنة ــ وكانت الواقعة على جبل عَرَفَات ، فانتصر طاز ومسك المُجَاهِدَ وأحضره إلى الدِّيار المصرية ، واعتقل بقلعة الجبل سنة ، ثم أفرج عنه ، وتوجَّه إلى بلاده وأقام فيها إلى

أن توفى فى سنة سبع وستين وسبعمائة ، وتولىّ بعدَه ابنُه الملكُ الأَفضل عباس ، واستمر فيها إلى أن توفى فى سنة تسع وسبعين وسبعمائة ، وتولّى بعده ولدُه الملك الأَشرف إسماعيل ، واستمرّ بها إلى أن توفى فى سنة ثلاث وثمانمائة ، وتولّى عِوَضَه ولدُه أحمد وتلقَّب بالملك الناصر ، والآن هو الحاكم .

ومنهم الملك المؤيد إسماعيل بن الملك الأَفضل على بن الملك المظفر محمود بن الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر ابن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة ، توفى فى السابع والعشرين من محرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وكان ملكًا جليلاً عارفًا عازمًا ، وكانت له مشاركة فى عدة من العُلُوم ، وألف تاريخًا[1] كثير الفوائد ، ونَظَمَ الحَاوِى نَظْمًا مشحونًا بالفوَائد ، وله مصنفات معروفة ، باشر السلطنة بحمــاة مُدَّةً طويلة ولابن نباته[2] على التاريخ :

لله تاريخ له رونقٌ كَرَوْنَقِ الحَبَّاتِ فِى عِقْدِهَا
كَادَتْ تَوَارِيخُ الوَرَى عِنْدَهُ تَمُوتُ لِلْخَجْلَةِ فِى جِلْدِهَا

وكان هارون الرشيد قد تَلَقَّبَ أيضًا بالمؤيّد والموفّق والمظفّر .

---

(١) المقصود به : المختصر فى أخبار البشر .

(٢) هو محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة الجذامى، أبو بكر جمال الدين ، توفى سنة ٧٦٨ هـ بالقاهرة ـ انظر الزركلى ـ الأعلام ٣ : ٩٧٦ ط أولى .

فنرجو من الله تعالى أن يؤيِّد مولانا السلطان ، كما أيد هارون الرشيد إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

ثم المؤيد اسم مفعول من أيّد على وزن فعّل من الأَيْدِ وهو القوة ، ومنه قوله تعالى : « دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ »[1] . قال قتادة[2] ، أعطى فضل القوة ، ويقال : رجلٌ يدٌ أى قَوىٌ ، وقد وصف الله تعالى فى كتابه العزيز ثلاثة من الأنبياء الكبار عليهم السلام ، أولهم داود عليه السلام حيث قال : « ذَا الأَيْدِ »[3] . والثانى عيسى بن مريم عليهما السلام حيث قال . « إذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ »[4] « وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ القُدُسِ »[5] . والثالث محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ »[6] . وكذا وصف المؤمنين حيث قال : فَأَيَّدْنَا الَّذِين آمَنُوا »[7] .

ولم يذكر لقب من ألقاب السلاطين مثل ما ذكر هذا اللقب ، ففيه إشارة عظيمة لمولانا السلطان المؤيد ـ خلّد الله ملكه ـ حيث خصّه الله بهذا اللقب الشريف ، وقد ذكرنا أن وضع الألقاب إلهام من الله تعالى ، كما قيل الألقاب تُنَزَّلُ من السماء ، وفيه دلالة

(١ و ٣) الآية رقم ١٧ من سورة ص .

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز . أبو الخطاب السدوسى البصرى مات بواسط سنة هـ ١١٨ فى الطاعون ـ الزركلى ـ الأعلام ٢ : ٧٨٩ .

(٤) الآية رقم ١١٠ من سورة المائدة .

(٥) الآية رقم ٨٧ والآية رقم ٢٥٣ من سورة البقرة .

(٦) الآية رقم ٦٢ من سورة الأنفال .

(٧) الآية رقم ١٤ من سورة الصف .

على [أنه] [١] مُقَوّى على أعدائه ، فإذا كان هو مؤيَّدًا – بفتح الياء – ، فكذا هو مؤيِّدٌ – بكسر الياء – يعنى يُؤَيِّدُ شَرَائِعَ النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم ويقوّى أحكام الدين . وقد اجتمعت فيه هذه المحاسن ، وهى : اسمه الشريف شَيْخٌ الذى يَدُلّ على ما ذكرنا [من] [٢] أنَّه شيخُ الملوك والسلاطين ، وكنيتُه الشريفة أبو النصر التى تدل على ما ذكرنا [من] [٣] أن النصر صار جزءا منه وأنه لا يفارقه ، ولقبُهُ الشريف المؤيّد الذى يدل على أنه مُؤَيَّدٌ من عند الله ، ومُؤَيِّدٌ لدِينِهِ وشرائِعِهِ » .

ومن ألقابهِ الحسنةِ السلطانُ ، ومعناه الحجة ، يعنى هو حجةٌ فى الأرض . قال تعالى : « سُلْطَانًا مُبِينًا » [٤] ، أى حجة ظاهرة ، وقال ابن دُرَيد [٥] : سلطانُ كلِّ شىء حِدَّتُه وسَطْوَتُه ، ومنه اشتقاق السلطان ، وسلطان الدم تَبَيُّغُهُ [٦] ، وسلطانُ النّارِ إلهابها . قال : والسلطانُ فى التّنزيل مواضع ، وقال غيره : يقال للخليفة سلطانٌ لأنه ذو السلطان : أى ذو الحجة ، وقيل لأنّه به تقام الحجج والحقوق ، وكل سلطان فى القرآن ، معناه الحجة النيّرة ، وقيل اشتقاقه من السَّلِيط ، وهو دهن الزَّيْت

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط فى الأصل .

(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة على الأصل السياق اللغوى .

(٤) الآيات ٩١ و ١٤٤ و ١٥٣ من سورة النساء .

(٥) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدى . أبو بكر . من أئمة اللغة . ولد بالبصرة سنة ٢٢٣ هـ وتوفى ببغداد سنة ٣٢١ هـ .
إرشاد الأريب ٦ : ٤٨٣ .

(٦) يقال تبيغ الدم إذا هاج واضطرب (محيط المحيط) .

لإضاءتِهِ ، وقيل من سَلط بالضّم ، وَسَلُطَ سَلاَطةً وسُلُوطَةً إذا غَلَبَ وقهرَ . ومنه سَلَّطتهُ على فلان تَسْلِيطًا ، أى جعلتُ لَهُ عليه قوةً وقهرًا . ويقال : رجل سَلِيط : أى فصيح حَدِيدُ اللِّسَان ، وامرأة سَلِيطَةٌ : أى صَخَّابَةٌ . وقال ابن دُرَيْد : السليطة للذَّكر مَدْحٌ ، ولِلأُنْثى ذَمٌّ . ويُجمَعُ السلطان على سَلاَطِين كبرُهَان يجمع على بَرَاهِين ، وقيل لا يجمع إذا كان بمعنى الحُجَّة والبرهان ؛ لأن مجراه مجرى المَصْدَر ، وقد ذكره الله تعالى فى اثنين وثلاثين[1] موضعا .

فى سورة النساء : « جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا مُبِينًا »[2] .

« وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَنًا مُبِينًا »[3] .

وفى الأعْرَاف : « مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـنًا »[4] . « مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[5] .

وَفِى يُونُس : « إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَـٰنٍ بِهَٰذَا »[6] .

وفى هُود : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[7] .

وفى يوسف : « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[8] .

---

(١) يبدو أن المؤلف أخطأ الإحصاء ، والصواب أن مواضع السلطان فى القرآن الكريم تسعة وثلاثون موضعاً . ونبهت على سهو المؤلف فى موضعه .

(٢) الآية رقم ٩١ .

(٣) الآية رقم ١٥٣ ، وترك المؤلف الآية رقم ١٤٤ من السورة .

(٤) الآية رقم ٣٣ — وقد ترك المؤلف الآية رقم ١٥١ من سورة آل عمران .

(٥) الآية رقم ٧١ .

(٦) الآية رقم ٦٨ .

(٧) الآية رقم ٩٦ .

(٨) الآية رقم ٤٠ .

وفى إبراهيم : « فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[1] ، « مَاكَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَـٰنٍ »[2] ، « وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[3] .

وفى النَّحْل : « إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَـٰنٌ »[4] ، « إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ »[5] .

وفى بنى إسرائيل : « فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَـٰنًا »[6] . « إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ »[7] . « سُلْطَـٰنًا نَصِيرًا »[8] .

وفى الكهف : « بِسُلْطَـٰنٍ بَيِّنٍ »[9] .

وفى المؤْمِنون : بِآيَاتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[10] .

وفى النمل : « أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[11] .

وفى الذَّارِيَات : « إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[12] .

---

(١) الآية رقم ١٠ .
(٢) الآية رقم ١١
(٣) الآية رقم ٢٢
(٤) الآية رقم ٩٩ .
(٥) الآية رقم ١٠٠ ، وقد ترك المؤلف الآية رقم ٣٢ من سورة الحجر .
(٦) الآية رقم ٣٣ .
(٧) الآية رقم ٦٥ ، ويبدو أن المؤلف خلط بين هذه الآية والآية ٨٠ ، حيث وردت فى الأصل « إن عبادى ليس لك عليهم سلطاناً نصيرا » وهذا خطأ وقد تم تصويبه .
(٨) الآية رقم ٨٠
(٩) الآية رقم ١٥ — وهى فى الأصل « بسلطان مبين » وهذا خطأ والصواب ما هنا .
(١٠) الآية رقم ٤٥
(١١) الآية رقم ٢١
(١٢) الآية رقم ٣٨ وقد ذكر المؤلف هذه الآية مرة أخرى فى الصفحة التالية .

وفى القصص : « وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا »[1] .

وفى الروم : « أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِم سُلْطَـٰنًا »[2] .

وَفِى سَبَأٍ : « وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[3] .

وَفِى الصَّافَات : « وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[4] .

5 « أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُبِينٌ »[5] .

وفى غافر : « بِئَايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[6] . « إِنَّ الَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِى ءَايَـٰتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَـٰنٍ »[7] .

وفى الدُّخَان : « إِنِّى ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَـٰنٍ »[8] .

وفى الداريات : « إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَـٰنٍ مُبِين »[9] .

10 وفى الطُّور : « فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُبِينٍ »[10] .

وفى النجم : « مَا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَـٰنٍ »[11] .

وفى الرَّحْمَٰن : « لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ »[12] .

---

(1) الآية رقم ٣٥ .

(2) الآية رقم ٣٥ .

15 (3) الآية رقم ٢١ — وقد جاءت فى الأصل بدون كلمة « كان »

(4) الآية رقم ٣٠ .

(5) الآية رقم ١٥٦ .

(6) الآية رقم ٢٣ .

(7) الآية رقم ٥٦ ؛ وقد ترك المؤلف الآية رقم ٣٥ .

20 (8) الآية رقم ١٩ .

(9) الآية رقم ٣٨ .

(10) الآية رقم ٣٨ .

(11) الآية رقم ٢٣ .

(12) الآية رقم ٣٣ — وترك المؤلف الآية رقم ٧١ من سورة الحج ، والآية رقم ١٠٠ من

25 سورة النحل ، والآية رقم ٢٩ من سورة الحاقة .

وكلُّ من ملك مصر فى دولة الإسلام يُسمّى سُلْطَانًا ، ولكن إنما ظهر ذلك فى دولة بنى أَيُّوب ، لأن أَوّل من ملَك منهم هو السّلطان صلاح الدين أبو المظفّر يوسُفُ بن الأَمير نجم الدين أيّوب ، وكان قبل ذلك يُلَقّبُ الخلفاءُ الفاطميون كما ذكرناهم بألْقَابٍ مختلفة . وقبلهم [١٩] كانت الدَّوْلة الإخشيدِيّة والطُّولُونِيّة وغيرهم كما نذكُرُه ، ولَم يُلَقّب أحدٌ منهم بسلطان ، وإنما يُخَاطَب بالأَمير ، أو بلقب خاص على مانبيّنه إن شاء اللهُ تعـالى .

وكل من ملك مصر قبل الإسلام ، كان يسمّى فِرْعَوْنًا . وكل من ملك الإسكندرية كان يسمّى المُقَوْقَس . وكل من ملك الروم يسمّى قَيْصَر . وكل من ملك الفرس يسمّى كِسْرى . ومن ملك اليمن يسمى تُبّع . ومن ملك الحبشة يسمى النَّجَاشِيّ . ومن ملك اليونان [١] يسمى بَطلميوس . ومن ملك التُّرك يسمى خاقان . ومن ملك الشام يسمى هِرَقل . ومن ملك اليهود يسمى قطيون . ومن ملك الصّابئة يسمى غود . ومن ملك البربر يسمى جَالُوت . ومن ملك العرب من قبل العجم يسمى النُّعْمان . ومن ملك نيابة ملك الروم يسمى الدُّمُسْتُق . ومن ملك فرغانه يُسمى الإخشيد ومعناه بالعربية ملك الملوك . ومن ملك أسروشنه يسمى الأَفشين . ومن ملك خُوَارِزم يسمى خوارزم شاه . ومن ملك جُرْجَان يسمى صول . ومن ملك أَذْربيجان يسمى أصبهبذ . ومن ملك طَبَرسْتَان

(١) فى الأصل « الهند » وهو خطأ والصواب ما هنا .

يسمى سَالار . ومن ملك أفريقية يسمى جِرْجير [١] . ومن ملك السند يسمّى فوروَرْهُمن . ومن ملك الصين يسمى فَغْفُور [٢] . ومن ملك الهند يسمى فغبور . وعلى قول ومن ملك الزَّنْج يسمى هَيَّاج.ومن ملك الخزر يسمى رُتْبيل ، ومن ملك النوبة يسمى كابُل . ومن ملك الصقالبة [٣] يسمى ماجك . ومن ملك إقليم خِلاط يسمى شهرمان . ومن ملك الأرمن يسمى نَقْفُور . وهذه شجرة فيها عمود نسب نبينا عليه السلام ؛ ويتفرع منها سائِر الأَنبياء والملوك وغيرهم :

---

(١) أطلق المؤرخون العرب اسم جرجير على القائد البيزنطى فى أفريقيا ، واسمه الحقيق « جريجوريوس ».–
انظر . د . حسين مؤنس . تاريخ مصر ، سلسلة الحضارة المصرية ج ٢ ص ٣٢٦ ، وابن مسكويه ١ : ٢٧ .

(٢) فى تاريخ ابن مسكويه ١ : ٦٨ « من ملك الهند يسمى فور ».–
وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٣٤ « ومن ملك الهند يسمى رتبيل » .
وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٩٥ « ومن ملك السند يقال له رتبيل » ، كما جاء فى نهاية الأرب للنويرى ١٥ : ٢٨٤ « وجنس يدعى متاى وملكهم « رتبيل » وفى ص ٢٥٦ من نفس الجزء « رتبيل هو اسم لمن يملك هذه الجهة من الهند » ومن هذا يتضح عدم استقرار المؤلفين العرب على رأى فى ذلك الصدد .

(٣) الكلمة غير واضحة فى الأصل – وما هنا من نهاية الأرب للنويرى ١٥ : ٢٨٤ .

تعليقات خاصة بشجرة الأنساب

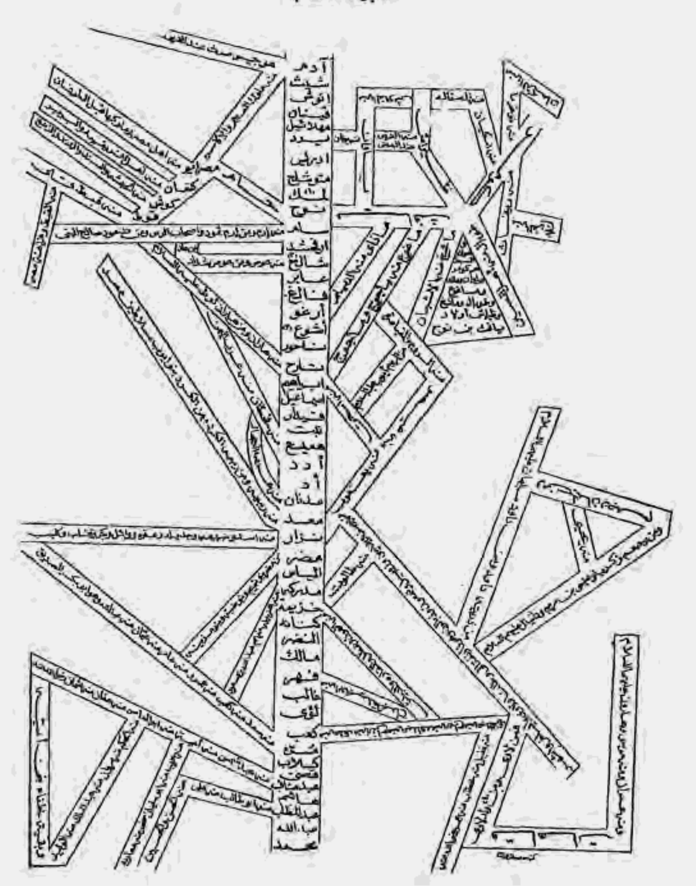
(١) ويقال له « لامخ ولامك » ـ المختصر فى أخبار البشر ١ : ٩ .

(٢) فى مختصر الدول لابن العبرى ١٠ « شالح هوابن قينان بن أرفخشد » وكذا فى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١١ – وجاء فيه « أسقط قينان من النسب بسبب أنه كان ساحراً » .

(٣) كذا فى الأصل : وفى مختصر الدول لابن العبرى ١٢ ، والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١١ « هو ساروغ بن أرعو » ويلاحظ أن هذه الأسماء تختلف ضبطاً وإعجاماً ورسماً فى أمهات الكتب التى تناولتها .

(٤) من « ولد لاوى إلى عليهما السلام » فى هذا النهر . مطموسة فى الأصل . وما هنا من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٤ .

شجرة الأنساب



البَابُ الخَامِسُ

فِي كَوْنِهِ تَاسِعَ السَّلَاطِينِ التُّرْكِ

وَمَا فِيهِ مِنَ البِشَارَةِ لَهُ

اعلم أن مولانا السلطان الملك المؤيد ، وقع فى السلطنة تاسع السلاطين التُّرك الذين جُلِبُوا إلى الديار المصرية ؛ لأن أوَّلهم السلطان الملك المعزّ أَيْبَك ، والثانى السلطان الملك المظفَّر قُطُز ، والثالث [السلطان][1] الملك الظاهر بِيبَرْس ، والرابع السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى ، والخامس السلطان الملك العادل كَتْبُغَا ، والسادس السلطان الملك المنصور لاَجِين ، والسابع السلطان الملك المظفَّر بِيبَرس الجَاشْنَكِير ، والثامن السلطان الملك الظاهر بَرْقُوق ، والتاسع السلطان الملك المؤيَّد شيخ [ابن عبد الله][2] ، والبشارة له فيه أنى تتبَّعْتُ جميع الدُّوَل التى كانت قبل الإسلام ، والدُّوَل التى كانت فى الإسلام ، فوجدت فى التى قبل الإسلام تسعَ دُوَلٍ عظام ، وكذا فى التى فى الإسلام تسع دول عظام ، ووجَدْتُ فى كل دولة منها تسعةً من الملوكِ الكبار ، ووجدتُ تاسعَ كلِّ تسعة أحسَنَهم وأكثرَهم خيرا ، وأبسطهم عدلاً ، وأشدَّهم قوة ، وأعلاهم منزلة ، وأكثرَهم أمْنًا فى عسكَرِهِ وبلادِهِ ورعيَّتِهِ ، وأبعدهم من شر الأعداء والمنافقين ، وأوفرهم رزقًا ودخلاً ، وأخلاهم قلبًا من الهَمِّ ، وما يَجْلِبُ النَّكَد والتشويش من جهة العباد ، فلما كان هؤلاء كلهم على منوال واحد ، فكذلك

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للسياق.

(٢) موضع ما بين الحاصرتين فى الأصل — حروف لا تقرأ — وما أثبت عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٢ ط أمريكا

يكون مولانا السلطان المؤيّد ؛ لأن ما ذكرنا صار كالقاعدة الكلية باعتبار وقوع كل منهم تاسعًا فنقول : هؤلاء موصوفون بهذه السّعادات ؛ لأن كلا منهم تاسع ، وكل تاسع موصوف بهذه الصفات ، فمولانا السلطان المؤيد أيضًا تاسع ، فهو أيضًا موصوف بهذه الصفات ، وهذا بالاستقراء ، وهو يفيد اليقين غالبًا ؛ لأن الاستقراء عبارة عن إثبات حكم كُلِّى لِثُبُوتِهِ فى أكثر الجزئيات ، وهو إمّا تام إن عُلِمَ حصر الجزئيّات ، وهو الذى يسمى القياس المقسّم ، وهو يفيد اليقين على ماصُرّح به فى موضعه ، وإما غير تام إن لم يُعْلَم حصرُ الجزئيّات على ماعرف فى موضعه ، وقياسُنا أيضًا برهان لأن مقدماته يقينية ؛ لأن ماذكر عُلِم بالتواتر من أهل النقل .

أما الدُّوَل التسع العظام التى كانت قبل الإسلام ، فأولها الأَكَاسِرَة ، والثانية القَيَاصِرَة ، والثالثة التّبابعَة ، والرابعة الفَرَاعِنَة ، والخامسة البَطَالِسة ، والسادسة النّمَارِدة ، والسابعة القَحَاطِنَة ، والثامنة العَدَانِنَة ، والتاسعة المَنَاذِرَة .

أما الأكاسرة فهم كانوا أعظم الملوك ، ودولتهم كانت أعظم الدُّوَل ، وهم ملوك الفُرْس ، وهم على أربع طبقات :

الأُولى يقال لها القيشدَاذيّة ، يقال لكل واحد منهم قيشداذ ، ويعنون بهذه اللفظة أوّل سِيرةِ [٢٠] العَدْل ، وعدتهم تسعة مع جَيُومَرت .

وقال أبو منصور[1] والفردوسي[2] : أوّل من ملك الأرض من الفرس جَيُومَرت ، ويقال كَيُومَرْث ، وقد سَخَّرَ الله له جميع الإنس والجن وخصّه بمزيد القوّة ، وكان يسكن الجبال ، وهو أول من لبس جلود السّباع ، وكانت مدة مملكته ثلاثين سنة .

الثانى : أَوْشَهَنْج وكانت مدة مملكته أربعين سنة ، وهو أوّلُ من رتّب الملك ونظّم الأعمال ، ووضع الخَرَاج ، واستخرج المعادن ، وقطع الحجر ، وأول من استخرج النّار والحديد من الحجر ، وسبب إخراجه أنه رأى ذات يوم فى شق جبل حيّة تتوقد حدقتها فأخذ حجرًا ورماها به ، فأخطأها ووقع الحجر على حجر آخر ، وخرجت منه نارٌ ، فأعجَبَهُ ذلك فخرَّ لِلّه ساجدًا ، فاتّخذ النار قِبْلَةً ، وهذا أصل عبادة المجوس النّار ، وهو الذى بنى مدينتى بابِل والسُّوس ، وكان فاضلاً محمود السيرة ، وهو ابن كَيُومَرت وهو أَوْشَهَنْج بن سَيَامَك بن جَيُومَرت .

الثالث طَهْمُورَث[3] بن أَوْشَهَنْج ، وهو أول من كتب

(١) هو أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد عبد الله البغدادى التميمى الاسفراينى . ولد ونشأ ببغداد وتوفى باسفراين سنة ٤٢٠ هـ له كتب كثيرة منها الفاخر فى الأوائل والأواخر ولعله مصدر هذا الخبر ـ
فوات الوفيات ١ : ٢٩٨ طبقات الحنفية للسبكى ٣ : ٢٣٨ .
(٢) هو أبو القاسم حسن بن محمد الطوسى المعروف بفردوسى ، بغير أداة التعريف ، صاحب الشاهنامة المتوفى سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٦ م) .
(٣) الضبط عن تاريخ ابن مسكويه ١ : ٨ وتاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١١ و ٣١٢ ط بيروت .

بالفارسية ، وأول من علق الشعير على الجبل ، وأول من اتخذ الفهد والكلب . وفى أيامه ظهر تعليم الجَوَارِح للصَّيد ، مثل البازى والشاهين ، وكانت مدة ملكه أربعمائة سنة .

الرابع : جَمْشِيذ ، وهو أخو طَهْمُورث ، ومعناه شعاع القمر لأنَّ «جمْ» هو[1] القمر ، و«شيذ» الشعاع ، سمّى به لأنه كان جميل الوجه ، وهو أول من أعدّ آلات الحرب ، مثل السّيف والرّمح والدِّرْع ، والجوشن[2] ، وغير ذلك . وهو الذى أمر الجِنَّ بِنَحْتِ الأحجار ، وضرْب اللَّبِن ، وبناه القصور العالية ، والقلاع الشامخة . وفى زمانه اتَّخَذَ الملبوسَات من الثِّياب ــ وكانوا يلبسون جلود السّباع كما ذكرنا ــ فاتخذها من الكَتَّان والإبرِيسَم[3] ، وهو الذى استخرج علم الهندسة ، واستخرج معادن الذهب والفضة ، والياقوت ، والفيروزج ، وسائر الجواهر ، وأنواع الطِّيب من مستخرجاتها ، كالمِسْك ، والعنبر ، والكافور ، واستخرج الأمواه[4] من أنواع الأزاهير كالورد ونحوه . واتخذ المراكب والسُّفن وألقاها على وجه الماء .

الخامس : بَيُورَاسِب بن ريتكان[5] بن وَيذر شنك

(١) فى الأصل « فهو » .
(٢) الجوشن : الدرع .
(٣) الإبريسم : فارسية معناها الحرير .
« محيط المحيط »
(٤) الأمواه جمع ماء والمراد به هنا ما يحصل بالتقطير :
(٥) كذا رسمها وضبطها فى الأصل ـ وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١٣ ط بيروت « رتيكان » براء مفتوحة وتاء مكسورة بعدها ياء .

ابن قار بن أَفْرَوَال بن جَيُومَرت ـ وهو الذى قتل جَمشيذ لَمَّا بدَّل سيرته ، وملك موضعه ، ويقال : الدهاك ، يعنى عشر آفات، ثم عُرِّبَ وقيل : الضَّحاك ، وكان شِرِّيرًا ظالمًا ، فوضع العشور والمكوس ، واتَّخَذ المغنينَ وأصحاب الملاهى ، وهو الذى ظهرت له حيَّتَان على منكبيه كما ذكرنا حتى غبر عليه ألف سنة . وكان إبراهيم عليه السلام فى أواخر أيامه ، ولذلك زعم قوم أنه نَمْرُود ، والصحيح أن نَمْرُود كان عاملاً من عماله ـ والله أعلم ـ

السادس : أَفْرِيدُون بن أثغيان[1] من أولاد جَمْشِيد ، وكان إبرٰهيم الخليل عليه السلام فى أول ملكه . وقيل إنه ذو القرنين ، وسار فى الناس أحسن سيرة ، وكانت مدة ملكه خمسمائة سنة .

السابع : مَنُوجِهر وهو ابن أخ أَفْرِيدُون ، وكانت مدة ملكه مائة وعشرين سنة ، وهو أوَّل من خندق الخنادق ، وأول من وضع الدَّهْقَنة[2] ، فجعل لكل قرية دِهْقَانًا . وفى أيامه ظهر موسى عليه السلام ، وفى أيامه ظهر زالُ وَالدُ رُسْتُم الذى يضرب به المثل فى الشجاعة ، وزَالُ بن سام بن ريمان ، وأم رستم رودابة بنت مهراب ملك الكابُل ، واسم أم رودابة زوجة مهراب سين دخت .

(1) فى مروج الذهب المسعودى ١ : ٢٢٤ و أثغيان ه .

(2) الدهقنة : فارسية معناها رئاسة الإقليم ، والدهقان : رئيس الإقليم . (محيط المحيط)

الثامن : نُوذَرْ بن مَنُوجِهْر ، وفى أيامه ظهر أَفْرَاسِيَاب ملك التُّرك ابن بِشَنك[1] ، فجمع جموعًا من التُّرك ، وتلاقى مع نُوذَرْ ، فآخِرُ الأمرِ ظَفِرَ بِهِ وأَسَرَه ، واستولى على دار الملك ، وسرير السلطنة ، وهى الرّى . ولما سمع بذلك زال جَمْعَ الجموعَ وولّى على الفرس زَوْ بن طَهْمَاسب ، فلما ملك زَوْ ظَهَرَ على أَفْرَاسِيَاب وطَرَدَهُ عن مملكة فارس حتى ردّه إلى بلاد التُّرك ، وسار بأحسن السيرة ، ووضع عن الناس الخراج سبع سنين حتى عمروا البلاد ، واستخرج للسّوَاد نهرًا وسمّاه الزّاب ، وهو أول من اتّخَذَ الطَّبيخ وأنواع الأطعمة ، وفى أيامه خرج بنو إسرائيل من التِّيهِ . وفتح يوشع عليه السلام مدينة أريحَا ، وكانت مدة مملكته خمسين سنة ، وهو التاسع من الملوك القيشداذيّة .

[و][2] مولانا السلطان المؤيد ــ إن شاء الله تعالى ــ يظفر على جميع أعدائه نحو زَوْ ، وتطول أيامه بخير وسرور ؛ لأنّه التاسع من ملوك التُّرْكُمَان ، كما أن زَوْ التاسع من القيشداذيّة .

الطبقة الثانية من الفُرْس يقال لهم الكيانيّة ، ويعرفون بذلك لأنّ اسم كل واحد منهم يضاف إلى « كَىْ » ومعناه البهاء[3] .

أولهم . كيقُبَاذ من ذرية مَنُوجِهر ، وكانت مدة ملكه

(١) فى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣١٥ عن الطبرى « أفراسياب بن أشك بن رستم بن ترك » .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء ١ : ٣٩ « وكى لفظ التنويه ، قيل معناه الروحانى ، وقيل الجبار » .

مائة سنة ، وكان قد تزوج امرأة من بنات ملوك التُّرك ، فولدتْ له خمسة أولاد وهم : كى دَافيا ، وكَىْ كَاوُس ، وكَىْ أَراس ، وكَىْ كبته ، وكَىْ قَاشْين ، وهؤُلاء هم الجبابرة ، وآباء الجبابرة ، وكان كَىْ قبَاذ فى زمن سليمان عليه السلام .

الثانى : كَىْ كَاوُس بن كَيْقُبَاذ ملك مائة وخمسين سنة .

الثالث : كَيْخُسْرُو بن سِيَاوَخش بن كَيْكَاوُس ملَكَ ستين سنة .

الرابع : لهْرَاسب ابن أخى كَيْكَاوُس ، وهو الذى بنى مدينة بَلْخ لقتال التُّرك ، وكان فى زمنه بخْت نَصَّر ، وقيل كان بَخْتَ نصَّر أَصْبَهْبَذًا[1] للهْرَاسَب على العراق ، وقيل إن لهْرَاسَب لما مات استقل بَخْت نَصَّر بالملك بعده .

الخامس : كَيشْتَاسَب بن لهْرَاسَب .

السادس : بهمَنْ[2] بن أَسْفَنْدِيَار بن كَيْستَاسَب بن لَهْرَاسَب ، وكانت مدة ملكه ستين سنة ، وكان متواضعًا يخرج كُتُبُهُ : من أزدشير بهْمَن بن عبد الله وخادم الله السَّائِس لأُموركم ، ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة فى ألف ألف مقاتل ، وكان أعظم ملوك الفُرْس شأْنا وأفضلهم تدبيرًا .

---

(١) اصبهبذ : معناه النائب . أبو الفدا ــ المختصر فى أخبار البشر ١ : ٤٢

(٢) فى مروج الذهب للمسعودى ١ : ٢٢٨ ، كى أزدشير بهمن . وبهمن معناها الحسن النية . المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٤٤

السابع : هُمَاى[1] جَهْرَازَاد بنت بهْمَن ، أقامت فى الملك ثلاثين سنة .

ثم وضعت ابنًا فى أحسن صورة ، فأخفته عن الناس لأجل السلطنة ، ولما أتت عليه ثمانية أشهر وضعته فى صندوق مُبَطَّن بالديباج والحرير ، وأمرت بأن يُلْقَى فى الفرات ، فصادفه رجل قصّار[2] ، فأخذه وفتحه فإذا فيه صبىٌّ كالقمر ، نائم بين الذهب والفضة والحرير ، فأخذه [٢١] وأتى به إلى امرأته ، فلما رأته بهتت به ، وسمّاه القصّار دَاراب ، وله قصة طويلة ، فآخر الأمر لَمّا دنت وفاةُ هماى أعلمت الناس بأمر داراب ، وقالت : لم يبق من نسل بهمن غيرُه وهوَ وارثُ الملك والسلطنة فاتبعوا أمره ، فقبلوا ذلك منه ، وتولّى عليهم بعدها ، وهو الثامن منهم ، وهو الذى بنى مدينة دَارَبْجُرْد[3] ، وهو الذى رتَّب دَوَابَّ البريد ، ثم قصد بلاد الروم ، وكان ملكهم يسمّى فيلقوس ، فنهض إليه من عمُورِيَّة ، وهى التى تسمَّى اليوم أنْكُورِيَة[4] ، فتلاقوا ، وقام بينهم

(١) كذا فى الأصل . وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٣٩ «حمانى بنت أزدشير بهمن» ، وفى مروج الذهب للمسعودى ١ : ٢٢٧ «حاى : وحمايه» وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٢٧ ط بيروت «حماى» .

(٢) القصار – هو محور الثياب ومبيضها «فارسية معربة» المنجد : ٦٣٣

(٣) داربجرد . وترسم دارابجرد . وهى عاصمة كورة تحمل نفس الاسم . أبعد كور فارس نحو الشرق – وتطابق هذه الكورة ولاية شبا كاره .

لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية ٣٢٥ وما بعدها .

(٤) هذا خطأ . فعمورية ليست هى التى تسمى أنكورية – فهذه مدينة وتلك مدينة أخرى – انظر الخريطة ٤ – مقابل ص ١٥٩ لسترنج – بلدان الخلافة الشرقية .

حرب شديدة ثلاثة أيام ، فانكسر فيلقوس ، ودخل عمُّوريّة وتحصّن بها ، وبعث يطلب الصُّلح من داراب ، فقال : لا أصطلح حتى يلتزم لى بالخراج ، ويزوجنى بابنته ناهيذ ، فرضى بذلك فيلقوس ، واستقر الأمر على أن يؤدَّىَ له كل سنة ألف بيضة ، وزن كل بيضة أربعون مثقالاً من الذهب الأحمر ، وبعث ابنته إلى داراب مع عشرة أحمال من الديباج الرومى المنسوج بالذهب والفضة ، وثلاثمائة حمل من الملابس والمفارش ، فلما وصلت دخل عليها داراب وحملت منه ، واتفق أنه ذات ليلة كان نائمًا معها فى الفراش فتنفّست فشمَّ من نكهتها رائحة كريهة فنفرت نفسُهُ منها ، وطلب الحكماء فعالجوا ذلك الدّاء بدواء يُسمى الإسكندر فى بلاد الروم ، فطابت نَكْهَتُهَا ، غير أن تلك النفرة استمرت فى قلب داراب ، وكان لايقرب إليها ، وآخر الأمر ردّها إلى أبيها ، فلما تمّ لها تسعة أشهر عند أبيها ولدت ولدًا فسّمته اسكندر — تيمُّنًا باسم الدّواء الذى وجدت عليه الشفاء — ولم يُظْهِر مَلِكُ الرُّوم أنَّهُ ابنُها من دَارَاب ، وأظهر أنه ابنُه هو ، وأحبَّه حبًا شديداً ، وجعله ولىّ عَهْدِه .

ثم إن داراب لما كان قد أرسل بنت فيلقوس تزوّج ورزق ولدًا ، وسمّاه دارًا ، وجعله ولىَّ عهده ، وصار الأمر له من بعده ، ولكن اسكندر غلب عليه بعد أمور كثيرة ، وأخذ مُلْكَ أبيه داراب ، وهو التاسع ، وإنما جعلنا هذا تاسعًا ولم

تجعل دارا لأنه كريمُ الطرفين لأن أباه داراب ملك الفرس ، وأُمّه بنت ملك الروم ، فعَلا قَدْرُهُ بين الفرس ، وبنى بأَصْبِهَان مدينة يقال لها جَيّ[١] . وهـذا الإسكندر هو صـاحب أَرَسْططَالِيس ــ وكان وزيره ــ وكان ملكاً عظيماً ، قد أخذ البلاد وقَهَرَ العباد ، وكل من قصده بسوءٍ هَلَكَ . فكذلك إن شاء الله تعالى مولانا السلطان الملك المؤيد يكون كذلك ، لأنه تاسع السلاطين كما أن الإسكندر تاسع ملوك الفرس الكيابيَّة .

الطبقة الثالثة من ملوك الفرس الأشغانيون ويقال الأشغانية ، ويقال الأشكانية ، وهم ملوك الطوائف .

وأولهم الذى هو أكبرهم : أَشْك بن أَشْك من نسْل كَيْقُبَاذ .

الثانى : سَابُور .

الثالث : جَوذرز .

الرابع : بيرن .

الخامس : هِرْمِز .

السادس : خُسْرو .

والسّابع : أَرْدُوَان .

الثامن : بَهْرَام .

التاسع : أَرْدُوَان الأَصغر[٢] ، وكان ذا عقل وحزم ،

---

(١) جى : مدينة يحف بها سور به مائة برج ، وتسمى شهرستانه .
انظر لسترينج – بلدان الخلافة الشرقية ٢٣٨ وما بعدها .

(٢) فى الأصل « الأكبر » وما هنا من مروج الذهب للمسعودى ١ : ٣٩ والمختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٤٧ — أما الأكبر فهو السابع من الملوك .

واجتمع له جميع ملوك الطوائف . فإن شاء الله تعالى يجتمع لمولانا السلطان جميع أهل البلاد ويهلك أعداؤه .

الطبقة الرابعة السَّاسَانِيَّة وهم الأكاسرة .

أوّلهم أَرْدَشِير بابك بن سَاسَان بن سَاسَان الأكبر بن بهمن ابن أَسْفِنْدِيَار بن كَشْتاسَب بن لُهْرَاسب ، وهو الذى ضبط مُلْك فارس ، وجمع شمله بعد تفرقة ، وأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

الثانى سَابُور بن أَرْدَشِير ، أقام فى الملك إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر ، وقيل : إنه فى زمانه استخرج العُودَ «آلة اللهو » وقيل : أول من ضَرَبَ بالعود والطنبور والصنج بَنو إسرائيل أيام داود عليه السلام ، وقيل : أول من ضرب بها إبليس عليه اللعنة ، وهو أول من تغنّى وناح ، وقيل : إن أول من ضرب بالعود وتغنى بالوزن والإيقاع أهل فارس ، وأهل خراسان أول من ضرب بالصنج ، وأهل الرى أول من ضرب بالطنبور وقيل أهل طبرستان وقبل الدَّيلم . وأهل اليمن أوّل من ضرب بالمِعْزَف ، وأول من ضرب بالرَّباب اليُونَان . وأول من ضرب بالدُّف والطَّبْل النَّبط ، وقيل إنما عمل العود صاحب كتاب الخيل من الفرس ، وهو معمول على صورة الفخذ ، وجعلوا الملاوى على صورة الأصابع ، والأوتار على صورة العروق ، وجعلوه لِيَرُدَّ الصوت بسرعة ، وجعلوا

فى وسطه ثقبتين ليدور الصوت إذا دخل فى عمقه ، ويخرج من حيث دخل ، ورتَّبوا الأَوتار على طبائع الإنسان ، قلت : طبائع الإنسان أربعة حارٌ رَطبٌ ، وحارٌ يابس ، وبارد رطب ، وبارد يابس ، فكذلك أوتار العود ، زيرٌ ، وقريب من الزير ، وبُمٌّ ، وقريب من البُمّ . فالزير كالبارد اليابس ، والقريب منه كالبارد الرطب ، والبمّ كالحار اليابس ، والقريب منه كالحار الرطب . فكذلك ترى طبائع الإنسان فى السماع مختلفة فمنهم ، [من][1] يميل إلى الزير ، ومنهم من يميل إلى البمّ .

الثالث : هُرْمُز[2] بن سابور ، ملك سنةً ونصفًا . وقال الفردوسى أربعة أشهر .

الرابع : بَهْرَام ابن — هُرْمُز بن سابور ، ملك ثلاثَ ستين وثلاثة أشهر .

الخامس : بَهْرَام بن بَهْرام المذكور أولاً ، أَقْبَلَ على اللهو واللعب ، فخربت البلاد ، ونقصت بيُوت الأموال ، ثم رجع وترك اللهو وأمر بالعدل ، حتى كانت أيامه تسمى الأعياد ، ملك سبع عشرة .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) الضبط بصورتيه (بضم الهاء والميم وكسرهما) عن تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٣٧ و ٣٤٦ ط بيروت .

السادس : كِرْمَان شاه بن بَهْرَام ، فسلك مسلك أبيه فى العدل والسياسة ، ملك أربع سنين وأربعة أشهر .

السابع : نرسى[1] أخو بَهْرَام ، ملك تسع سنين .

الثامن : هُرْمُز بن نرسى ، ملك تسع سنين أيضًا .

ولما مات كان بعض نسائه حاملاً فعقدوا له بالسلطنة ، فولدت بعد أربعين يومًا ، فسّموه سَابُور ، وهو التاسع ، ملك ثمانين سنة ، وكان شجاعًا ، قتل من العرب كثيرًا ، وأباد الرُّومَ قتلاً وأسرًا ، وهو الذى بنى مدينة نِيْسَابور ، وكان ملوك البلاد كلهم قد أطاعوه وهادَوا له من خوفهم منه .. فإن شاء الله تعالى كذلك يكون مولانا السلطان المؤيد تاسع السلاطين .

وأما الملوك العظام من القياصرة .

فأولهم طوخاس ملك [٢٢] اثنتين وعشرين سنة .

الثانى : غالِيُوس .

الثالث : بُونِيُوس .

الرابع : أُغُسْطُس ولقبه قيصر ، معناه شُقَّ عنه ؛ لأن أمه ماتت قبل أن تلده ، فَشَقَّ بطنُها وأخرجوه ، فلقب قيْصَر ، وصار لقبًا لملوك الروم بَعْدُ كما ذكرناه .

---

(١) — كذا فى الأصل — وفى تاريخ ابن خلدون ٢ : ٣٤٧ ط بيروت « نرسى »

الخامس : طبياريُوس ، ملك اثنتين وعشرين سنة ، وهو الذى بنى طَبَرِية بالشام ، واشتق اسمها منه .

السادس : غانِيوسُ . ملك أربع سنين ؛ ولِمُضِىّ السنة الأُولى من ملكه رُفِعَ المسيح عليه السلام .

٥ السابع : قلوذيوس ، ملك أربع عشرة سنة .

الثامن : قارون ، ملك ثلاث عشرة سنة .

التاسع : ططيوس ، ملك سنين كثيرة ، وهو الذى غزا اليهود وأسرهم وباعهم ، ويقال : إن الذين أسرهم من بنى إسرائيل ثلاثمائة ألف . وكان ملكًا عظيمًا ، كل من قَصَدَه ١٠ بسوء هَلَك .. فإن شاء الله تعالى كل من قصد مولانا السلطان بسوء هلك ؛ لأنه هو التاسع كما ذكرنا .

وأما الملوك العظام من التَّبابعة .

فأولهم : الحارث الرائِش ، ملك مائة وخمسًا وعشرين سنة ، سُمِىّ بالرائِش لأنه لما دخل بالغنائم بلاد اليمن راشَ ١٥ الناس ، وذكر النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى شعره :

ويملك بعدهم رجلٌ عظيم [نبى][1] لا يُرَخِّصُ فى الحرام
يسمى أحمدا ياليت [أنى][2] أعمَّر بعد مخرجه بعام

الثانى : ذو القرنين الصعب بن الرائش .

الثالث : ابنه ذو المنار أَبْرَهَة ، سمِّى به لأنه أوغل فى

---

٢٠ (١ و ٢) مابين الحواصر سقط فى الأصل ، ولابد منه لسلامة وزن الشعر .

بلاد المغرب والسودان ، وأقام المنار ليهتدى به [1] . ملك مائة وثمانين سنة .

الرابع : ابنه أفريقِيش ، وهو الذى بنى أفريقية ، ملك مائة وستين سنة .

الخامس : أخوه ذو الإذعار عمرو بن ذى المنار ، سُمّى بذلك لأنه أذعر الناس [2] ، ملك خمسًا وعشرين سنة ، وكان على عهد سليمان عليه السلام .

السادس : شُرَحْبِيلُ بنُ عمرو .

السابع : ابنه هدهاد .

الثامن : ناشر [3] النعم .

التاسع : شَمَرِيَرْعَش [4] ، وكان فى زمن بِشْتَاسَف ، ودخل بِشْتَاسَف فى طاعته ، وسار وافتتح سَمَرْقَنْد [5] ، وقتل خلقًا كثيراً ، ودخل أرض الصُّغد [6] ، وسار نحو الصِّين ،

---

(١) أى إذا رجع من مغازيه — المعارف لابن قتيبة ٦٢٧ .

(٢) ذلك لأنه رجع إلى اليمن من بلاد النسناس بسبى وجوههم فى صدورهم فذعر الناس منهم . المعارف لابن قتيبة ٦٢٨ .

(٣) كذا فى الأصل ومروج الذهب للمسعودى ٢ : ٧٦ . وفى المعارف لابن قتيبة ٦٢٩ هو ياسر بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن شرحبيل .

(٤) هو شمر بن أفريقيش : وسمى بذلك لارتعاش كان به . المعارف لابن قتيبة ٦٢٩ .

(٥) يقول ابن قتيبة فى المعارف ٦٢٩ : هى تعريب لكلمة شمركند أى أخرب بها شمر . وكانت قصبة عامرة لإقليم الصغد فخر بها فسميت بذلك .

(٦) أرض الصغد تشمل الأراضى الخصبة فيما بين نهرى سيحون وجيحون ؛ ويرويها نهر الصغد : لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ٥٠٣ وما بعدها .

وكان ملكًا عظيمًا . فمولانا السلطان أيضًا إن شاء الله تعالى يفتح البلاد ويدخل فى طاعته أهلها .

وأما الملوك العظام من الفراعنة ، وهم ملوك القبط بالديار المصرية .

فأولهم نقراوش ، وهو الذى بنى مدينة أمسوس وعمل لها عجائب ، منها أنه عمل صنمين من حجر أسوَد فى وسط المدينة ،إذا قدم سارق لم يقدر أن يزول عنها حتى يسلك بينهما ، فإذا دخل بينهما أطبقا عليه فيؤخذ ، وملك مائة وثمانين سنة .

الثانى : ابنه نقراش ، وبنى خلف الواحات ثلاث مدن على أساطين ، كل ذلك أخرَبَهُ الطوفان .

الثالث : ابنه مصرام وكان قد ذَلَّلَ الأسد وركبه ، ويقال إنه ركب على عرش وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط البحر المحيط . فجعل له فيه قلعةً بيضاء ، وجعل له عليها [صنما] [1] للشمس ، وكتب عليها أنا مصرَام الجبّار ، كاشف الأسرار ، الغالب القهّار ــ ويقال إن إدريس عليه السلام رُفِعَ فى أيامه ــ وكان قد رأى فى علمه وقوع الطوفان ، فأمر الشياطين الذين يطيعونه أن يبنوا له مكانًا خلف خط الاستواء ، بحيث لايمكن لحوق الماء إليه ، فبنوا القصر الذى فى سفح الجبل الذى يسمى جبل القمر ، وهو قصر النُّحَاس الذى فيه تماثيل النحاس وهى خمسة وثلاثون

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن حسن المحاضرة لجلال الدين السيوطى ١ : ١٣

تمثالاً يخرج ماء النيل من حلوقها ، وينْصَبُّ إلى بطحاء مصر .

الرابع : ابنه عرياق ،وإليه تُعْزَى مصاحف القِبط التى فيها تواريخهم وجميع ما يجرى إلى آخر الدّهر ، وعمل أعمالاً عظيمة ،منها عمل شجرة صُفر[1] لها أغصان من حديد بخطاطيف إذا تقرب إليها الظالم من المدَّعِيَين اختطفته تلك الخطاطيف وتُعَلِّقه فلا تفارقه حتى يُقِرَّ بالحق .

الخامس : لوخيم بن نقراش .

السادس : خصليم ، وهو [2] أوّل من عمل المقياس لزيادة النيل .

السابع : هُو صَال ، ويقال كان نوح عليه السلام فى فى زمنه .

الثامن : أخوه شمرود بن هوصال[3] .

التاسع : ابنه سُوريد ، وكان حكيمًا فاضلاً ، وهو أول من جبى الخراج بمصر ، وأول من أمر بالإنفاق على المرضى والزَّمْنَى من خزائنه ، وعمل أعمالاً عجيبة ، منها : أنه عمل مرآة من أخلاط ينظر فيها إلى الأقاليم السبعة ، وما يحدث فيها من أمور ،وهو [الذى][4]بنَى الهرمين لِدَفْعِ الطُّوفان ، وكان قد علم ذلك ، وكان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة ،ولما فرغ وضع فيها جميع خزائنه وأمواله ، ووضع فيها من الأشياء الغريبة

(١) الصفر : النحاس .

(٢) العبارة فى الأصل « وهو الذى أول » .

(٣) كذا فى الأصل ، ولعل كلمة « أخوه » زائدة .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

من السلاح الذى لايصدأ ، والزجاج الذى ينطوى ولا ينكسر ومن الذهب والفضة واللآلئ واليواقيت مالا يُوصَف ولا يُحدّ ، وكتب عليها بالقبطية [ما][1] تفسيره بالعربية :أنا سُورِيد الملك ، بنيت هذه الأهرام فى وقت كذا وكذا ، وأتممت بناءها فى ست سنين ، فَمن أتى بعدى ، وزعم أنه مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة ، وقد علم أن الهدم أيْسرُ من البناء ، وإنى كسَوْتها عند الفراغ بالديباج فليكسها بالحُصْر ، وكان ملكًا عظيمًا ، بلغ ما أراده من العظمة ، وزينة الدنيا وغير ذلك . فكذلك إن شاء الله تعالى مولانا السلطان ، لأنه تاسع السلاطين ، كما أن سُوريد هو تاسع مُلُوك القِبْط .

وأما الملوك العظام من البطالسة ، وهم ملوك اليونان ، عدَّتهم ثلاثة عشر ملكاً ، يسمّى كل منهم بَطْلَمْيُوس ومعناه أسد الحرب ،

وأولهم : بطلميوس شيوس بن لاغوس ، وكان يلقب بالمنطقى ، ملك عشرين سنة ، وكان يقال هو أول من لعب بالبزاة ،

الثانى : بطلميوس فيلوذ فوس ، ومعناه محبٌ أخيه ، ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وهو الذى نقلت له التوراة من العبرانية إلى اليونانية .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الثالث : بطليوس أوراخيطيس ، ملك خمسًا وعشرين سنة ، وفى أيامه أدّى له ملك الشام إتاوةً .

الرابع : بطلميوس أقنقيوس ، ملك أربعًا وعشرين سنة .

الخامس : بطليوس فليُوبطور ، ومعناه محبّ أبيه ، ملك سبع عشرة سنة .

السادس : بطليموس[1] أوراخيطيس [الثانى] [2] ، ملك تسعًا وعشرين سنة .

السابع : بطلميوس سديريطش ، ملك تسع سنين .

الثامن : بطلميوس اسكندروس ، ملك ثلاث سنين .

التاسع : بطلميوس قيلدفوس ، ملك تسعًا وعشرين سنة [٢٣] ، وكان ملكًا عظيمًا لم يُقهر قط ، ولم ينكسر عسكره . . فإن شاء الله تعالى يكون مولانا السلطان المؤيد كذلك .

وأما الملوك العظام من النّمَارِدة ، وهم ملوك أرض بابل ، وهم الجبابرة ، ويقال : إنهم ملوك العالم الذين مهّدوا الأرض بالعمارة ، وأن الفرس أخذوا الملك منهم ، كما أخذت الروم من اليونان .

وأولهم : نمرود الجبّار الذى أرمى الخليل فى النار ، ملك ستين سنة .

الثانى : أبوليس الجبّار ، ملك نحوًا من سبعين سنة .

الثالث : كوروس الجبّار ، ملك خمسين سنة .

---

(١) بطليموس : هذا أول اسم جاء على هذه الصورة أما غيره فبتقديم الميم على الياء .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٦٠

الرابع : قوسيس الجبّار ، ملك نحواً من أربعين سنة .

الخامس : فيرميوس الجبار ، ملك نحواً من مائة سنة .

السادس : سوسوس الجبار ، ملك نحواً من تسعين سنة .

السابع : لوروس الجبار ، ملك نحواً من خمسين سنة .

الثامن : أنيُوس الجبار ملك نحواً من ثلاثين سنة . ٥

التاسع : ثارليوس الجبار ، ملك نحواً من خمسين سنة ، وكان أعظم الجبابرة ، قهر ملوكًا كثيرة ، وفتح بلادًا عظيمة .. فإن شاء الله تعالى مولانا السلطان الملك المؤيّد يقهر ملوكًا ويفتح بلادًا .

١٠ وأما الملوك العظام من القَحَاطِنَة ، فهم ملوك العرب قبل الإسلام ،

وأولهم : الذى ملك أرض اليمن ، ولبس التاج وملك مائتى سنة قَحْطَان بن عابر بن شَالخ بن أرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام .

١٥ الثانى : يَشْجُب ابنه :

الثالث : عبد شمس ، ولقبه سبأ ، لُقِّبَ به لأنه أكْثَرَ الغَزْوَ فى أقطار الأرض .

الرابع : ابنه حِمْير ، وكان شجاعًا ، ولما ملك أخرج ثَمُودَ من اليمن إلى الحجاز ، وسُمِّىَ حِمْيَر لكثرة لباسه الثياب الحُمر .

٢٠ الخامس : أخوه كَهْلان بن سبأ .

السادس : وائل بن حِمْير .

السابع : ابنه السَّكْسَك .

الثامن : ابنه يَعْفُر .

التاسع : شدَّاد بن عَاد بن المَطَاط بن سبأ ، قيل إنه ملك الدُّنيا ، وولد له أربعة آلاف ولد ذكر لِصُلْبِهِ ، وتزوَّج ألف امرأة ، وعاش ألف سنة ومائتى سنة ، وهو الذى بنى مدينة إرَم [1] فى صحارى عَدَن ، وشدّها بصخور الذهب ،وأساطين الزَّبَرجد والياقوت ، يُحاكى بها الجنة لما سَمِعَ من وصفها ـ طغيانًا منه وعُتُوًّا . . فإن شاء الله تعالى يعيش مولانا السلطان طويلاً ، ويرزق أولادًا كثيرة ، ويحتوى على أملاك كثيرة لأنه تاسع كما أن ذلك تاسع .

وأما الملوك العظام من العَدَانِنَة ، فهم أصل النَّبِى صلى الله عليه وسلم ، وهم أشرف الناس أصلاً وأكرمهم نسبًا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كِنانة ، واصطفى هاشمًا من قريش ، واصطفانى من بنى هاشم . رواه مسلم من حديث واثلة بن الأسقع رضى الله عنه .

وأولهم : عدنان بن أدّ بن أدَد بن اليَسَع بن الهُمَيْسع

(١) إرم : مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء. ياقوت ـ معجم البلدان ١ : ٢١٢ ط ليزج .

ابن سلامان بن نَبْت بن حِمل بن قَيْدار [1] بن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام .

الثانى : مَعَدّ .

الثالث : نِزَار .

الرابع : مُضَر .

الخامس : إلياس .

السادس : مُدْرِكَه .

السابع : خُزَيْمَة .

الثامن : كنانة .

التاسع : النَّضْر . قال ابن هشام : هو قُرَيش ، فمن كان من ولده فهو قُرَشِىٌّ . ومن لم يكن فليس بِقُرشِىٌّ ، سمّى قريشًا لأنه كان يُقَرِّش عَنْ خُلَّةِ الناس وَحاجتهم فيَسدها بماله ، من التَّقريش وهو التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل المَوْسِم من الحَاجَّةِ فيردونهم [2] بما يبلغهم بلادَهم ، وقيل هو من التَّقرُّش ، وهو التَّجَمعُ بعد التفرقة ، وذلك فى زمن قُصَىّ بن كلاب ؛ فإنهم كانوا متفرقين فجمعهم بالحرم . وقيل هو من التَّقَرُّش ، وهو التكسب والتجارة . حكاه ابن هشام . وسئل ابن عبّاس ، لِمَ سُمِّيَت قُرَيْش قريشًا ؟ فقال : لِدَابَّة تكون فى البحر ، تكون أعظم دوابِّهِ ، يقال لها القِرش ، لا تمرّ بشىء من الغث

(١) فى الأصل « قيذان » وما هنا عن شجرة النسب ص ١٠١ .
(٢) فى الأصل « أهل الوسم عن الحاجة فيردوهم » والصواب ما هنا .

والسمين إلاّ أكلته ، رواه البيهقى . فالنّبِى صلى الله عليه وسلم من ذريته ؛ لأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم [1] ابن عبد مَنَاف بن قُصَىّ بن كلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَى ابن غَالِب بن فِهر بن مَالِك بن النضر ، وهو قُرَيْش كما ذكرنا .

وأما الملوك العظام من المناذرة فهُم على صِنْفَيْن ، الأول[2] : هم ملوك العرب بأرض الحِيَرة ، وكانوا عُمّالاً للأكاسرة .

وأوّلهم : مالك بن فَهْم .

الثانى : عمرو بن فَهم .

الثالث : جَذِيمَة بن مالك ويقال له الأبرش [3] .

الرابع : عمرو[4] بن عَدِى بن النّضر بن ربيعة .

الخامس : ابنه امرؤ القيس بن عمرو .

السادس : النُّعْمَان الأعور ، وهو الذى بنى الخَوَرْنَق والسَّدِير، وهما قصران عظيمان .

السابع : ابنه المُنْذِر بن النُّعْمَان ، كان ملكه فى زمن قُنْبُر وَزِير بن يَزْدَجِر .

الثامن : الأسْوَد بن المُنْذِر ، وهو الذى انتصر على عرب الشام ــ غسّان ــ وكان ملكه فى زمن فيردون الثانى .

(١) فى الأصل « بن هشام » وهو خطأ .

(٢) ولم يذكر المؤلف الصنف الثانى .

(٣) وذلك لبرص كان فى يده ، كما يقال له الوضاح ـ
المعارف لابن قتيبة ٦٤٥ ، مروج الذهب للمسعودى ٢ : ٩٨ .

(٤) وهو ابن رقاش أخت جذيمة .
مروج الذهب للمسعودى ٢ : ٩٠ و ٩١ .

التاسع : المنذر بن المنذر بن النعمان ، وكان ذا شجاعة وبأس ، وكان تهابه الملوك وتعظمه الأكاسرة . . فإن شاءالله يكون مولانا الملك المؤيد كذلك تهابه الملوك والسلاطين .

وأما الدُّوَل التسع العظام الذين كانوا فى الإسلام :

٥ فأولها : دولة بنى أُميّة .

والثانية : دولة بنى العباس .

والثالثة : دولة الفاطميين .

والرابعة : دولة بنى بُوَيه .

والخامسة : دولة السلاجقَة .

١٠ والسادسة : دولة الجِنْكِزِيّة .

والسابعة : دولة الأَغَالِبَة .

والثامنة : دولة بنى أيّوب .

والتاسعة : دولة التُرك بالديار المصرية .

وأما دولة بنى أمية .

١٥ فأول خلفائهم أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد ذكرنا تاريخ أيامه .

والثانى : أمير المؤمنين معاوية بن أبى سُفْيَان صَخْر بن حَرْب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصَى القرشى الأموى.أبو عبد الرحمن خال المؤمنين ، وكاتب وحى رسول رب

٢٠ العالمين ، وأمه هند بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس . أَسْلَمَ

معاويةُ يوم الفتح ، وكانت له مواقف شريفة يوم اليرْمُوك ، وكان أبوه قائد قريش يوم أُحُد ويوم الأَحْزَاب ، وهو أوّل خليفة بايَعَ وَلَدَه ، وأوّل من وضع البريد [٢٤] ،وأوّل خليفة اتخذ الحرس ، وأوّل من عمل المقصورة[١] فى المسجد ، وحجَّ فى خلافته مَرَّتَيْن ــ وكانت عشرين سنة إلا شهرًا ــ ، وكانت إمارته أيضًا عشرين سنة ، وكان يأكل فى اليوم سبع مرات بحساء بقصعة فيها لحم كثير وبصل ، وكان يأكل أيضاً من الحلاوة والفاكهة شيئًا كثيرًا . ويقول : والله ما أشبع . توفى سنة ستين ، ويوم توفى كان عمرُه خمسًا [٢] وثمانين سنة ، وصلَّى عليه الضحَّاكُ بن قيس ، وكان يزيدُ غائبًا ، ودُفِنَ بين باب الجابية[٣] وباب الصَّغير[٤] .

والثالث : ولدُه يَزِيدُ الظالم ، وفى أيامه جرت مصائب كثيرة ، ومن أعظمها قتل سيِّد أهل الجنة أمير المؤمنين الحُسَيْن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وتوفى فى ربيع الأول سنة

---

(١) انظر سبب بناء المقصورة فى المسجد ، بكتاب الأخبار الطوال للدينورى ص ٢١٥ ط وزارة الثقافة .

(٢) ويقال : اثنتان وثمانون سنة ، وثمان وسبعون سنة ــ المعارف لابن قتيبة ٣٤٩ .

(٣) باب الجابية : ويقع غربى دمشق ، منسوب إلى قرية الجابية وكانت هذه مدينة عظيمة فى الجاهلية ، وقد دخل منه أبو عبيدة دمشق بالأمان ــ وهو من الأبواب الرومانية وقد أعيد بناؤه فى أيام نور الدين الشهيد ثم جدد أيام الملك داود بن عيسى بن العادل الأيوبى ــ الأعلاق لابن شداد ٣٦ ، تاريخ دمشق ١ ــ ٢ : ١٨٧ ، دمشق القديمة لصلاح الدين المنجد ٥٤ .

(٤) الباب الصغير : هو باب دمشق الجنوبى . وسمى بذلك لأنه أصغر أبوابها ، وقد جدد فى عهد الأيوبيين ولايزال باقياً حتى الآن وعليه النصوص التاريخية . هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٤١ .

أربع وستين بِحَوَّارِين[1] ، وحمل إلى دمشق ، ودفن فى مقبرة الباب الصغير ، ويوم مات كان سنهُ ثمانيًا وثلاثين سنة .

والرابع : ولدُه معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومكث فى الملك أربعين يومًا ، وقيل عشرين يومًا ، وقيل شهرين ، وكان فى مدة ولايته مريضًا لم يخرج إلى الناس ، وكان الضَّحَّاك ابن قيس هو الذى يسدّ الأُمور ، وكان عمره يوم مات عشرين سنة ، وقيل تسع عشرة ، وقيل خمس عشرة ، وتوفى فى ربيع الآخر سنة أربع وستين ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وقيل مات بـأَزْدُنّ ، وقيل أنه سُقِى ، وقيل طُعِنَ[2] والله أعلم .

والخامس : مَرْوَان بن الحكم بن أبى العاص بن أُمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشىّ الأموىّ ، صحابىٌّ عند جماعة ، وكان عمرُه ثمانى سنين يوم توفى النبى عليه السلام ، وقالت جماعة : إنه من التابعين ، ولم ير النبىّ عليه السلام ، توفى[3] فى ثالث شهر رمضان سنة خمس وستين بدمشق ، وله ثلاث وستون سنة ، وكانت إمارته تسعة أشهر ، وقيل عشرة أشهر إلا ثلاثة أيام .

والسادس : ابنه عبد الملك بن مروان ، وكان قَبْلَ الخلافة

---

(١) حوارين : بلدة من عمل دمشق (المعارف لابن قتيبة ٣٥١) أو من عمل حمص — كما فى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٩٢ .

(٢) المقصود بذلك أنه أصيب بالطاعون .
مختصر الدول لابن العبرى ١١١ .

(٣) قيل خنقته زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية ، وصاحت : مات فجأة .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٩٤ .

من الزُّهاد والعبَّاد الفقهاء الملازمين للمسجد ، التَّالين للقرآن ؛ وسمع من جماعة من الصحابة ، منهم عثمان ، وابن عُمَر ، وأبو سعيد الخدرىّ ، وأبو هُرَيْرَة وآخرون ، وهو أول من شتا بالناس فى بلاد الروم سنة ثنتين وأربعين ، وكان أميرًا على المدينة وله ست عشرة سنة ــ ولاَّه معاوية ــ وهو أول من سُمِّى فى الإسلام بعبد الملك ، قاله ابن أبى خيثمة [1] ، بويع له بالخلافة فى سنة ست وثمانين ، وتوفى بدمشق يوم الجمعة ، وقيل الخميس ، وقيل الأَربعاء النصف من شوال من سنة ست وثمانين ، وصلى عليه ابنُه الوليدُ ولىُّ عهده من بعده ، وكان عمره يوم مات ستين سنة ، ودفن بباب الجابية ، وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ، وكانت أسنانه مشبكة بالذهب أفوه مفتوح الفم ، وربما غفل فانفتح فمه ويدخل فيه الذباب ، فلهذا يقال له أبو الذُّبَّاب ، وفى عيون المعارف[2] ، كان يُكَنَّى بالذباب [3] لبَخرِهِ ، ولَقَبُهُ رَشْحُ الحَجَرِ لبُخْلِه .

والسابعُ : ابنُه الوليدُ بن عبد الملك ، وهو الذى بنى جامع دمشق فى سنة ثمان وثمانين ، وتكامل فى عشر سنين ، وكان

---

(1) ابن أبى خيثمة : هو الحافظ أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة ، أحد الأعلام وصاحب التاريخ الكبير ، توفى سنة ٢٧٩ هـ .

دول الإسلام للذهبى ١ : ١٢٣ .

(2) هو كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف تأليف القضاعى المتوفى سنة ٤٥٤ هـ وهو مخطوط بدار الكتب برقم ١٧٧٩ تاريخ .

(3) وفى المعارف لابن قتيبة ٣٥٥ ط وزارة الثقافة : ويلقب رشح الحجر لبخله ويكنى أبا ذبان لبخره .

أصل موضعه معبدًا بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق ، وكانوا يعبدون الكواكب السبعة ، وكانت أبوابه سبعة – قصدًا لذلك – وقيل أول من بنى جُدْران هذا الجامع الأربعة هود عليه السلام ، وكان [قبل] [1] إبراهيم عليه السلام بمدة طويلة ، وقد وَرَدَ إبراهيم دمشق عند برزة وقاتل هنالك قومًا من أعدائه فظفر بهم ، وكان مقامه ببرزة . ولما عزم الوليد على بنائه بعث إليه ملكُ الروم مائتى صانع ، وأصرف عليه أموالاً عظيمة . وعَنْ رُحيم عن الوليد بن مسلم عن عَمْرِو بن مهاجر الأنصارى أنهم حَسِبُوا ما أُنفق على الكرمة التى قبلة المسجد فإذا هو سبعون ألف دينار ، وحسبوا ما أُنفق على الجامع – فكأنه [2] أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار . قال ابن كثير : وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار . وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . وقال ابن كثير ، فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الأموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار . وقال رُحيم عن الوليد عن عمرو بن مهاجر الأنصارى عن مروان ابن صلاح عن أبيه قال : كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخَّم ، وقيل أراد الوليد أن يجعل بيضة القبة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن الجامع ، فقال له المعمار : إنك لا تقدر على ذلك ، فضربه خمسين سوطًا ، وقال : ويلك أنا أعجز عن

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل للسياق .
(٢) كذا فى الأصل – ولعلها « فكان » .

ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فبيِّن ذلك ، فأحضر من الذهب ما سبك منه لبنة فإذا هى قد دَخَلَهَا أُلُوفٌ من الذهب ، فقال : يا أمير المؤمنين إنَّا نريد من هذا كذا كذا ألف لبنة ، فإذا كان عندك ما يكفى ذلك عملناه ، فلما تحقَّق الوليد صحة قوله تركه ، وأطلق له خمسين ديناراً . وكان فى محراب الصحابة حجر بللور ، ويقال حجر من جوهر ، وكان إذا أُطفئت القناديل يضيء لمن هناك بنورها ، وكان الوليد اشترى العمودين الأخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار ، قال محمد بن عائذ [1] : سمعت المشايخ يقولون : ما تم مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد كان يفضل عند الرجل من الفعلة الفلسُ ورأس المسمار فيجيء حتى يضعه فى الخزانة ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ، توفى يوم السبت النصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين ، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكانت وفاته بدَيْر مرْوان ، فحمل على أعناق الرجال حتى دفن بمقابر الباب الصغير ، وقيل [٢٥] بباب الفراديس [2] ، حكاه بن عساكر [3]

---

(١) هو محمد بن عائذ الدمشقى صاحب المغازى توفى سنة ٢٣٣ هـ .
دول الإسلام للذهبى ١ : ١٠٢

(٢) باب الفراديس أحد أبواب جامع دمشق وينسب إلى محلة كانت تسمى الفراديس وهى الآن خراب — والفراديس بلغة الروم تعنى البساتين . وهذا الباب هو الرابع من أبواب جامع دمشق وعليه منارة .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ص ٤ : ١٥٧ وص ٦ : ١٤٨ .

(٣) ابن عساكر : هو الحافظ ثقة الدين أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الدين عبد الله —

والثامن :سليمان [بن] عبد الملك ، بُويعَ له بالخلافة يوم مات أخوه ، وفى أيامه جهَّزَ الجُيُوش إلى قسطنطينيَّة ، وكانت خلافته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وخمسة أيام ، توفى يوم الجمعة لعشر بقين من صَفَر من سنة تسع وتسعين ، عن خمس وأربعين سنة ، وكانت وفاته بدابق من أرض قِنَّسرين [1] بين حلب وعينتاب [2] .

التاسع : عُمَر بن عبد العزيز بويع له بالخلافة يوم مات سليمان عن عهد منه إليه ، من غير علم منه بذلك ، وكان عَالِمًا ورِعًا دَيِّنًا خاشعًا . وقال سفيان الثورى [3] ، الخلفاءُ خمسة : أبو بكر ، وعُمَر ، وعثمان ، وعلى ، وعمر بن عبد العزيز ، وأجمع العلماءُ قاطبة على أنه من أئمة العدل ، وأحد الخلفاء الراشدين ،والأئمة المهديين،وقال الإمام أحمد بن عبد الرزاق عن أبيه عن وهب بن منبه أنَّه قال : إن كان فى هذه الأُمة مهدىٌ فهو عمرُ بن عبد العزيز ، وقال أحمد بن مروان . ثنا أبو بكر أخو خطاب بن خالد بن حَرَاش . ثنا حماد بن زيد عن موسى

= ابن الحسين بن عساكر الشافعى . مؤرخ رحالة ولد سنة ٤٩٩هـ وتوفى سنة ٥٧١ هـ . لهمؤلفات عــدة .

انظر الزركلى - الأعلام ٢ : ٦٦٤ ط أولى .

(١) قنسرين : كانت وحمص شيئاً واحداً . وهى كورة بالشام بينها وبين حلب ١٢ فرسخاً ياقوت - معجم البلدان ٤ : ١٨٧٠ ط ليبزج

(٢) ولرسم عين تاب : وهى قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٣٣ هامش

(٣) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى محدث ، له الجامع الصغير ، والجامع الكبير ، والفرائض . ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ دول الإسلام للذهبى ١ : ٧٨ ، ٧٩ ؛

ابن أيمن الراعى ، وكان يرعى لمحمد بن عيينة ، قال : كانت الغنم ،والأسد والوحش ترعى فى خلافة عمر بن عبد العزيز فى موضع واحد ، فعرَض لشاة منها ذئبٌ ، فقالت إنا لله ، ما أرى الرجل الصالح إلاَّ قد هلك ، فحسبنا فوجدناه قد مات فى تلك الليه ، وكانت وفاته بدَيْر سَمْعَان من أرض حمص يوم الخميس لخمس بقين من رجب سنة إحدى [ومائة] [1] ، وقيل اثنتين ومائة ، وكان عمرُه يومَ مات تسعًا وثلاثين سنة وأشهرًا ، ومن زهْده أنه كان يبكى حتى كان يبكى دمًا ، ولم يكن يجالس إلا أهل العلم والزهد والصلاح ، وكانوا يتذاكرون الموت والآخرة فيبكون حتى كأن بين أيديهم الجِنَّاءة [2] . قال أحمد بن حنبل : لما تولَّى ردَّ جميعَ المظالم حتى أنه ردَّ فَصَّ خاتم كان فى يده وقال : أعطانيه الوليدُ من غير حق ، وخرج من جميع ما كان فيه من النعيم والملبس والمأكل والمتاع حتى أنه ترك التمتع بزوجته ، وكانت من أحسن الناس ، ويقال إنه ردَّ جهازها ، وما كان من أموالها إلى بيت المال،وكانت بنت عَمِّه الوليدبن مَرْوَان ، وكان دخله فى كل سنة أربعين ألف دينار ، فترك ذلك كلَّه حتى لم يبق له سوى أربعمائة دينار ، وكان حاصله حين وَلِيَ الخلافة ثلاثمائة درهم ، وكان يلبس الخشِن ، والعِدْوة[3]

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل الجناة والصواب ما هنا : والحناء : نبات يتخذ ورقه للخضاب الأحمر المعروف ويزرع فى البلدان الحارة . (محيط المحيط)

(٣) العدوة : نسيج من صوف الغنم . ود زى – تكملة المعجمات العربية ١ : ١٠٥ .

الغَليظة ، والقميص المرقع . وقال أبوسليمان الدّارَانى [1] : كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أُوَيْس القرنى [2] ؛ لأنه ملك الدنيا وزهد فيها ، ولا ندرى لو ملكها أُوَيْس ماذا كان يصنع ، وليس من جرَّب كَمَنْ لم يُجرِّب . ولمولانا السلطان بشارة عظيمة ، ومسرَّة عظيمة ،حيث وقعت سلطنته فى درجة سلطنة عمر بن عبد العزيز؛ لأن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز هو التاسع من خلفاء بنى أميّة . فكذلك مولانا السلطان هوالتاسع من سلاطين التُّرك ، ونرجو من الله تعالى أن يُرزَق من حظوظ الدنيا والآخرة ما رزق عمر بن عبد العزيز .

وأما دولة بنى العباس .

فأوَّل خلفائهم أبو العباس السَّفاح ، واسمه عبد الله ، وكان عمره يوم تولى سِتًّا وعشرين سنة ، وكان أول من سَلَّمَ عليه بالخلافة أبا سَلَمَة الخلال [3] ، وذلك ليلة الجمعة لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر من سنة ثنتين وثلاثين ومائة

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى المذحجى . زاهد مشهور من أهل داريا ، وكان من كبار المتصوفين وتروى عنه أخبار فى الزهد ، توفى سنة ٢١٥ هـ .
الأعلام للزركلى ٢ : ٨٤٤ ط أولى

(٢) هو أويس بن عامر القرنى . سكن الكوفة . وكان عابداً زاهداً — ويقال إنه قتل يوم صفين .
السمعانى — الأنساب ٤٤٩ .

(٣) أسند محمد بن على بن العباس إلى هذا الداعى الشيعى أمر الدعوة لبنى العباس بالعراقين بعد موت بكير بن ماهان، ثم صار أبو سلمة هذا وزيراً للسفاح ،وسماه وزير آل محمد ، ثم قتل بأمر أبى مسلم الخراسانى . الأخبار الطوال للدينورى ٣٣٤ و ٣٥٩ و ٣٧٠ .

بالكوفة ؛ وذلك بقيام أبي مسلم الخراساني ، واسمه عبد الرحمن ابن مُسْلم بن سنقرلون بن اسفنديار المَرْوَزِىّ ، وحكايته طويلة ، وملخصها : أن ابرهيم بن عبد الله بن العباس بعث إلى أبي مُسْلم - وكان فى خُرَاسان ، وكان إبرهيم فى حُمَيْمَة[1] - وقيل بالكوفة - فبعث إليه يطلبه ، فسار إليه أبو مُسلم - لا يمرون ببلد إلا سألوهم إلى أين تذهبون ؟ فيقول : إلى الحجّ ، ولكنه يدعو الناس خفية إلى إبراهيم بن محمد . فلما كان ببعض الطريق أتاه كتابُ آخر بأن ترجعَ إلى خُرَاسَان وتدعوَ الناس ، فرجع بمن معه ، فلم يزل يدعو واحدًا بعد واحد حتى صار معه [جمع][2] عظيم ، وكان إبراهيم قد أرسل إليه لواءً يدعى الظّلّ على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وراية تدعى السَّحاب[3] على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعًا ، وهما سَوْدَاوَان ، وهم أيضًا لبسوا السواد ، فصار ذلك شعار بني العباس ، ويقال : لما سار أبو مُسْلم إلى خُرَاسان كان ابن تسع عشرة سنة ، راكبًا على حمار بإكاف[4] . ثم صار له ألوف من الجيوش ، فسمع بذلك مَرْوَان الجعدى[5]

---

(١) الحميمة : قرية من قرى الشام على مسافة من الشوبك وبينهما وادى موسى .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٢٠٩

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) يقول ابن العبرى فى مختصر الدول ١١٩ : وتأول الظل والسحاب ـ أن السحاب يطبق الأرض وكما أن الأرض لا تخلو من الظل كذلك لا تخلو من خليفة عباسى آخر الدهر .

(٤) الإكاف والوكاف : البرذعة . محيط المحيط .

(٥) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم رابع عشر خلفاء بنى أمية ، ولقب بالجعدى لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه فى القول بخلق القرآن والقدر .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ٢٠٧ - ٢١٢ .

آخر خلفاء بنى أمية ، فأرسل إليه جيشًا بعد جيش ، فكل من أتى عليه انكسر بإذن الله ، ثم أرسل وراء إبراهيم بن محمد فحبسه فى حرّان ، فما زال فيه حتى مات ، قيل هُدِم عليه جدار ، وقيل سُمّ فى مشروب . وقيل غير ذلك ، فلما سمعوا بذلك ، عقدوا الخلافة للسفّاح ، وكان مروان يومئذ على الزّاب [1] ، وكان معه مائة ألف وخمسون ألفًا ، فأرسل إليه السّفّاحُ عبدَ الله ابن علىّ [على] [2] عشرين ألفًا فكسرهم ، وغرق أكثرهم ، فتفرّق عسكرُ مروان فى النّهر ، فآخرُ الأمر لم تزل عساكر السّفّاح وراءه إلى أن طردوه من الشام إلى عَرِيش ، ومن عَرِيش إلى مصر ، ومن مصر إلى الصّعيد ، فأتوا إليه فوجدوه فى كنيسة بوصير [3] فأخذوه وقتلوه ، وانقضت به دولة بنى أُميّة ، ومدة ولايتهم إحدى وتسعون سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام .

ثم إن أبا مسلم عَظُمَ أمْرُه جدًا ، وولاه السفاح على خُراسان وأعمالها ، وقتله المنصور لأنه صَرَفَهُ عن خُراسان فلم يجب إليه أبو مُسلم ، ثم طالت بينهما المُرَاسلاتُ ، وآخر الأمرِ قَدِمَ أبو مسلم على المنصور بالمدائن فى ثلاثة آلاف رجل ، وخلّف باقى عسكره بحُلْوَان ، فدخل عليه وقبّل يَدَه وانصرف ،

---

(١) الزاب : نهران أحدهما يسمى الزاب الصغير والآخر يسمى الزاب الكبير ، وهما من روافد دجلة ومخرجهما من قرب جبال أذربيجان — المسالك والممالك للكرخى ص ٥٤ — والمنجد . معجم أعلام الشرق والغرب ٢٣١

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) بوصير : قرية من قرى محافظة الفيوم — المعارف لابن قتيبة ٣٧٢

فلما كان من الغد تَرَكَ المنصورُ بعضَ حَرَسِهِ وقال لهم : إذا صفَّقْتُ بيدى فاخرجوا واقتلوا أبا مُسْلِم ، ودعاه فلما حضر [جعل][1] المنصور يُعَدِّدُ ذُنُوبَه وأبو مُسلم يَعْتَذر عنها ويقول : فعلت لكم كذا وكذا ، فقال المنصور : يا ابن الخبيثة : إنما فعلتَ هذا بحظِّنَا ولو كانت مكانك أمَةٌ سوداء لفعَلَت ما عَمِلْتَ ، أَلَسْتَ الكاتب إلىّ تبدأ بنفسك قبلى ؟ أَلَسْتَ الكاتب إلى تَخْطُب عَمَّتى آسِيَة ، وتزعم أنك من [٢٦] ولد سليط بن عبد الله بن العباس ؟ ! أتذكر تسليمك عَلَى أخِى وأنا جالسٌ فى مجلس فلا تراني أهلاً لِلسَّلام ؟ ! فذكر أشياء كثيرة ، ثم صفّق بيده فخرجوا وقتلوه . وكان فى شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، وكان قال له : أبقِنى يا أمير المؤمنين لأعدائك ، فقال : ياكلب أىّ عدوّ أعدى منك ؟ ولفُّوه فى عباءة وألقوه فى دِجْلة . وكان أبو مُسْلم قد قتل فى مدة دولته ستمائة ألف نفس صبراً ، وكان ينظر فى الملاحم ويجد خبره فيها ، وأنه مميتُ دولة ومحيِى دولة ، وأنه يُقْتَل ببلاد روميّة ، وكان المنصور يومئذ بروميّة المدائن التى بناها كسرى ، ولم يخطر بقلب أبى مسلم أنها موضع قتله ، بل راح وَهْمُهُ إلى بلاد الروم ، فلذلك حضر عند المنصور . وكان أبو مسلم ممن يشتغل بالحديث ؛ رَوَى عن جماعة منهم ثابت البنّانى وعِكْرِمَة مَوْلى ابنِ عبّاس ،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل.

وروى عنه جماعةٌ منهم عبد الله بن المُبَارك [1] ، وعبد الله ابن شُبْرُمة [2] ، وقال ابن خلِّكان : وقد اختلف فى نسبه ، فقيل إنه من العَرَب ، وقيل إنه من العجم ، وقيل إنه من الكُرْد ، ومولده بمدينة أصبهان ، ومنشأه الكوفة .

الثانى : المنصور تولى الخلافة بعد موت أخيه السّفاح بالجُدَرِى بالأَنبار [3] [فى] [4] الثالث عشر من ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة ، ودفن بالأَنبار . ولما تولَّى المنصور شرع فى بناء بَغْدَاد - وكان فى سنة خمس وأربعين ومائة - فجمع المهندسين والصنَّاع والفعلاء ، وكان هو أول من وضع لبنة بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله والأَرض لله يورثها من يشاءُ من عباده والعاقبة للمتقين ، ثم قال : ابْنُوا على بركة الله . وجعل لها ثمانية أبواب فى السور البَرّانى ، ومثلها فى الجُوّانى ، وليس كل واحد تجاه الآخر ولكن ازْوَرّ عن الذى يقابله ، ولهذا سميّت بغداد الزوراء . وكان المهندسون

---

(1) هو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزى الحافظ شيخ الإسلام ولد سنة ١١٨ هـ ومات سنة ١٨١ هـ .

تذكرة الحفاظ ١ : ٢٥٣ .

(2) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الكوفى القاضى - فقيه أهل الكوفة، ويعد فى التابعين . توفى سنة ١٤٤ هـ .

المزى - تهذيب الكمال ٣٤٦ ب .

(3) الأنبار : مدينة بالعراق على نهر الفرات وكانت أكبر المدن الآهلة بإقليم العراق أيام العباسيين . لسترنج . بلدان الخلافة الشرقية ١٧ .

(4) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

رسموها بالرّماد ، فمشى فى طرقها ومسالكها ، ثم سلّم كل ربع منها لأمير يقوم على بنائِه ، وذكر أحمد بن أبى طاهر [1] فى كتاب بغداد : إن ذرع بغداد ثلاثة وخمسون ألف [2] جريب وسبعمائة وخمسون جريبًا ، وإن عَدَدَ حماماتها ستون ألف حمام ، وأقل ما فى كل حمام خمسة أنفس [3] : حمامى ، وقَيِّم ، وزبّال ، ووقّاد ، وسقّاء . وإن بإزاء كل [4] حَمام خمسة مساجد ، وذلك ثلاثمائة ألف مسجد ، وأقل مايكون فى كل مسجد خمسة أنفس : إمام ومؤذن ، وقَيِّمٌ ، ومأمومان ، فتناقص ذلك كله شيئًا فشيئًا إلى يومنا هذا ، ولا سيّما فى أيام هُلاَوُن بن طُولِى بن جِنْكِزخان الذى أخربها ، وقتل منها مايقرب من ألفى ألف نفس . ثم توفى أبو جعفر المنصور ، واسمه عبد الله بن على بن عبد الله بن العباس ليلة السبت لِسِتٍّ مضين من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة ، وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياما ، وكانت وفاته بمكة ، ودفن عند ثنية المعلى ، وكان عمره خمسًا وستين سنة .

الثالث : المهدى بن المنصور ، بويع له يوم مات أبوه ،

---

(1) هو أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور ، مؤرخ من بغداد . مات سنة ٢٨٠ هـ . ياقوت – معجم الأدباء ١ : ١٥٦ و ١٥٧ .

(2) ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « ٥٣٠٠٠ ذراع بذراع يلك » .

(3) فى الأصل « نفس » وقد ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « كان فى كل حمام خمسة نفوس » .

(4) ورد أمامها فى الهامش بخط مغاير « يقرب من كل حمام خمسة مساجد للصلاة » .

واسمه محمد[و][1]لقب بالمهدى طمعًا أن يكون الموعود به فى الأحاديث ،وتوفى بماسَبذَان فى المحرم سنة تسع وستين ومائة ، وصلّى عليه الرشيد ولده ، وكانت خلافته عشر سنين وشهرًا ونصفا ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ونصف سنة .

الرابع : الهادى واسمه موسى بن محمد المهدى ، وكانت خلافته سنة وشهرا وثلاثة وعشرين يوما ، وتوفى بعيساباذ[2] ليلة الجمعة النصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة .

الخامس : الرشيد هارون بن محمد بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم ، بويع له بالخلافة يوم مات أخوه ، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة ، وكان الهادى قد عزم على قتل الرشيد ، وعلى قتل يحيى بن خالد بن بَرْمَك ، وكان قد سجنه ، فأخرجه الرشيد من السجن ، وكان [3] ابنه من الرضاع وولاّه حينئذ الوزارة ، وفوّض إليه جميع الأعمال والأمور ، ثم دارت الدّوائر إلى أن قَتَل جعفرَ بن يحيى ، وأوقعَ بالبرامكة وأخذَ أموالهم ، وخرّب دورَهم على ما هو المشهور بين أهل التواريخ ، وجعفر هو ابن يحيى بن خالد[4]

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) عيساباذ : وتعنى بالفارسية عمارة عيسى ، وهى محلة كانت بشرقى بغداد تنسب إلى عيسى بن المهدى .

ياقوت – معجم البلدان ٧ : ٧٥٢ ط ليزج .

(٣) أى كان الرشيد ابن يحيى بن خالد البرمكى من الرضاع .

(٤) فى الأصل « بن برمك »

ابن بَرْمَك بن بشتاسَف ، وكان بَرْمَك مجوسيًا ، قدم على هشام بن عبد الملك فأسلم على يده وتسمّى بعبد العزيز ، وكان عَارِفًا بالحكمة وأنواعها من الحساب والنجوم والطب وغير ذلك ، وكان متقدمًا عند الحكماء ، وأبوه مَلِكًا من ملوك الفُرس .

وتوفى القاضى أبو يوسف [1] ، والإمام محمد الشيبانى [2] والكسائى [3] فى دولة الرشيد .

وتوفى الرشيد ليلة السبت مستهلَّ جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن سبعٍ وأربعين سنة ، فكانت مدة خلافته ثلاثًا وعشرين سنة وشهرًا ونصفًا ، ودفن بطُوس ، [4] وكان يقال له الموفَّق ، والمظفَّر ، والمؤيَّد .

السادس : الأمين محمد بن الرشيد ، بويع له بالخلافة ببغداد ، وفى عسكر الرشيد صبيحة اليوم الذى توفى فيه الرشيد ، ثم وقع بينه وبين أخيه المأمون حَسدٌ وعداوةٌ ، وآخر الأمر خُلِعَ الأمينُ من الخلافة ، واستقرّ المأمون ، ولكن لم يستوثق له الأمر حتى قُتل الأمين فى بغداد فى رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة .

---

(١) هو أبو يوسف صاحب أبى حنيفة مات فى ربيع الآخر سنة ١٨٢ هـ . دول الإسلام للذهبى ١ : ٨٥

(٢) وهو أيضاً من أصحاب أبى حنيفة مات بالرى سنة ١٨٩ هـ . المرجع السابق ١ : ٨٦

(٣) هو أحد القراء السبعة أبو الحسن على بن حمزة الكسائى النحوى. مات بالرى سنة ١٨٩ هـ. المرجع السابق ١ : ٨٦

(٤) طوس : مدينة بخراسان تبعد عن نيسابور بنحو عشرة فراسخ — ياقوت — معجم البلدان ١٣ : ٤٩ — ٥٠ .

السابع : المأمون ، استوثقت له الخلافة يومَ قتل الأمين ، وآستمر فى الخلافة إلى أن توفى بطَرَسُوس [1] يوم الخميس لثلاث عَشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثمانى عشرة ومائتين ، وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر ، وآسمه عبد الله المأمون بن هارون الرشيد . وفى تاريخ العسقلانى مات بالبذندون [2] من أرض الروم ، وحمل ودفن فى طَرَسُوس ، وكان يغزو هناك ، وذلك لأن ملك الروم توفيل بن [ميخائيل] [3] قد عدَّى من البحر ، وقَتَلَ جماعةً من المسلمين فى أرض طَرَسُوس نحواً من ألف وستِّمائَةِ إنسان ، فركب المأمون فى الجيوش إليه وكسره وفرّق عسكره ، وفتح من بلاد الروم ثلاثين حصناً ،ودَخل مصر ووضع أساس المِقْيَاس ، وفرّق أموالاً على فقرائها ، وكذا فعل فى الشام . وفى أيامه توفى الإمام الشافعى فى سنة أربع ومائتين ، وكذلك السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فى سنة ثمان ومائتين .

الثامن : المعتصم محمد بن الرشيد ، بويع له بالخلافة

---

(١) طرسوس : مدينة بثغور الشام (حالياً بتركيا) ويقال كان بها دور لأهالى الأمصار الإسلامية ينزلها أهلها إذا وردوها ـ
المسالك والممالك للكرخى ٤٧ .

(٢) البذندون : عين ماء تسمى أيضاً عين رقة .
لسترنج ــ بلدان الخلافة الشرقية ١٦٦ .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة عن البداية والنهاية لابن كثير ١٠ : ٢٨٥ ، ودول الإسلام للذهبى ١ : ٩٧ .

يوم مات أخوه بطَرَسُوس ، وهو الذى فتح عمُّورِيَّة [1] التى يقال لها انْكُورِيَّة ، وله فيها أمورٌ عجيبة ، وتوفى بسُرَّ مَنْ رَأَى[2] يوم الخميس لسبع عشرة ليلة [خلت] [3] من ربيع الأوَّل من سنة سبع وعشرين ومائتين ، وعمرُه ثمان وأربعون سنة ، وصلَّى عليه ابنُه هارون [٢٧] الواثق ، وكانت خلافته ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، وكان يُلقَّب بالسبَّاع ، والبيْطار والمُثَمَّن [4] . أما السَّباع فلأنه كان يصيد السِّباع بيده . وأمَّا البَيْطَارُ فلأنَّه كان يصيد حُمُرَ الوحش ويُنْعِلُهَا . وأما المُثَمَّن فمن وجوه : الأَول لأَنه الثامن من خلفاء بنى العباس ، والثانى لأَنه كان ثامن ولد العبَّاس ، والثالث لأَنه فتح ثمانية فتوحات : بلاد بابل ، وعمُّورِيَّة ، قتل منها ثلاثين ألفًا وسبى مثلهم ، وكان فى سَبْيِه ستون بطريقًا ،

---

(١) ويحكى فى سبب فتحها أن امرأة من الهاشميات حين أسرالروم لما استغاثت بقولها وامعتصماه، فلما بلغه ذلك استعظمه ونهض من وقته وجمع العساكر وقصدعمورية – وهى عين النصرانية،وأشرف عندهم من قسطنطينية ، وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام– وفتحها فى سنة ٢٢٣ هـ

المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٣ –

وعمورية ليست هى أنكورية . وانظر معجم البلدان لياقوت – ٣ : ٧٣٠ وما بعدها .

(٢) سر من رأى : مدينة بين بغداد وتكريت شرق دجلة، كانت تسمى سامرا فسماها المعتصم سر من رأى .

ياقوت . معجم البلدان ٣ : ١٤ وما بعدها .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة يقتضيها السياق .

(٤) فى الأصل « الثمن » وما هنا من ابن كثير . البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٥ .

والزّط [1] ، وبحر البصرة [2] ، وقلعة الإحراق ، وديار ربيعة ، والسادر ، وفَتْح مصر بعد عصيانها ، والرابع لأنه قتل ثمانية أعداء : بابك [3] ، ومازيّار [4] وناطش [5] صاحب عمّوريّة ، والأفشين [6] ، ورئيس الزنادقة [7] وعُجيف [8] ، وقادن [9] ، وقائد الرافضة [10] . والخامس فلأنه أقام فى الخلافة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام . والسادس فلأنه خلّف ثمانية ألف ألف

(١) الزط : جماعة عاثوا فساداً فى بلاد البصرة وقطعوا الطريق ونهبوا الغلات ، وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ، فقاتلهم عجيف تسعة أشهر حتى قهرهم (ابن كثير — البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٢) .

ويقال للزط الجات ، وهم قبائل جاءت من الهند (وهم النور على مايقال) ولهم ديار تسمى الحومة من بلاد خوزستان يسقيها نهر طاب ، وبها مدينة تسمى الزط — لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ٢٧٩ .

(٢) بحر البصرة : هو نهر البصرة ودجلة البصرة أو نهر العوراء . انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ٤٣ وما به من المراجع .

(٣) هو بابك الخرمىّ المجوسى الذى استولى على طبرستان عشرين سنة ، وعظم أمره ، وهزم مراراً عسكر المعتصم — المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٤

(٤) هو مازيار بن قادن يزداً هرمز (وقيل محمد بن قادن — النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٧) وقد خرج على الطاعة بآمل طبرستان فخرج إليه جيش المعتصم وأسره ، ثم مات فى سنة ٢٢٥ هـ . ابن كثير . البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٩ و ٢٩٢

(٥) كذا فى الأصل ، وفى المرجع السابق ١٠ : ٢٨٨ (مناطس)

(٦) كان الأفشين خيزر بن كاووس أحد قادة المعتصم . المرجع السابق ١٠ : ٢٩٢ و ٢٩٣ . وفى النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٧ « حيدر بن كاوس »

(٧) والمراد به المبرقع أبو حرب اليمانى الذى زعم أنه السفيانى ودعا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أولاً إلى أن قويت شوكته فادعى النبوة . ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٢ : ٢٤٨

(٨) هو عجيف بن عنبسة ، وكان حرض العباس على قتل عمه المعتصم حتى يظفر بالخلافة فبلغ المعتصم ذلك فأبطل التدبير ، وقتل عجيف وكذلك العباس بن المأمون . ابن كثير : البداية والنهاية ١٠ : ٢٨٨ و ٢٨٩ .

(٩ و ١٠) لم يستدل المحقق على تعريف بهما فى المراجع الميسرة له .

دينار ، ومثلها دراهم . والسابع فلأنه خلّف ثمانية آلاف غلام . والثامن فلأنه خلف ثمانية [آلاف][1] دابة .

التاسع : الواثق هارون بن المعتصم ، بُويع له بالخلافة فى اليوم الذى مات أبوه ، وتوفى بسُرَّ مَنْ رَأى يوم الثلاثاء لست بقين من ذى الحجة من سنة ثنتين وثلاثين ومائتين ، وصلَّى عليه أخوه المتوكل ، ودفن بالهارونى [2] ، وكان عمره ستًا وثلاثين سنة وشهورًا ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، وكان يبالغ فى الإكرام للعلويين والإحسان إليهم ، ولما حجّ فرّق فى الحرمَيْنِ أموالاً عظيمة ، حتى إنه لم يبق فى الحرمين أيامَ الواثق سائل ، ولمّا بلغ أهلَ المدينة موتُه كانت نساؤهم تخرج إلى البقيع فى كل ليلة ويندبنه لفرط إحسانه إليهم ، وقال القاضى يحيى بن أكثم [3] : ما أحسن أحَدٌ من خلفاء بنى العباس إلى آل المُطَّلِب ما أَحْسَنَ إليهم الواثق ، ما مات وفيهم فقير ، وكان محبوبًا عند الناس ، جميل الصورة حسن الجسم ، ولم يَرَ فى أيامه نكدًا ، وكان يجالس العلماء والصلحاء ويحسن إليهم ويعظِّمُهم .
فهذا هو التاسع من خلفاء بنى العباس ، فمولانا السلطان

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل يستقيم بها السياق ، هذا وقد جاء فى دول الإسلام للذهبى ١ : ٩٩ — أنه خلف ثمانين ألف فرس ومثلها من الجمال والبغال ، وجاء فى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٥ ومات عن ثمانية بنين وثمانى بنات .

(٢) الهارونى : مقبرة بدمشق .

(٣) هو قاضى القضاة يحيى بن أكثم المروزى البغدادى مات سنة ٢٤٢ هـ — الذهبى — دول الإسلام ١ : ١٠٧ .

المؤيَّد كذلك هو التاسع من سلاطين التّرك ، فنرجو من الله تعالى أن يُعْطَى ما أُعْطِى له من السرور وعدم النكد فى أيامه - إن شاء الله تعالى -

وأما دولة الفاطميين :

فأوَّلهم المهدى أبو محمد عُبَيْد الله بن الحسن بن محمد ابن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب - عَلَى زَعْمِهِم - وقال ابن خلِّكَان : والمحققون ينكرون دعواه فى النسب . وقال ابن كثير : قد كتب غيرُ واحد من الأئمة منهم الشيخ أبو حامد الإسفراييني[1] والقاضي الباقِلاَّنى[2] ، وأبو الحسين القُدُورى[3] : أن هؤلاء الأدْعِياء ليس لهم نسبٌ فيما يزعمونه ، وإن والد عُبيد الله هذا كان يهوديًّا صبَّاغًا بسَلَمْية[4] وكان ظهور المهدى بقَيْرَوَان[5] فى سنة ست وتسعين ومائتين ،

(1) هو أبو حامد أحمد بن طاهر الإسفرايينى :من كبار فقهاء الشافعية،وإليه انتهت رياسة المذهب فى عصره ، ولد سنة ٣٤٤هـ وتوفى فى شوال سنة ٤٠٦ هـ. طبقات الفقهاء للشيرازى ١٠٣

(2) هو محمد بن الطيب بن محمد بن أبى بكر القاضى المعروف بالباقلانى . من كبار متكلمى الأشاعرة ، ومن رؤساء المذهب المالكى فى الفقه . توفى فى القعدة سنة ٤٠٣ هـ - ابن خلكان - وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٨ .

(3) هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، الفقيه الحنفى . انتهت إليه رياسة الحنفية . ولد سنة ٣٦٢ هـ وتوفى فى رجب سنة ٤٢٨ هـ -
اللباب ٢ : ٢٤٧ وطبقات الحنفية للقرشى ١ : ٩٣

(4) سلمية : بلدة من أعمال حماة .
ياقوت - معجم البلدان ٣ : ١٢٣ .

(5) القيروان : مدينة فى تونس أنشأها عقبة بن نافع سنة ٦٧٠ م فصارت عاصمة أفريقية .
المنجد - أعلام الشرق والغرب ٤٢٦ .

وزالت دولة بنى العباس بتلك الناحية من هذا الحين إلى أن هلك العَاضِد فى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وتوفى المهدى ـ بالمهديّة [1] التى بنَاها فى أيامه ـ ليلة الثلاثاء النصف من ربيع الأوّل سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

الثانى : القائم بأمر الله أبو القاسم . ولما توفى [والده] [2] كتم أمره سنةً حتى دبّر ما أراده من الأمور ، ثم أظهر ذلك ، وعزّاه الناس فيه ، وكان شهمًا كأبيه ، فتح البلاد ، وأرسل السّرايا إلى بلاد الرّوم ، وطلب أخذ الديّار المصرية ، فلم يتفق له ذلك ، وإنما جرى ذلك على يد ابن ابنه المعز الفاطمى الذى بنى القاهرة المعزيّة ، وتوفى يوم الأحد الثالث عشر من شوال سنة أربع وثلاثين وثلثمائة بالمهديّة ، وله ثمان وخمسون سنة ، وكانت أيامه اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام .

الثالث : المنصور إسماعيل بن القائم ، ويُكَنّى أبا الظاهر ، وهو الذى بنى المنصوريْة بالمغرب ، وتوفى فى آخر شوال من سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، وله أربعون سنة ، وكانت أيامه سبع سنين وستة عشر يومًا .

الرابع : المعز واسمه مَعَد بن المنصور ، وبويع له وعمره أربعٌ وعشرون سنة ، وهو الذى بنى القاهرة المعزيّة ، وكان

---

(١) المهدية : مدينة قرب القيروان اختطها المهدى سنة ٣٠٣ هـ ـ ياقوت معجم البلدان ١٨ : ٢٢٩ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٨٠

قد سَارَ جوهر[1] غلامُ والده المنصور إلى مصر ، فسار فى جيش فوصل إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء سابع عشر رمضان من سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، وطبوله تضرب ، وأعلامه تخفق ، وحمول المال بين يديه ، وهو ألف وخمسمائة صندوق ، فنزل موضع القاهرة ، واستولى [عليها] [2] بغير قتال ولا ضرب ولا ممانعة ، وذلك لأنه لما مات كافور الإخشيدى فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة اختلفت الآراء بمصر ، فبلغ ذلك المعزَّ وجهز هذا الجيش ، وهربت العساكر الإخشيديَّة قبل وصول جوهر ، فلما استولى عليها أقام الدَّعْوَة للمعز فى الجامع العتيق [3] فى شوال منها ، وقال ابن كثير : أَمَرَ جوهر المؤذنين بالجامع العتيق وبجامع ابن طولون [4] أن يؤذِّنوا «بحى على خير العمل» ، وأن يَجْهَرَ الأئمة بالبسملة ، ثم قال : وفى هذه السنة – أعنى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة – شرع جوهَر القائد فى بناء القاهرة المُعِزِّيَّة ، وبنى القصرين [5] ،

---

(١) هو أبو الحسين جوهر بن عبد الله . القائد المعزى المعروف بالكاتب أو جوهر الرومى . أوجوهر الصقلى مات سنة ٣٨١ هـ .

ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ٤ : ٢٨ – ٣٣ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) الجامع العتيق : هو جامع عمرو بن العاص .

(٤) بناه أحمد بن طولون سنة ٢٥٩ هـ على جبل يشكر – نسبة إلى يشكر بن جزيلة من لخم . وكان خطة لهم – وأنفق عليه مائة وعشرين ألف دينار من كنز وجده ، وليس فيه عمود .

انظر صبح الأعشى للقلقشندى ٣ : ٣٤٠ و ٣٤١ .

(٥) المراد بهما القصر الكبير الشرقى والقصر الصغير الغربى .

انظر الخطط لعلى مبارك ٢ : ١٤ وما بعدها .

وكُتبت لعنة الشيخين[1] على أبواب الجوامع والمساجد ، ولم يزل ذلك كذلك حتى أزالت ذلك دولةُ بنى أيّوب ، ثم سيّر جوهر جيشًا كثيرًا مع جعفر بن فَلَاح[2] إلى الشام فاستولى على الشام ، وخطبوا فيها للمعز ، فمسكوا جماعة من الأمراء الشاميّة والمصريّة ، وأرسلوهم إلى جَوْهَر فى مصر ، فحملهم جَوْهَر إلى المعزّ بأفريقية . ثم فى سنة ثمان وستين وثلاثمائة دخل المعز إلى الديار المصرية ، وصحبته تَوَابيتُ آبائِه فى الخامس من رمضان من هذه السنة ، فنزل بالقصرين ، وأول حكومة انتهت إليه أنَّ امرأة كافور الإخشيدى تقدمت إليه ، فذكرت أنها كانت أودعت عند يهودى صَوَّاغ[3] قباءً من لؤلؤ منسوج بالذهب ، وأنه أنكره ، فاستحضره وقرّره فجحد اليهودى ذلك ، فأمر المعز أن يحفر داره فحفروها فوجدوا القباء قد جعلها فى جرّة فدفنها[4] ، فسلمه المعز إليها فقدمته إليه وعرضته عليه ، فأبى أن يقبله منها وردّه عليها ، فاستحسن ذلك منه الناسُ .

---

(١) أى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

(٢) هو الأمير جعفر بن فلاح أحد قواد المعز المشهورين وكان النصر حليفه فى كافة الفتوح إلى أن غلب على دمشق فملكها وأقام بها إلى سنة ٣٦٠ هـ . وقصده الحسن بن أحمد القرمطى المعروف بالأعصم ، فخرج إليه وهو عليل ، فظفر به القرمطى وقتله وقتل كثيراً من أصحابه : ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٤ : ٣١ وهامشها .

(٣) أى يصوغ الذهب والفضة .

(٤) كذا بالأصل — والعبارة فى البداية والنهاية لابن كثير ١١ : ٢٧٤ — والثل منه ، قد جعله فى جرة ودفنه فى بعض المواضع من داره » .

ثم توفى المعز فى اليوم السابع والعشرين من ربيع الآخرة من سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وعمرُه خمس وأربعون سنة ، وكانت مدة أيامه فى الملك ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام ، منها بمصر سنتان وتسعة أشهر ، وكان مُنَجِّمًا يعتمد ما يرصد من حركات النجوم .

الخامس : العزيز ، واسمه نِزار أبو المنصور ، وَلِىَ العهد بمصر يوم الخميس [٢٨] رابع عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وهو الذى اختط أساس الجامع[1] بالقاهرة مما يلى باب الفتوح ، وحُفِرَ وبُدِئَ بعمارته سنة ثمانين وثلاثمائة فى شهر رمضان . وفى أيامه بُنِى القصرُ بالبحر بالقاهرة . لم يبن مثله فى شرق ولا غرب ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة ، والقصور بعين شمس ، وكان أسمر أصهب الشعر ، أعين أشهل ، عريض المنكبين حسن الخلق ، لا يؤثِر سفك الدماء ، كريمًا شجاعًا ، حسن العفو عند المقدرة ، بَصِيرًا بالخيل ، والجارح من الطير ، مُحِبًّا للصيد ، مُغْرًى به وبصيد السّباع ، ويَعْرِفُ الجوهر والبَزّ[2] ، وكان أديبًا فاضلاً ، قال ابن خلكان : فتحت له حمص وحماة وحلب ، وشيزر ، وخطب له بالمَوْصِل وأعمالها فى المحرّم سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، وخطب له باليَمَن ، ولم يزل

(١) أى جامع الحاكم . انظر ماسبق . ص

(٢) البز — السلاح أو الثياب من القطن والكتان . (محيط المحيط)

فى سلطانه وعِظَم شأنه ، إلى أن خرج إلى بلبيس متوجهاً إلى الشام [1] ، فابتدأت به العلّة فى العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة ، ولم يزل مرضه يزيد وينقص حتى ركب – يوم الأحد لخمس بقين من رمضان من السنة المذكورة – إلى الحمام بمدينة بُلْبيس ، وخرج منها إلى منزل الأستاذ أبى الفتوح بَرْجَوَان [2] ، وكان صاحب خزائنه بالقصر ، فأقام عنده ، وأصبح يوم الاثنين فاشتدّ به الوجع يومَهُ ذلك ، وصبيحة نهار الثلاثاء ، وكان مرضه من حصاة [3] وقُولَنْج ، واستدعى ولَدَه الحاكِم وخاطبه بالعهد والولاية . ولم يزل العزيز فى الحمّام والأمر يشتد به إلى بين الصّلاتين من ذلك النهار ، وهو يوم الثلاثاء الثامن والعشرون من رمضان من السنة المذكورة ، فتوفى فى مَسْلَح [4] الحمّام ، ثم ترتب موضِعَهُ ولدُه الحاكم أبو علىّ المنصور . وكانت ولادته يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة أربع وأربعين وثلاثمائة بالمهدية من أرض أفريقية . وقال ابن كثير : توفى عن ثنتين وأربعين سنة ، منها ولايته بعدأبيه إحدى وعشرين سنة وخمسة

(١) يقول أبو الفدا فى المختصر فى أخبار البشر ٢ : ١٣١ « إنه كان قد برز إليها لغزو الروم . »

(٢) هو أبو الفتوح برجوان الخادم . وكان خصياً أبيض تام الخلقة ، ربى فى دار الخليفة العزيز بالله وولاه أمر المنصور ، وهو الذى تكفل بالحاكم بأمر الله لما تولى الخلافة صغيراً ، ولازم الحاكم إلى أن قتله فى سنة ٣٩٠ هـ .
على مبارك – الخطط ٣ : ٣٤ .

(٣) الكلمة مطموسة فى الأصل – وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٢

(٤) المراد حوض الحمام . فقد جاء فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٣ « أن الطبيب وصف له دواء يشرب به فى حوض الحمام ، وغلط فيه . فشربه فمات من ساعته » .

أشهر وعشرة أيام ، وكان جَمَع من الأموال شيئاً عظيماً ، وكان الوزير أبو الفتوح يعقوب بن إبرهيم بن هارون بن داود ابن كِلِّس مات فى أيامه ، وحَصَلَ له منه شىءٌ كثير . قال ابن زولاق[1] فى تاريخه . وهو أول من وزَرَ للفاطميين بالديار المصرية ، وكانت داره بالقاهرة فى موضع مدرسة الوزير صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على المعروف بابن شُكر المختصة بالطائفة المالكية ، وإن الحارة المعروفة بالوزيرية التى بالقاهرة داخل باب سعادة منسوبة إلى أصحابه لأنّهم كانوا يسكنونها ، ولما مرض عاده العزيز[2] ، ووصّاه الوزير فيما يتعلق بمملكته . ولما مات أمرَ العزيزُ أن يدفن فى داره ، وهى المعروفة بدار الوزارة بالقاهرة داخل باب النصر ، فى قبة كان بناها ، وصلى عليه ، وألْحَدَهُ بيده فى قبره ، وانصرف حزينًا لِفَقْدِه ، وأمر بِغَلْق الدّواوين أياماً من بعده .

وكان إقطاعه من العزيز فى كل سنة مائةَ ألف دينار ، وَوَجَد له من العبيد والمماليك أربعة آلاف غلام ، وَوَجَد له جوهرًا بأربعمائة ألف دينار ، وبزًّا من كل صنف بخمسمائة ألف دينار ، وفى تاريخ النُّويرِى : وَجَد له أوانى من كل صنف بخمسمائة ألف دينار ، وثمانمائة حظيّة خارجاً عن

---

(١) هو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن على بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان ابن زولاق الليثى المصرى ، من كبار المؤرخين القدماء . توفى سنة ٣٨٧ هـ . ابن خلكان — وفيات الأعيان ١ : ١٣٤

(٢) فى الأصل « الوزير » وهو خطأ والصواب ماهنا .

جَوَارى الخدمة ، ويقال : إنه كُفِّن وحُنِّطَ بما مبلغُهُ عشرة آلاف دينار . وقال ابن عساكر فى تاريخه : كان يَهُودِيًّا من أهل بغداد ، خَبيثًا ذا مَكْر ، وله حِيَلٌ ودَهَاء ، وفِطْنَةٌ وذكاء . وكان فى قديم أمره خرج إلى الشام ، ونزل إلى الرَّملة[1] ، وصار بها وكيلاً ، فكسر أموال التجار ، وهرب إلى مصر ، فخدم كافور الإخشيد ، فرأى منه فطنة وسياسة ، ومعرفة بأَمر الضِّيَاع ، فقال : لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيرًا ، فطمع فى الوزارة ، فأَسلم يوم جمعة فى جامع مصر[2] ، فلما عرف الوزير أبو الفضل جعفرُ بنُ الفُرَات قَصَدَهُ فهرب إلى المَغْرِب ، واتصل بيهودٍ كانوا مع المُعِزّ ، وخرج معه إلى مصر ، فلما مات المُعِزُّ ، وقام ولدُهُ العزيز استوزر ابن كِلِّس هذا فى سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فلم يزل يُدَبِّرُ أَمْرَهُ إلى أن هلك فى ذى القعدة من سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكُفِّنَ فى خمسين ثوبًا ، ويقال إنه رثاه مائة شاعر ، ويقال إنه مات على دينه وكان يظهر الإسلام ، والصحيح أنَّه أَسْلَمَ وحَسُن إسلامه ، وكِلِّس بكسر الكاف واللَّام المشدَّدة ، وفى آخره سين مهملة .

وكان العزيز استوزر بعده رجلاً نَصْرَانيًّا يقال له عيسى ابن نسطورس ، وآخرَ يهوديًا اسمه ميشا ، فعزَّ بسببهما أهل

(١) الرملة : مدينة بفلسطين . ويقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٤ : ١٥٨ إن يعقوب هذا « انتقل إلى الرملة وعمل سمسارًا فانكسر عليه مال فهرب إلى مصر » .

(٢) المراد جامع عمرو بن العاص .

هاتين الملَّتين فى ذلك الزمان على المسلمين ، حتى كتبت إليه امرأةٌ فى قصة فى حاجة لها تقول : بالذى أعَزّ النصارى بعيسى ابن نسطورس ، واليهود بميشا ، وأذلّ المسلمين بك لَمَا كَشَفْتَ عن ظلامتى[1] . فعند ذلك أمر بالقبض على هذين الرجلين ، وأخذ من النصرانى ثلاثمائة ألف دينار .

السادس : الحاكم بأمر الله أبو علىّ المنصور بن العزيز بن المعزّ ، فذكرنا أنه تولى يوم وفاة أبيه ، وكان من أكبر الزَّنَادِقَة .

قال بن خلكان : كان جَوَادًا بالمال ، سَفَّاكاً للدِّماء ، قتل عددًا كثيرًا من أماثل أهل دولته ، وغيرهم وغيرهم ، وكانت سيرتُهُ من أقبح السِّيَر ، يخترع كل وقت أحكامًا يحمل الناس على العمل بها ، منها أنه أمر الناس فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بِكَتْب سَبِّ الصحابة رضى الله عنهم فى حيطان المساجد ، والمقابر[2] ، والشوارع ، وكتب إلى سائر أعمال الدّيار المصرية يأمرهم بالسبّ ، ثم أمر بقلع ذلك ، ونهى عنه فى سنة سبع وتسعين ، ثم تقدّم بعد ذلك بمدة يسيرة بِضَرْب مَنْ يسبّ الصحابة وتأديبِهِ . ومنها أنه أمر بقتل الكلاب فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فلم يُرَ كلب فى الأسواق والشوارع والأزقة إلاّ قتل ، ومنها أنه أنهى عن بيع الفُقّاع[3] ، والملوخيا ،

(١) والعبارة فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١١٦ « إلا نظرت فى أمرى ؟ » .

(٢) فى الأصل « والقياسر » وما هنا من وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩ .

(٣) الفقاع : شراب يتخذ من الشعير ـ سمى بذلك لما يعلوه من الزبد والفقاعات . هامش وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩

والسمك الذى لا قشر له ، وأمر بالتشديد فى ذلك والمبالغة .
وظهر على جماعة أنهم باعوا شيئًا منه ، فضربهم بالسياط ،
وطِيفَ بهم ، ثم ضَرَبَ أعناقَهُم ومنها أنه فى سنة اثنتين
وستين وأربعمائة نهى عن بيع الزّبيب قليلِهِ وكثيرِهِ على اختلاف
أنواعه ، ونهى التُّجّار عن حمله إلى مصر ، ثم جمع منه [جملة][1]   ٥
كثيرة وأحرق جميعها . ويقال : إن مقدار النفقة التى
غرموها على إحراقه كان خمسمائة دينار ، وفى هذه [٢٩] السنة
أيضاً منع من بيع العنب ، وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا
كرومها ، قيل إنه قَطَع كرومًا قيمتها أربعون ألف دينار .
وكان فى مخازن الجيزة خمسة آلاف جرّة عَسَل ، قاموا بكسرها   ١٠
وسكبها فى النيل . وفى هذه السنة أمر النّصارى واليهود - إلا
الخَبَابِرَة - بلبس العمائم السوداء ، وأن يحمل النصارى فى
أعناقهم الصلبان ما يكون طوله ذراعًا ووزنه خمسة أرطال ،
وأن يحمل اليهود فى أعناقهم قرامى خشب على وزن صلبان
النصارى ، ولا يركبون شيئًا من المراكب المحلاّة ، وأن يكون   ١٥
ركوبهم من الخشب ، ولا يستخدمون أحدًا من المسلمين ،
ولا يركبون حمارًا مُكَارِيهُ [من][2] المسلمين ، ولا سفينة
نُوتِيُّها مسلم ،وأن يكون فى أعناق النصارى إذا دخلوا [الحمام][3]

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٧٩ .
(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل . والعبارة فى « ابن خلكان - وفيات الأعيان   ٢٠
٤ : ٣٨٠ » لمكار مسلم » .
(٣) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٠ .

الصلبان ، وفى أعناق اليهود الجلاجل ؛ ليتميزوا بها عن المسلمين ، ثم أفرد حمامات لليهود والنصارى ، وحطَّ على حمامات النصارى الصُّلبان ، وعلى حمامات اليهود صورَ القَرَامِى ؛ وذلك فى سنة ثمان وأربعمائة ؛

وفيها أمر بهدم الكنيسة المعروفة بقُمامَة[1] وجميع الكنائس بالديار المصرية ، وَوَهَب جميع ما فيها من الآلات وجميع مَالها من الأَرباع والأَحباس لجماعة من المسلمين[2] . ثم رسم ألاَّ يتكلم أحد فى النجوم ، وأن يُنْفَى المنجمون من البلاد ، ثم عقد عليهم توبةً ، وأعفاهم عن النَّفْى ، وكذلك أصحاب الغِنَاء والملاهى .

وفى شعبان من السنة المذكورة منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهارًا ، ومنع الأَساكفة من عمل الخفاف لَهُنَّ ، ومنعهن عن الحمامات ، ولم تزل النساءُ ممنوعة عن الحمام إلى أيام ولده الظاهر ، وكانت مدة المنع سبع سنين وسبعة أشهر ،

ثم أمر ببناء ما هدم من الكنائس ، وردَّ ما كان أُخِذَ من أحباسها .

وقال ابن الجوزى فى تاريخه المنتظم : ثم زاد ظلم الحاكم

---

(١) موضع هذه الكنيسة بيت المقدس وهى فى وسط البلد والسور محيط بها . هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٧٨

(٢) يلاحظ أن المؤلف قد نقل أخبار الحاكم بأمر الله عن ابن خلكان كما ذكر ذلك فى ص ١٥٦ ومع ذلك فإنه قد اختصر بعض الجمل ، ولتحقيق ذلك انظر وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٠ وقارنه بما هنا .

وعنّ له أن يَدّعِى الرُبوبِيّة ، فصار قوم من الجُهّال إذا رأوه يقولون : يا واحدنا يا أحدنا يامحيي يامميت .

وقال ابن كثير فى تاريخه : والحاكِمُ هو الذى ينسب إليه الفرقة الضالّة المضلّة الزنادقة الحاكِميّة ، وإليه نسب أهل وادى التيم[1] من الدُرْزِيّة أتباع ختكين غلام الحاكم الذى بعثه إليهم يدعوهم إلى الكفر المَحْض فأجابوه ، وكان قد أمر الرعيّة إذا ذكره الخطيبُ على المنبر أن يقوم الناس على أقدامهم صفوفا ؛ إعظامًا لذكره واحترامًا لاسمه ، وكان يفعل هذا فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين ، وكان أهل مصر على الخصوص إذا قاموا خرّوا سُجّدًا حتى إنه ليسجد بسجودهم مَنْ فى الأسواق من الرعَاع وغيرهم .

وأمر فى وقت أهل الكنائس بالدخول فى دين الإسلام كرهًا ، ثم أذن لهم فى العَوْدِ إلى أديانهم ، وابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ، ثم قتلهم وخرّبها ، وألزم الناس بإغلاق الأسواق نهارًا وفتحها ليلاً ، فامتثلوا ذلك دهرًا طويلا حتى اجتاز مرةً بشيخ يعمل [فى][2] التجارة فى أثناء النهار وعنده مسرجة يسرج عليها ، فوقف عليه فقال : ألمْ أنهكُم عن هذا ؟ فقال : ياسيدى أما كان الناس يَسْهَرُون لما كانوا يتعيشون بالنهار ، فهذا من جملة السهر ، فتبسّم وتركه . وقد كان يعمل

(١) وادى التيم : هو وادى تيم الله بن ثعلبة ، ويقع غربى دمشق ، من أعمال بنياس . ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ٤ : ١٨٤ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الحِسْبَة[1] بنفسه ، يدور فى الأسواق على حمار له – وكان لا يركب إلا حماراً – فمن وجده قد غشّ فى معيشة أمر عبداً أسود معه ، فقال له : مسعود أن تفعل فيه الفاحشة العظمى ، وهذا أمر مُنْكَرٌ ملعون لم يسبق إليه أحد .

وقال ابن خِلّكان : وهو الذى بنى الجامع الكبير [2] بالقاهرة بعد أن كان شرع فيه والده العزيز بالله ، فأكْمَله وَكَدَّه ، وبنى جامع راشدة[3] بظاهر مصر ، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة وغيرها ، وحمل إلى الجوامع من المصاحف والآلات الفضيّة والسُّتُور والحُصْر ماله قيمة طائِلة ، وكان يحب الانفراد ، والركوب على بهيمة وحده ؛ فاتفق أن خرج ليلة الإثنين السابع والعشرين من شهر شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة إلى ظاهر مصر ، وطاف ليلته كلّها ، وأصبح عند قبر الفقاعى[4] ، ثم توجه إلى حُلْوَان ومعه ركابيّان ، فأعاد [أحدهما][5] مَعْ تسعة

(١) أى يقوم بأعمال وظيفة المحتسب .

(٢) المراد به جامع الحاكم الذى يعرف بجامع الأنور – المواعظ والاعتبار للمقريزى ٢ : ٢٧٧ .

(٣) عرف هذا الجامع بهذا الاسم لأنه بنى فى خطة راشدة بن أدب بن جديلة من لخم ؛ وهذه الخطة بجبل الرصد ، وموضعه الآن مساكن قائمة غربى اسطبل عنتر بأثر النبى جنوبى مصر العتيقة – المقريزى – المواعظ والاعتبار ٢ : ٢٨٢ .

(٤) كان هذا القبر فى طريق الذاهب من القاهرة إلى البساتين وموضعه فى الفضاء الواقع غربى جبانة سيدى عقبة جنوبى الإمام الشافعى – انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٨٥ .

(٥) مابين الحاصرتين إضافة عن ابن خلكان . وفيات الأعيان ٤ : ٣٨٢

من العرب السُّوَيْديِّين[1] ثم أعاد الركابىَّ الآخر ، وذكر هذا أنه خَلَّفَه عند القبر والمقصبة ، وبقى الناس [على رسمهم][2] يخرجون يلتمسون رجوعه على عادتهم ومعهم دوابُّ الموكب إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور ، ثم خرج يوم الأحد ثانى ذى القعدة مُظَفَّر صاحب المظلة ، وخطىٌّ[3] الصقلبىّ ، ونسيم متولى الستر ، وابن أتشتكين[4] التركى صاحب الرمح ، وجماعة من الكتاميين والأتراك ، فبلغوا دير القَصِير[5] والموضع المعروف بحُلْوَان[6] ، ثم أمعنوا فى الدخول فى الجبل ، فبينا هم كذلك إذ أبصروا حمارَهُ الأَشْهَبَ الذى كان راكبًا عليه المدعو بالقمر[7] ، وهو على قرن الجبل وقد ضربت يداه بسيف

---

(١) نسبة إلى رجل من قضاعة يسمى سويد بن الحارث بن حسين بن كعب بن عليم .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٨٥ .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ .

(٣) كذا فى الأصل . وهو فى وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ و خطلبا ،

(٤) إعجام اللفظ من المرجع السابق ٤ : ٣٨٢ .

(٥) دير القصير : جاء فى الخطط للمقريزى ٢ : ٥٠٤ – ٥٠٩ ضمن كلامه عن الأديرة: ان هذا الدير بنى أعلى الجبل على سطح فى قلته ، ويطل على الصحراء وعلى النيل وعلى القرية التى تعرف حالياً بالمعصرة بين طره وحلوان – ويعرف هذا الدير باسم دير البغل ، وجاء فى موضع آخر : دير يحنس القصير وهو المعروف بدير القصير الذى هو ضد الطويل ويسمى أيضاً دير هرقل ، وقد خرب من زمن بعيد وموقعه فوق الجبل شرق عطلة المعصرة .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٩١ .

(٦) فى الأصل بسلوان وما هنا من النجوم الزاهرة ٤ : ١٩١ ، وحلوان مدينة جنوب القاهرة كان يسكنها عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى فى أثناء ولايته على مصر نيابة عن أخيه الخليفة عبد الملك بن مروان ، وبها توفى وبها ولد الخليفة عمر بن عبد العزيز – رضى الله عنه –
ابن خلكان – وفيات الأعيان ٤ : ٢٨٣ .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفى كتاب الحاكم بأمر الله وآثار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ٢١٥ (حماره الأشهب المدعو بالقمر) .

فأثر فيهما وعليه سرجه ولجامه ، فتبعوا الأثر ، فإذا أثر الحمار في الأرض ، وأثر راجلة خلفه وراجلة [1] قدامه ، فلم يزالوا يقصّون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرقى حُلْوَان ، فنزل إليها بعض الرجالة ، فوجد فيها ثيابه وهى سبع جباب ، ووجدت مُزررَة لم تحل أزرارها ، وفيها آثار السكاكين ، فأخذت وحملت إلى القاهرة ولم يُشَكّ فى قتله ، مع أن جماعة من المُغَالِينَ فى حُبِّه ، السخيفى العقول يظنون حياته ، وأنه لابُدَّ أن سيظهر ، ويحلفون بغيبة الحاكم ، وتلك خيالات فاسدة . ويقال إن أخته ست الملك دسَّت عليه من يقتله ، وكان عمره سبعًا وثلاثين سنة ، ومدة ولايته خمسًا وعشرين سنة - والله أعلم -

السابع : الظاهر لإعزاز دين الله أبوهاشم على ، كانت ولايته بعد فقد أبيه الحاكم ، وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيامًا .

قال ابن خلكان ، سمعت أنه توفى ببستان الدُّكَّة بالمقس وكان له [٣٠] مصرُ والشام ، والخطبةُ بأفريقية ، وكان جميل الصورة منصفًا للرَّعِيَّة ، وكانت وفاته فى شعبان من سنة [سبع] [2] وعشرين وأربعمائة .

الثامن : المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ وَلَدُ الظاهر ، واستمرت أيامُه ستين سنة ، ولم يَتَّفِقْ هذا لخليفة قَبْلَهُ ولا بَعْدَه ، وتوفى

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ : ٣٨٢ (وراجل خلفه وراجل قدامه) .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٥٩ .

ليلة الثلاثاء الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وكان عمره سبعًا وستين سنة .

التاسع : ولده أبوالقاسم أحمد، الملقب بالمستعلى ، وكان جوادًا ، كريمًا حليمًا ، لم يسلك فى دينه وأحوال رعيته كما سلك آباؤه ، وكان الناس فى أيامه — وإن كانت قليلة — فى أمن ، فهذا هو التاسع من خلفاء العُبَيْدِيِّين ، الملقَّب بالمستعلى المشتق من العُلُوِّ . فكذلك مولانا السلطان المؤيد تاسع الملوك التُّرك ، فنرجو من الله تعالى أن يزداد استعلاؤه وعلوُّه فى الدنيا والآخرة .

وللتفاؤل بالأسماء أثرٌ مأثور غير منكور . وكان أبو القاسم شاهنشاه الملقب الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستعلى ، وقبله وزيرِ أبيه المستنصر ، وكان وزير السَّيْفِ والقلم ، وإليه قضاء القضاة ، والتقدم على الدّعاة . ولما توفى مقتولا فى فى سلخ رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة ، خلَّف من الأموال مالم يسمع قبلها . قال صاحب الدوَل المنقطعة[1] : خلف ستمائة ، ألف ألف دينار عَيْنًا ، ومائتين وخمسين إردبًا دراهم ، [من][2] نقد مصر ، وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقى ، ودواة ذهبٍ فيها جوهر قيمتُه اثنا عشر ألف دينار ، ومائة مسمار من ذهب ، وزنُ كل مسمار

---

(١) الدول المنقطعة : كتاب فى التاريخ ألفه الوزير جمال الدين أبو الحسن على بن كمال الدين أبى المنصور ظافر بن حسين الأنصارى الخزرجى المصرى المتوفى سنة ٦٣٣ هـ . فهرس الكتب العربية ٥ : ١٨٥ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على .

مائة مثقال ، فى عشرة مجالِس فى كل مجلس عشرة مسامير ، على كل مسمار منديل مشدود مذهب ملون من الأَموال ــ أيما أَحبَّ منها لبسه ــ وخمسمائة صندوق كسوة لخاصة نفسه من دبيق[1] ودِمياط ، وخلَّف من الرقيق والخيل والبغال والمراكب والتجمل[2] والحلى مالم يعلم قدره إلا الله ، وخلف خارجا من ذلك من البقر والجواميس والغنم ما يُسْتَحَى من ذكر عدده ، وبلغ ضمان ألبانها فى سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وَوُجِدَ فى تركته صندوقان كبيران فيهما إبرٌ من ذهب برسم النساء والجوارى ، وكان يسكن بمصر فى دار الملك[3] التى على بحر النيل ، وهى اليوم دار الوكالة . وقال النُّوَيْرِى : لما قتل نقل ما خلَّفَه الخليفةُ الفاطمىُّ إلى حواصله وخزائنه ، وهو ابن أمير الجيوش الذى تسميه العامة مرجوش ، وإليه تنسب قيسارية أمير الجيوش بالقاهرة ، وسوق المرجُوشى ، وكان أرمنى الجنس اشتراه جمال الدَّولة ابن عمار ، وتربَّى عنده وتقدم لسنه .

---

(1) دبيق : بلدة مصرية قديمة كانت تقع على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس ، وموضعها اليوم تل دبيق شمال شرق صان الحجر ، وإليها ينسب نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة .

هامش ابن تغرى بردى – النجوم الزاهرة ٤ : ٨١ .

(2) اللفظ غير منقوط فى الأصل .

(3) دار الملك : كانت من جملة مناظر الفاطميين ، بناها الأفضل أمير الجيوش وانتقل إليها من دار القباب ، وحول إليها الدواوين من القصر . وكانت تقع على شاطىء النيل فى آخر مصر القديمة بجوار المدرسة المعزية التى بناها المعز أيبك سنة ٦٥٤ هـ ، ومحلها فى عصر المقريزى جامع عابدى بك الشهير بجامع رويش ، ومكانها حالياً جملة مبانى قسم شرطة مصر القديمة ومكتب التلغراف والكنيسة الإنجليزية والوكالة وقف أبى راية .

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٩٢ .

وأما دولة بنى بُوَيْه :

فأوّل الملوك منهم عماد الدولة أبو الحسن على بن بُوَيْه ابن فنّاخُسْرو الدَّيْلَمى وبقية النسب قد مرّ [فى][1] صاحب بلاد فارس ، وكان أبوه صيادًا وليست له معيشة إلا من صيد السمك ، وكانوا ثلاثة إخوة ، عماد الدّولة أكبرهم ، ثم ركن الدّولة الحسن ، ثم معزّ الدّولة ، والجميع ملكوا ، وكان عماد الدّولة سبب سعادتهم ، وانتشار صيتهم ، واستَوْلَى على البلاد ، وملكوا العِرَاقَيْن والأهواز وفارس ، ويقال اتَّفَقَت لعماد الدَّوْلة أسبابٌ عجيبة كانت سببًا لِثَبَاتِ ملكه ، منها أنّه ملك شِيرَاز ، فى أول مُلْكِهِ اجتمَع أصحابُه وطالبوه بالأموال ، ولم يكن معه ما يرضيهم به ، وأشرف أمرُه على الانْحِلاَل فاغْتَمّ لذلك . فبينما هو متفكرٌ قد استلقى على ظهره فى مجلس قد خلا فيه للفِكْرَة إذْ رأى حيّةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعا آخر ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعَا الفراشين وأمرهم بإحضار سُلّم ، وأن تُخْرَج الحيّة ، فلما صعَدُوا وبحثوا عن الحية وجدوا ذلك السقف يُفْضى إلى غرفة بين سقفين ، فعرّفوه ذلك ، فأمرهم بفتحها فَفُتِحَت ، فوجد عدّةَ صناديق من المال والمصاغات قدر خمسمائة ألف دينار ، فَحُمِلَ المالُ بين يَدَيْهِ ، فسُرّ بِهِ وأنفقه فى رجاله ، وثَبَتَ أمرُه بعد أن كان قد أشفى على الانخرام ، ثم إنه قطع ثيابًا ، وسأل عن خياط

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

حاذق ، فوُصِف له خياطٌ كان لصاحب البَلَدِ قَبْلَه ، فأمر بإحضاره ، وكان أطروشًا[1] ، فوقع له أنه قد سُعِىَ بِهِ فى وديعةٍ كانت عنده لصاحبه ، وأنه طُلِبَ لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف أنه ليس عنده إلاَّ اثنا عشر صندوقًا لا يَدْرى ما فيها ، فَعَجِب عمادُ الدّولة من ذلك ، ووجّه معه من يحملها ، فوجد فيها أموالاً وثيابًا بجملة عظيمة .

فكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل السعادة له ، ثم تمكّنت حاله ، واستقرت قواعدُه ، ولم يزل مسرورًا إلى أن توفى يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأُولى سنة ثمان وثلاثين ، وقيل تسع وثلاثين وثلاثمائة بشِيراز . وأقام فى الملك ست عشرة سنة .

الثانى : ركن الدّولة أبو على الحسن بن بُوَيْه ، كان صاحب أَصْبَهان والرّى وهَمذَان ، وجميع عراق العجم ، وكان مِلِكًا جليلَ القَدْر ، عالى الهمة ، وتوفى ليلة السبت لاثنتَى عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة بالرّى ، وملك أربعًا وأربعين سنة وشهرًا وتسعة أيام .

الثالث : مُعِزُّ الدّولة أبو الحسين أحمد بن بُوَيْه ، كان صاحب العراق والأهواز . وقال ابن الجوزى[2] : كان فى أول

---

(١) المراد بالأطروش قليل السمع .

(٢) هو عبد الرحمن بن على بن محمد أبو الفرج جمال الدين بن الجوزى الحنبلى الفقيه المؤرخ ـ مات ببغداد سنة ٥٩٧ هـ .

هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ٢١٩ .

أمره يحمل الحَطَبَ على رأسِهِ ، ثم ملك هو وإخوته البلاد ، وآل أمرهم إلى ما آل ، وتوفى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة ببغداد ، ودفن فى داره ، ثم نقل إلى مشهد بُنِى له فى مقابر قريش .

الرابع : عزّ الدّوْلة أبو المنصور بَخْتِيَار ، تولّى مملكة أبيه معزّ الدولة يوم موته ، وتزوّج الإمام الطائع لله [٣١] ابنته شاه دتان[1] على صداق مبلغه مائة ألف دينار ، وكان ملكًا قويًا شديد القوى ، يُمْسِك الثور العظيم بقرنَيْهِ فيصرعه ، وكان متوسعًا فى الإخراجات والكُلَف . ذكر بشر الشمعى أنه كانت وظيفة وزيره أبى الطّاهر محمد بن بَقِيَّة[2] فى كل شهر ألف مَنٍّ من الشمع . وكان بينه وبين ابن عمه عضد الدولة منافسات فى الملك أدّت إلى الحِرَاب ، فالتقيا يوم الأربعاء ثامن عشر شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة ، فقتل عز الدّولة فى المَصَافّ ، وكان عمرُه ستًّا وثلاثين سنة ، وحُمِلَ رأسه فى طَست ، ووضع بين يدى عضد الدّوْلة ، فلما رآه وضع مِنْدِيلَه على عَيْنَيْهِ وبكى . وملك بغداد بعد قتله ..

---

(١) كذا فى الأصل – وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٢٩ . « شاه زمان – أو – شاه نار » .

(٢) هو الوزير أبو طاهر محمد بن محمد بن بقية ، وقد قتله عضد الدولة تحت أرجل الفيلة ثم صلبه سنة ٣٦٧ هـ وقال فيه الخطيب الشاعر أبو الحسن الأنبارى قصيدته المشهورة التى أولها :

علو فى الحياة وفى الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات

المرجع السابق ٤ : ١٣٠ .

الخامس : عضد الدّولة فَنَّاخُسْرو بن رُكن الدّوْلة أبى عَلِى الحسن بن بُوَيْه . ولما ملك حصل له مالم يحصل لأحد من أهل بيته من سعة الملك ، والاستيلاء على الملوك ، وهو أول من خُوطب بالملك فى الإسلام ، وأول من خُطِب له على المِنْبَر ببغداد بعد الخليفة . وكان من جملة ألقابه ، تاجُ المِلَّة ، وكان فاضلاً محبا للفضلاء مشاركًا بِعدَّةِ فنون . وصنَّف له الشيخ أبو على الفارسىّ كتابَ الإيضاح ، والتكملة فى النحو . وقصَده فحول شُعَراء عصره ، فمدحوه بأحسن المدائح ، فمنهم أبو الطيِّب المُتَنَبِّى ، وَرَدَ عليه بشِيرَاز ، وفيه يقول من قصيدة مشهورة بالهائية :

وقد رأيت الملوك قاطبــة وسرت حتى رأيت مَوْلاَها
وَمَنْ مَنَـايَاهُم براحتِــهِ يأمُرُهــا فيهم ويِنهــاها
أبا شجاع بفارس عضد الدو لة فناخسرو شَهنْشَاهــا
أسامِيًا لم تَزِدْهُ مَعْرِفَــةً وإنمــا لذةٌ ذكرناهــا

وكانت لعضد الدولة أشعار ، فمن ذلك أبياتٌ من قصيدته التى فيها البيت الذى لم يُفْلِح بعده ، وهى :

ليس شرب الراح إلا فى المطر وغناءٍ من جَوَارٍ فى السحر
غانيــات ســالبات للنهى نَاغِمَاتٍ فى تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس فى مطلعها ساقيات الرَّاحِ مَنْ فاق البشر
عضدَ الدَّولةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأملاك غلاَّبَ القدر

فَيُحكى أنه لمَّا احتضر لم ينطق لسانُه إلا بتلاوة :

« مِا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ »[1] . ويقال إنه ما عاش بعد هذه الأبيات إلا قليلا ، وتوفى بعلّة الصرَع فى يوم الإثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد ، ودُفِن بدار الملك بها ، ثم نقل إلى الكوفة ، ودفن بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه ، وعمرُه سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهراً وثلاثة أيام ، وقال ابن كثير : وعضد الدولة أوّل من تسمى بشاهنشاه ، ومعناه ملك الملوك . وقد ثبت فى صحيحٍ[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أوضع اسم . وفى رواية أخنع[3] اسم عند الله عز وجل رجل يسمّى ملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عزّ وجل .

السادس : صَمْصَام الدَّوْلة بن عَضُد الدّولة ، تولّى المملكة بعد أبيه ، وركب إلى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة سبع خلعٍ ، وطوقه وسوّره وألبسه التّاج ، ولقبّه شمس الدّولة[4] ، وولاّه ماكان أبوه يتولاّه ، واسمه كَالِيجَار المَرْزُبَان ، قتل فى سنة ثمان وثمانين[5] وثلاثمائة ، قتله ابن عمه أبُونَصر بن بَخْتِيَار ، وكان عمره يوم مات خمسًا وثلاثين سنة . ومدة مُلْكِه تسعَ سنين وأشْهرا .

---

(١) الآية رقم ٢٩ من سورة الحاقة .

(٢) المراد فى حديث صحيح .

(٣) وفى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٢ : ٨٤ « إن أخنع الأسماء من تسمّى ملك الأملاك » أى أذلها وأوضعها . والخانع ، الذليل الخاضع .

(٤) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ١٤٣ « شمس الملة » تصويبا عن تاريخ الإسلام للذهبى ومرآة الزمان والمنتظم .

(٥) فى الأصل « ثلاثين » وما هنا من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٣٤ .

السابع : بهاء الدَّولة أبو نصر فَيْرُوز بن عَضُدِ الدَّولة بن بُوَيْه ، وهو الذى قبض على الطائع الخليفة . [و] [1] جَمَعَ من من الأَموال مالم [2] يجمعه أَحدٌ من بنى بُوَيْه . وكان يَبْخَل بالدِّرهم الواحد ، ويُؤْثِر المصادرات ، وتوفى بأَرَّجَان فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة ، وكانت إمارته أَرْبَعًا وعشرين سنة وثلاثة أيام ، [و] [3] عمره اثنتين وأربعين سنة ، ملك بعده ابنه أبو شجاع .

الثامن : أبو شجاع فَنَّاخُسْرو ، الملقب سلطان الدَّولة ، توفى فى المحرم من سنة خمس عشرة وأربعمائة بشِيراز ، وعمره اثنتان وعشرون سنة .

التاسع : منهم جلال الدَّولة أبو ظاهر بن بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بن بُويْه ، صاحب بغداد وغيرها من البلاد ، وكانت فيه محبة عظيمة للعماء والعُبَّاد ، يزورهم ويلتمس الدُّعاء منهم . وقد نكب مِرَارًا عديدة ثم يَنْتَصِرُ ، وكان ملكا ذكيا صيتا [4] عفيفًا ، توفى ليلة الجمعة الخامس من شعبان من سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ، وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، وكانت ولايته ببغداد وغيرها ست عشرة سنة ، فهذا هو التاسع منهم . فكذلك مولانا السلطان الملك المؤيد تاسع الملوك الترك ، فنرجو

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) فى الأصل « مالا يجمعه » .

(٣) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها « حيا »

من الله أن يُرْزق من السعادات أكثر مما رزق[1] جلال الدولة ، وألاّ يفارقه الجلال ، وينصره ذُو الجلال - بحرمة محمد وآله .

وأما دولة السلاجقة .

فأول ملوكهم : طُغْرُلْبَك ، واسمه محمد بن ميكائيل ابن سلجوق بن دُقَاق ، قال الخطيب[2] : أوّل ملوك السلاجقة ببلاد العِرَاق طُغْرُلْبَك . وقال ابن خلكان : وكانت السلاجقة قبل استيلائهم على الممالك يسكنون فيما وراء النّهر بموضع بينه وبين بُخَارى مسافةُ عشرين فرسخًا ، وهم أتْرَاك ، وكانوا عددًا يَجِلّ عن الحصر والإحصاء ، وكانوا لايدخلون تحت طاعة سلطان ، فإذا قصدهم جمعٌ لاطاقة لهم بهم دخلوا المَفَاوِزَ ، وتحصنوا بالرمال ، فلا يصل إليهم أحد ، وكان السلطان محمود[3] صاحب غَزْنَة كلَّ وقت يوُقِع بهم ، وكان مَسَكَ كبيرَهُم وحبَسَه عنده ، وآخر الأمر لما توفى السلطان محمود ضعف حال عسكره ، وقويت شوكة السَّلاَجقة ، فتفرقوا فى البلاد وملكوها ، وكان طُغْرُلْبَك حليما كريما ،

---

(١) فى الأصل « اكثر مارزق » .

(٢) هو الخطيب البغدادى أبوبكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى أحد الحفاظ المؤرخين توفى سنة ٤٦٣ هـ . له كتب كثيرة منها « تاريخ بغداد » .
انظر الأعلام - الزركلى ١ : ٥٥ ط أولى .

(٣) هو محمود بن سبكتكين المتوفى فى ربيع الآخر سنة ٤٢١ هـ .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٥٧ .

محافظا على الصلوات الخمس بجماعة ، وكان يصوم الإثنين والخميس ، ويكثر الصدقات ويبنى المساجد ، ويقول : أستحى من الله أن أبنى لى دارا ، ولا أبنى بحذائها مسجدا .
ولما تمهّدت له البلاد ، وملك العراق وبغداد سيّر إلى الإمام القائم ، وخطب ابنته ، فشقّ ذلك على القائم واستعفى منه ، وتردّدت الرُّسُل بينهما ، وكان ذلك فى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، فلم يجد من [٣٢] ذلك بدًّا وزوّجه بها ، وعقد العقد بظاهر مدينة تِبريز[1] . ثم لمّا دخل بغداد فى سنة خمس وخمسين سيّر وطلب الزّفاف ، وحمل مائة ألف دينار برسم كلفة القماش والمهم ، ثم زفّت إليه ليلة الإثنين خامس عشر صفَرَ بدار المملكة ، وأجلست على سرير مُلَبّس بالذهب ، ودخل السلطان إليها فقبّل الأرض بين يديها ولم يكشف البُرْقُع عن وجهها فى ذلك الوقت حتى قدّم لها تحفًا لاتوصف ، ولم تُقِم بنتُ الخليفة صحبته إلا ستة أشهر حتى توفى طُغْرُلْبك بالرّى يوم الجمعة ثامن رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة ، وعمره سبعون سنة ، ونُقل إلى مَرْو ودفن عند أخيه داود . وقال ابن كثير : طُغْرُلْبَك هو السلطان الملك الكبير . ولما خلع عليه الخليفة ، خلع سبع خلع ، ولَقّب بملك المشرق والمغرب .

---

(١) تبريز ويقال توريز : أشهر مدن أذربيجان وبها كرسى بيت هولاكو ، وكانت عاصمة إيران .
صبح الأعشى القلقشندى ٤ : ٣٥٧ .

الثانى : جُغْرى بَك داود ، توفى فى سنة خمسين وأربعمائة ، وكان مقيماً ببَلْخ بإزاء أولاد السلطان محمود بن سُبُكْتِكِين .

الثالث : السلطان الملك العادل عضد الدّولة أبو شجاع ألْب أرْسَلان ، واسمه محمد بن جُغْرِى بك داود بن ميكائيل ابن سلجوق بن دقاق صاحب المملكة المتسعة [و][1] كان ملكاً عادلاً ، يسير فى الناس سيرةً حسنة ، كريماً رحيما ، شفوقاً على الرُّعية ، رقيقاً على الفقراء ، باراً بأهله ، كثير الصدقات ، يتصدّق فى كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يَعْرف فى زمانه جبايةَ ولا مصادرةً ، بل كان يقنع من الرَّعَايا بالخراج فى قِسْطَيْن رفقاً بهم ، وكان شديد الحِرْص على حفظ مال الرَّعايا ؛ بلغه أنَّ غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض التُّجَّار فَصَلَبَهُ ، فارتعد به سائرُ المماليك خوفاً من سطوته ، وقال ابن خلِّكان : قصد بلاد الشام ، فانتهى إلى مدينة حَلَب[2] ، وصاحبها يومئذ محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابى[3] ، فحاصره مدة ، ثم نزل إليه محمود ليلاً ومعه أُمه فتلقَّاهُمَا بالجميل ، وخلع عليهما وأعادهما إلى البلد ، ورحل عنهما . قال المأمونى[4] فى تاريخه : قيل إنه لم يَعْبُر

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) كان ذلك فى سنة اثنتين وستين وأربعمائة للهجرة .
المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ١٨٦ .

(٣) توفى محمود هذا سنة ٤٦٩ هـ .
المرجع السابق ٢ : ١٩٢

(٤) لم يعثر المحقق على ترجمة له فى المراجع التى تيسرت له .

الفُرَات فى قديم الزمان ولا حديثه فى الإسلام ملك تُرْكِيٌّ قبل أَلْبْ أَرْسلان ، فإنه أوّل من عبره من ملوك التُّرك . ولَمَّا عاد عزم على قصْد بلاد التُّرْك ، وقد كَمُلَ عسكرُه مائتى ألف فارس أو يزيدون ، فمدَّ على جَيْحُون جسرًا ، وأقام العسكر يعبر عليه شهرًا ، ومدَّ السماط فى بُلَيْدَة يقال لها فَرَبْر[1] ، وأحضروا إليه صاحب حِصْنِها مقيدًا [و][2] كان قدارتكب جريمة [و][3] يقال له يوسف الخُوَارَزمى . فلما قرب منه أمر أن تضرب أربعة أوتاد لتشدَّ أطرافه الأربعة إليها ، ويعذبه ثم يقتله ، فقال له يوسف : يامُخَنَّث مثلى يُفْعَل به هذه الفعلة ؟! فغضب أَلْب أَرْسَلان ، وأخذ قوسه ، وجعل فيه سهمًا ، وأمر بحَلِّه من قيده ، ورماه فأخطأه ، وكان لا يخطئ فى رَمْيَة ، وكان جالساً على سريره ، فنزل عنه مغضباً ، فعثر ووقع على وجهه ، فبادر يوسف المذكور وضربه بسكين كانت معه فى خاصرته ، فوثب عليه فراش أرمنىّ فضربه بمرزبة فى رأسه فقتله ، وانتقل أَلْب أَرْسلان إلى جهة أُخرى مجروحًا ، ثم توفى يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكانت مدة مملكته تسع سنين وأشهراً ، ونقل إلى مَرْو ، ودفن عند قبر أبيه داود ، وعمه طُغْرُلْبَك . وهو الذى بَنَى

---

(١) الضبط عن صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ٤٥٦ . وفيه أنها المعبر من بلاد ماوراء النهر إلى خراسان .

(٢ و ٣) مابين الحواصر إضافة على الأصل .

على الإمام أبى حنيفة قُبّةً ومشْهَدًا ، وبنى ببغداد مدرسةً أنفق عليها أموالاً كثيرة .

الرابع : السلطان مَلِك شاه جلال الدّولة ابن السلطان ألْب أرْسِلان . كان ملكا عظيما امتدت مملكته من أقصى بلاد التُّرك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر البلاد والأقطار ، حتّى ملك الروم والخَزَر واللّان ، وكانت دولته صارمة ، والطرقات فى أيامه آمنة . ومع عظمته يقف للمرأة والمسكين والضعيف ، وعمّر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأسقط المُكُوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار الخراب ، وبنى منارة القرون من صُيُودِه بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه فى جنوده ، فكان نحوًا من عشرة آلاف صيد ، فتصدّق بعشرة آلاف دينار ، وقال : إنى خائف من اللّه أنى أكون أهرقت نفس حيوان لغير مأكلة . وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ؛ من ذلك أن فلاحًا أنهى إليه أن غِلْمَانًا أخذوا له حِمْلَ بطيخٍ هُوَ رأسُ ماله ، فقال : اليومَ أردّ عليك حِمْلَك ، ثم قال لأصحابه : أريد أن تأتونى اليوم ببطيخ ، ففتشوا فوجدوا فى خيمة الحاجب بطيخاً فحملوه إليه ، فاستدعى الحاجبَ ، فقال : مِنْ أين لك هذا ؟ فقال جاء به الغلمان ، قال : أحضرهم ، فذهب فهرّبَهم ، فأرسل إليه فأحضَرهُ فسلّمه إلى الفلاّح ، وقال خذ بيده فإنه مملوكى ومملوك أبى فإيّاك أن

تفارقه ، ورد حمل البطيخ ، فخرج الفلّاح بحمله ، وفى يده الحاجب ، فاسْتَفَكَّ نفسَه منه بثلاثمائة دينار . وأسقط مرةً بعضَ المُكُوس ، فقال رجل من المُسْتَوفين[1] : ياسلطانَ العالَمِ إنَّ هذا يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر ، فقال : وَيْحَك إن المالَ مالُ الله ، والعبادَ عبيدُه ، والبلادَ بلادُه ، وإنَّما يبقى هذا إلى ، ومن نازعنى فى هذا ضربت عنقه . وكانت وفاته ليلة الجمعة النِّصْفَ من شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدة مملكته من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرًا .

الخامس : بَرْكيَارُوق أبو المظفر بن السلطان مَلِك شاه ، وكان ملكاً عالى الهمَّة ، مسعودًا فى حركاته ، وكان مع ذلك مُلَازِمًا للشَّراب والإدمان عليه ، توفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، وأقام فى السلطنة اثنتى عشرة سنة وأشهراً .

السادس : تاج الدَّوْلة أبو سعيد تُتُش بن ألْب أرْسلان ابن داود بن سلجوق بن دُقَاق ، صاحب البلاد الشرقية والحلبية ، وكان قد جرى بينه وبين ابن أخيه بَرْكَيَارُوق مشاجرات أدت إلى المحاربة ، فتوجه إليه وتصافًا بالقرب من مدينة

(١) هم كتاب الأموال بالدواوين الذين يضبطون ماتيعها، وينهون إلى مافيه مصلحتها من استخراج الأموال ونحوه ، وهناك مستوفى الصحبة الذى يساعد الوزير ، ومستوفى الدولة، وهو كسابقه ، ومستوفى الخاص ويكون فى ديوان الخاص ، ومستوفى المرتجعات ويكون فى ديوان المرتجعات .

انظر هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ١٩٢ .

الرّى يوم الأحد سابع عشر صفر سنة ثمان وثمانين ، [٣٣]
فانكسر تُتُش ، وقتل فى المعركة ذلك النهار .

السابع : فخر الملك رضوان بن تُتُش صاحب حلب ،
توفى فى سلخ جمادى الأولى سنة سبع وخمسمائة .

الثامن : دُقاق[١] شمس الملوك أبو نصر بن تُتُش تاج
الدولة صاحب الشام ، توفى فى رمضان سنة سبع وتسعين
وأربعمائة .

التاسع : السلطان سِنْجَر بن مَلِك شاه ، سلطان خُرَاسَان
وغَزْنَة ، وما وراء النهر ، وخطب له بالعراقين ، وأَذْرِبِيجَان ،
وأرّان ، وأرمنيْة ، والشام ، والمَوْصِل ، وديار بكر وربيعة ،
والحرمين ، ويلقَّب بالسلطان الأعظم معزّ الدين ، كان من
أعظم الملوك همّة وأكثرهم عطاءً . وذُكِرَ عنه أنه اصطبح
خمسة أيام متوالية ، ذهب فى الجود بها كل مذهب ، فبلغ
ما وهبه من العَيْن سبعمائة ألف دينار ، غير ما أنعم به من
الخَيْل والخِلَع والأثاث وغير ذلك .

واجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزائن أحد من

---

(١) يقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٩« وفيها توفى دقماق بن تُتُش . . .
وسماه الذهبى وصاحب مرآة الزمان دقاقاً (بلا ميم) ولعل الذى قلناه هو الصواب فإننا لم نسمع
باسم قبل ذلك يقال له دقاق ، وأيضاً فإن جد السلجوقيين الأعلى اسمه دقماق ، وهذا أكبر الأدلة
على أن اسمه دقماق » . انتهى .

والبدر العينى يساير هنا الذهبى وصاحب مرآة الزمان فقد ذكر فى ترجمة تاج الدولة أبى
سعيد أن جده دقاق صاحب البلاد الشرقية والحلبية .

الملوك الأكاسرة . وقال له خازنه يومًا ، حصل فى خزانتك ألف ثوب ديباج أطلس ، وأحب أن تبصرها ، فسكت وظننت أنه رضى بذلك ، فأبرزت جميعها ، وقلت أما تنظر إلى مالك فتحمد الله تعالى على ما أعطاك ؟ فحمد الله ثم قال : يقبح لمثلى أن يقال : مالَ إلى المَال ، وأمر للأُمراء أن يدخلوا عليه فدخلوا ، ففرّق عليهم تلك الثياب .

واجتمع عنده من الجوهر ألف وثلاثون رطلاً ، ولم يسمع عند أحد من الملوك بمثل هذا ولا بما يقاربه ، ولم يزل أمرُه فى ازدياد وسعادة وافرة إلى أن ظهرت عليه الأغُزّ[1] فى ثمان وأربعين وخمسمائة ، فوقعت بينهم وقعة عظيمة ، ثم كسروه وفرّقوا شمله ، وقتلوا منهم خلقًا لايحصون ، وأسروا السلطان سنجر ، وأقام فى أسرهم مقدار خمس سنين ، ثم أفْلَت من الأسر وعاد إلى خُرَاسان . وتوفى يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة بمَرْو ودُفِن فيها .. وانقطع بموته استبدادُ الملوك السّلجوقيّة بخُرَاسان على أكثر مملكة خُوَارَزْم شاه بن محمد بن أَنُوشْتِكِين ، وقطعت الخطبة ببغداد للسّلجوقية عند وصول خبر موته فى أيام المقتفى لأمر الله .

قال ابن الجَوْزِى . وكانت البلاد آمنة فى زمانه ، فجلس

(1) وهم الترك الغز كما فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢ : ٣٢٢ وهامشها ، والتركمان الغز كما فى دول الإسلام للذهبى ٢ : ٥٠ .

على سرير الملك إحدى وأربعين سنة ، وقبله فى النيابة عن أخيه نحواً من عشرين سنة ، ولم يكن أحد من الخلفاء والسلاطين أقام هذه المدة ؛ فإنها تناهز ستين سنة .

فكما أن السلطان سنجر هو التاسع من سلاطين بنى سلجوق ، والمسعود منهم بالمال الكثير ، والدولة الطويلة ، وكذلك مولانا السلطان المؤيّد تاسع سلاطين التُّرك ، فنرجو من الله تعالى أن تكون أيامه طويلة محفوفة بالسعادات ، وبكثرة الخيرات . إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير ..

وأما دولة الجِنْكِزِيّة .

فأول ملوكهم جِنْكِزْخان اللعين ، وكان ظهوره وعبوره نهر جيحون فى سنة ست عشرة وستمائة ، وهم طائفة كانوا يسكنون جبال طُغَاج من أرض الصين ، ولغتهم مخالفة للغة سائر التَّتر ، وهم من أشجعهم وأصبرهم على القتال ، وكان فى ابتداء أمره خصيصا عند الملك أونك[1] خان ، وكان إذ ذاك شابا حسنا ، وكان اسمه أولاً تمرجى[2] .

(١) يقول ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ٢٢٦ « وفيها – أى فى سنة ٥٩٤ هـ – كان ابتداء دولة المغول وذلك أنه فى هذا الزمان كان المستولى على قبائل الترك المشارقة أونك خان وهو المسمى ملك يوحنا من القبيلة التى يقال لها « كريت » وهى طائفة تدين بدين النصرانية .

(٢) فى تلفيق الأخبار للرمزى ١ : ٣٤٥ و٣٤٦ « تموجين » سماه أبوه به باسم خان التتار الذى كان هلك فى العام المذكور ، ولما تغلب على أعدائه لقب نفسه بجنكزخان – قيل لقبه به واحد من رعاياه كان يدعى الكهانة ، وعلم الغيب وقال له : إنى أمرت أن ألقبك بجنكزخان ومعناه شاهنشاه وملك الملوك ، وكان ذلك سنة ٥٩٩ هـ ، وعمره ٤٩ سنة – وسماه ابن العبرى فى تاريخ مختصر الدول ٢٢٦ « تموجين » وأورد قصة طويلة لتغلبه على « أونك » .

ثم لما عظم سمَّى نفسه جِنكِزْخَان ، وقد كانت أمه تزعم أنها حملت به من شعاع الشمس . فلهذا لا يُعْرَف له أبٌ ، والظاهر أنه مجهول النسب[1] ، وكان سبب اتِّصاله بالمُلْكِ أن أونك خان قد غضب بسبب وَشْى وشَاة عنده ، فأخرجه من عنده ولم يقتله ، لأنه لم يجد له طريقاً على قتله ، وكان الملك قد غضب على مملوكين من خواصِّه فهربا منه ، ولجآ إلى جِنْكِزْخان فأكرمها وأحسن إليهما ، فأخبراه من أن نيَّة الملك أن يقتله ، فأخذ جِنْكِزْخان حِذْرَه ، وجمع خلقاً كثيرا من طائفته ،ثم صار ناسٌ يَفِرُّون من أونك خان ويذهبون إليه ، حتى اجتمع عنده جمعٌ كثير ، فقويت شوكته ، وكَثُرَت جنوده ، ثم حارب مع أُونك خان ، فظفر به وقتله ، وغلب على مملكته ، وانضاف إليه عَدَدُهُ وعُدَدُه ، وعظم أمره ، وبُعد صيته ، وخضعت له قبائل التُّرك ببلاد طُمْغاج[2] كلها ، حتى صار يركب فى ثمانمائة ألف مقاتل ، وأكبر القبائل قبيلة التى هو من أصلهم يقال لها : قنات[3] ، ثم شرع يحارب مع السلطان علاء الدين خُوَارَزْم شاه ، صاحب بلاد خُراسان

(١) انظر نسب جنكزخان فى كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمذانى ١-٢ : ٢٠٤ الفصل الأول من الباب الثانى ، وأيضاً المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ١٢٣ ، وأيضاً تلفيق الأخبار للرمزى ١ : ٣٤٣ وما بعدها .

(٢) طمغاج هى طفاج وقد جاء فى ص ١٥٦ أنها جبال من أرض الصين .

(٣) رسم الكلمة غير واضح فى الأصل وما هنا عن دائرة المعارف للبستانى م ٦ ص٥٥٢ .

والعراق وأَذْربيجان ، فآخِرُ الأَمْر كسَرَه وغلبه ، واستحوذ على سائر بلاده ، وعظم أَمرُه جدا . وقال الجوينى[١] : كان يصطاد من السنة ثلاثة أشهر ، والباقى للحرب والحُكْم ، وكان يضرب الحلقة يكون مابين طرفيها ثلاثة أَشهر ، ثم تتضايق فيجتمع فيها من أنواع الحيوانات شىءٌ كثير لايُحَدُّ كثرة . وتوفى اللعين فى سنة أَربع وعشرين وستمائة ، ولما توفى جعلوه فى تابوت من حديد ، وربطوه بسلاسل وعلقوه بين جبلين هنالك . وخلَّف أَولادًا[٢] كثيرة . ولكن خمسة منهم عظماؤهم ، توشى ، وهرتوك ، وباطو ، وبركة ، وبركجان ، ملك كلٌّ منهم إقليماً .

ولكن كان أَكبرُ الكل دوشى خان ، وهو الثانى من الجِنكزِيَّة .

الثالث : صرطق ، أَقام فى المملكة سنةً وشهورا ، ثم توفى فى سنة اثنتين وخمسين وستمائة .

الرابع منهم : هلاون[٣] بن باطو بن جِنْكِزْخان ، فلما تولَّى بعد وفاة صردق[٤] ، عظم شأْنه جدًّا ، وكثرت

(١) لم يعثر المحقق على ترجمة الجوينى هذا فى المراجع التى تيسرت له .

(٢) انظر أولاد جنكزخان فى تلفيق الأخبار للرمزى ٣٥٨ ، وما بعدها ، وأيضاً فى تاريخ مختصر الدول لابن العبرى ٢٢٧ وما بعدها ، ويتضح أن الكتب قد اختلفت فى رسم كثير من أسمائهم .

(٣) ورد بهامش اللوحة بحذاء هذه الكلمة عنوان بخط مغاير « قاتل المستعصم هلاون » وهلاون هو الذى اشتهر باسم هولاكو .

(٤) سبق ورود هذا الاسم برسم « صرطق » .

جنوده ، واستولى على البلاد ، وأخذ بغداد وأخربها ، وقتل الخليفة المستعصم وأهل بيته فى سنة ست وخمسين وستمائة .

ثم توفى اللعين فى تاسع عشر ربيع الأول من سنة ثلاث وستين وستمائة بالقرب من كورة مُرَاغه ، وخلف خمسة عشر[1] ولداً ذكراً وهم : جُما غار وهو أكبرهم سنا ، وأباقا ، وهو أبغا ، ويَصمُت ، وتيشين ، وتكشى ، وتُكُدار ، وأجاى ، وألاجو ، وسيُوجى ، ويَنْشُودان ، ومنكُتِمُر ، وقُنغُرطاى ، وطُرغاى ، وطغاى ، وتَمُر .

واستولى موضِعه أبغه بن هلاون ، وهو الخامس من الجنكزيّة ، واستقرت له البلاد التى كانت بيد والده حال وفاته ، وهى إقليم خُراسان ، وكُرْسِيُّهُ نيْسَابُور ، وإقليم عراق العجم ، وكرسيُّه أَصْبَهان ، وإقليم عراق [٣٤] العرب ، وكرسيّه بغداد ، وإقليم أَذْرِبيجَان ، وكرسيُّه تِبرِيز ، وإقليم خُوزستان ، وكرسيّه شُشْتُر ، وإقليم فارس ، وكرسيّه شِيرَاز ، وإقليم ديار بكر ، وكرسيّه المَوْصِل ، وإقليم الروم ، وكرسيّه قُونِية ، وكانت له شوكة عظيمة وعسكر عظيم ، وتوفى فى سنة إحدى وثمانين وستمائة مسموماً ، وكانت مدة مملكة نحو سبع عشرة سنة وكسور .

(١) كذا ذكر المؤلف فى حين أنه ورد فى (كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين الهمدانى) ١-٢ : ٢٢٣ أن عددهم أربعة عشر ولدا ، ويلاحظ أيضاً الخلاف الشديد فى الرسم للأسماء بين المراجع المختلفة .

السادس منهم المشهور بالصيت : مَنْكُتَمُر صاحب بلاد دشت [1] وصَراى [2] وهو مَنْكُتِمُر بن طُغَان بن بَاطَو بن جِنْكِزخان ، وهو أيضا توفى فى سنة إحدى وثمانين وستمائة .

السابع منهم : تُدَان مَنْكُو بن طُغَان بن بَاطُو خان بن جِنْكِزْخان ، تولى مملكة الدشت بعد وفاة أخيه مَنْكُتِمُر .

الثامن منهم من المشهورين : أُزْبَك خان بن طغرلجا ابن مَنْكُوتِمُر ابن طُغَان بن بَاطُو بن دُوشِى خَان بن جِنْكِزْخان ، وتولَّى المملكة فى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ، وتوفى فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكان ذا بأْس وإقدام ، وديانة وعبادة ، يؤثر الفقراء ، ويحب العلماء ، ويسمع منهم ، ويرجع إليهم ، ويعطف عليهم ، ويتردد إلى المشايخ ويحسن إليهم .

التاسع منهم : جَانِى بَك خان بن أُزْبَك خَان المذكور ، كان ملكاً عظيماً ذا هِمّة عالية ، وبأْس شديد ، بلغت عدَّة عسكره إلى سبعمائة ألف فارس ، وكان أكثر معاشرته مع

(١) دشت : هى القسم الغربى من الإمبراطورية المغولية التى أسسها جنكزخان ، وهى بلاد قفجاق ، وكانت حدودها تنطبق على التركستان الروسية والقوقاز وقازان الحالية إلى نهر الفولجا غرباً إلى باسارابيا على حدود رومانيا .

انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٣٣٥ .

(٢) صراى وسراى : عاصمة بلاد التتار الشمالية غربى بحر الخزر وتقع على نهر الأتل « الفولجا » من الجانب الشرقى :

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١ : ١٩٥ .

العلماء والصالحين ، وكان يحسن إليهم غاية الإحسان ، ويتواضع إليهم غاية التواضع ، ويجلس معهم كآحاد الناس ، وكان إذا جاء إليه عالم أو صالح نهض إليه ونزل من تخته واستقبله استقبالا حسنا ، وعانقه وقبّل يَدَه ، وأخذ بيده ومشى معه إلى أن أجلسه معه على تخته ، ولم يزل يحادثه ويلاطفه ، ويطلب منه الدُّعاء إلى أن يُشَيِّعه بأحسن حالة ، وذلك بعد إنعام جَلِيل وعطايا وافرة ، ويأمر لأكَابِر جنده أن يمشوا فى خدمته منزلة ، ثم لم يزل يواصله بالتحيّة والسلام والهدايا الغَرِيبَة ، والتُّحَف السنيّة ، وربما ينزل عنده بعسكره العظيم بعد سيره من موكبه .

ولقد أخبرنى أحد مشايخى الشيخ الإمام العلامة نظام الدين الاسبيجابى قال : كنت فى مدينة صراى فى سنة سبع وخمسين وسبعمائة ، وبلغ الملك المذكور قدوم الشيخ قطب الدين التحتانى [1] ، فركب بنفسه لملاقاته وصُحبتهُ جميع عساكره ، واستقبله من مقدار بَرِيد وأكثر . فلما قرب منه الشيخ ترجَّل الملك ، فلما رآه الشيخ وأراد أن ينزل أرسل إليه أميراً من الأُمراء الكبار وأقسم عليه ألا ينزل ، فامتثل الشيخ كلامَه ، ولكنه حصل له خَجَلٌ وحياءٌ عظيمٌ ثم دنا منه الملك ومشى فى خدمته وهو ماسك بلجام فرس

---

(١) هو محمود بن محمد الرازى المعروف بالقطب التحتانى مات فى ذى القعدة سنة ٧٦٦ هـ . ابن حجر — الدرر الكامنة ٤ : ٣٣٩ .

الشيخ ، وجميع العسكر مشاة بين يديه ، ويقول : الحمد لله الذى بعث إلى إقليمى عالِمًا مثلكَ ، وأنا أفتخر بما أنا فيه من خدمتك ، ولم يزل يحلف على الملك حتى ركب ، ولم يزل سائرا [1] معه إلى أن بلغ المدينة ، ثم أنزله فى مكان يليق به . ثم لم تزل الضِّيَافات والهدايا والتحف متتابعة إليه من الملك والأُمراء وأكابر المدينة وأعيانها ، حتى خواتين الملك والأُمراء ، حتى [صار][2] الشيخ ومن معه فى نعمة عظيمة ، ثم لم يزل الملك كل حين يعمل وقتا عظيما ، يجمع فيه علماء المدينة وصلحاءها ، وطلبة العلم منهم ، فيقع بينهم مباحثات عظيمة ، يسمع الملك ويفرح بهم . ثم يأمر بالإنعام عليهم ، كل واحد بحسب حاله .

قال الشيخ رحمه الله : ولقد حضرت يوما فى مجلسهم ، وكان غاصًا بالعلماء ــ فسألُوا الشيخَ فى ذلك اليوم عن [3] المواضع المشكلة فى الكَشَّاف [4] والمفتاح [5] ونحوهما ــ

---

(١) فى الأصل « ولن يزال يساير » .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) عبارة الأصل « فسألوا عن الشيخ فى ذلك اليوم من المواضع المشكلة » وما هنا يستقيم به المعنى .

(٤) الكشاف : كتاب فى تفسير القرآن الكريم صنفه محمود بن عمر بن محمد الخوارزمى الزمخشرى المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . ط أولى .

الزركلى ــ الأعلام ٣ : ١٠١٧ .

(٥) المفتاح : هو مفتاح العلوم فى البلاغة ، صنفه السكاكى أبو يعقوب بن أبى بكر بن محمد ابن على الخوارزمى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ .

سركيس ــ معجم المطبوعات ١٠٧٣ .

فأجاب عن الكل بأحسن الجواب ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، حتى أن الملك لما رآى ذلك آزدادت محبته ، وقوى إعظامه . فهذا هو الملك السعيد ، فكما أنه هو الملك التاسع من ملوك ذُرّيّة جِنْكِزْخان ، فكذلك مولانا السلطان المؤيّد تاسع ملوك التُرك ، فإن شاء الله تعالى يُعْطَى له ما أُعْطِى هذا الملك من الخير الكثير والعسكر العظيم والسعادة الوافرة .

وأما دولة الأغالبة بإفريقية وما والاها .

فأول ملوكهم : إبراهيم بن الأغلب [1] .

الثانى : ولده أبو العباس عبد الله [2] بن إبراهيم .

الثالث : أخوه زيادة الله بن إبراهيم ، توفى فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ،وكان يقول : ما أبالى – إن شاء الله – بأهوال يوم القيامة ، فقد قدّمت أربعة أشياء : بنائى الجامع بالقَيْرَوَان ، وقد أنفقت عليه ستة وثمانين ألف دينار . وبنائى القنطرة بباب الربيع . وبنائى حصن الرّباط بسوسَه [3] . وتوليتى أحمد ابن أبى محرز [4] القضاء .

(١) هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمى ، عهد إليه هارون الرشيد بولاية إفريقية فى جمادى الآخرة سنة ١٨٤ هـ ، وقد سبقه على ولاية إفريقية والده الأغلب بن سالم التميمى بعهد من المنصور وذلك فى جمادى الآخرة سنة ١٤٨ هـ .
ابن عذارى المراكشى – البيان المغرب فى أخبار المغرب ١ :٨٦و١١٦ و ١٢٠ ط بيروت .

(٢) وتولى إفريقية سنة ١٩٦ هـ بعد وفاة والده . وتوفى فى ذى الحجة سنة ٢٠١ هـ .
المرجع السابق ١ : ١٢١ .

(٣) سوسة : مدينة صغيرة بينها وبين سفاقس يومان ، وتنسج فيها الثياب السوسية الرفيعة .
ياقوت – معجم البلدان ٣ : ١٩٠ و ١٩١ .

(٤) أحمد بن أبى محرز : هو أحد العلماء العاملين الزاهدين توفى سنة ٢٢١ هـ

الرابع : أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب ، توفى سنة ست وعشرين ومائتين .

الخامس : أخوه أبوالعباس[(١)] محمد بن إبراهيم بن الأغلب.

السادس : أخوه أحمد .

السابع : أخوه عبد الله أبو[(٢)] إبراهيم .

الثامن : أبو عبد الله محمد بن أحمد[(٣)] .

التاسع : زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ابن محمد بن الأغلب أبو مضر[(٤)] ، وكان ملكاً عظيماً ، وكان له مماليك كثيرة ، حتى كان له ألف مملـــوك من الصَّقالبة[(٥)] ، فى أوساطهم مناطق الذهب . وكان قد بعث مرة إلى الخليفة المقتفى بهدايا عظيمة : من خدم وخيل وثياب

= المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٢ : ٣٣

وانظر هذا الخبر فى البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى : ١٣٧ — ١٣٨

(١) وقد توفى أبو العباس هذا فى المحرم سنة ٢٤٢ هـ وولى بعده أخيه ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد. أما أحمد فإنه لم يتول وإنما استولى على تدبير الأمور دون إمارة ، وحجب أخاه أبا العباس محمداً. ثم ظفر به أبو العباس سنة ٢٣٢ هـ وحبسه ثم نفاه إلى الشرق فمات بالعراق .

البيان المغرب فى أخبار المغرب لابن عذارى المراكشى ١ : ١٤١ و ١٤٢ .

(٢) فى الأصل عبد الله بن إبراهيم . وما هنا من المرجع السابق ١ : ١٤٧ ، وتاريخ ابن خلدون ٤ : ٤٢٩ — هذا وقد توفى فى ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ .

(٣) وهو الملقب بأبى الغرانيق ، ولى سنة ٢٥٠ هـ ، وتوفى سنة ٢٦١ هـ . وبعده ولى أخوه إبراهيم بن أحمد بن أحمد .

المرجع السابق ١ : ١٥٠ — ١٥٣ .

(٤) فى الأصل « أبو منصور » وما هنا من المرجع السابق ١ : ٢١٠ ، تاريخ ابن خلدون ١ : ٤٣٩ .

(٥) الصباقلة : المراد بهم أهل جزيرة صقلية .

ودنانير ودراهم ، فى كل دينار عشرة دنانير ، وفى كل درهم عشرة دراهم ، وكتب على الدِّينار والدرهم من الجانب الواحد :

يا سائِرًا نحوَ الخليفةِ قُلْ لَهُ
أَنْ قَدْ كَفَاكَ اللهُ أَمْرَكَ كلَّه

٥ بزيادةِ الله بن عبدِ الله سيفِ الله
مِنْ دون الخليفةِ سَلَّه

وعلى الجانب الآخر :

لا يَنْبَرِى لَكَ بالشِّقَاق منافقٌ
إلاَّ أبَاحَ حَرِيمَه وأذلَّهُ

١٠ مَنْ لاَ يَرَى لَكَ طَاعَةً فالله قد
أعْمَاهُ عن سُبْلِ الهُدَى وأضلَّهُ

وذُكِرَ فى كنز الدُّرَر[1] : أنَ مُلْكَهُم كان مائة سنةٍ واثْنَتى عشرة سنة وخمسة أشهر وأربعة عشر يومًا ، وكانوا إثنى عشر ملكاً .

١٥ والتاسع منهم هو زِيَادة الله ، وكانَ مَلِكًا عظيمًا كما قد ذكرناه . فكذلك مولانا السُّلْطَان المؤيدُ تاسع ملوك التُّرك ، فإن شاء الله تعالى ، يعطى ما أُعْطِى زيادةُ الله من زيَادةِ [٣٥] الإنعام والقوة والخير .

(١) ألف هذا الكتاب أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى .

أما دولة بنى أيّوب .

فأوّلهم : هو أصلهم وكبيرهم الملكُ نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادى بن مَرْوَان بن يعقوب ، وكان من أكابر الملوك عند السلطان الملك العادل نور الدين الشهيد محمود [ابن زنكى] [1] وكان رجلاً مُبَاركاً كثيرَ الصّلاح ، مائِلا إلى الخير ، حسن النّيّة ، جميل الطّوِيّة ، وكان مولدُه ببلدة سجستان [2] ، وتوفى فى القاهرة أيام وَلَدِه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف . يوم الاثنين ثامن عشر ذى الحجّة من سنة ثمان وستين وخمسمائة ، ونقل إلى المدينة النبويّة ودفن هناك .

الثانى : السلطانُ الأكبر الملك المعظم تُورَان شاه بن أيّوب ، الذى افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه السلطان الناصر صلاح الدين يوسف ، وكان صاحب البلاد اليمنيّة ، وجمع فيها أموالاً عظيمة ، وقَدِمَ إلى أخيه صلاح الدين ، وحضر معه غزوات كثيرة ومواقف حسنة ، ثم أرسله أخوه إلى الإسكندريّة ، وتوفى بها سنة ست وسبعين وخمسمائة ، ثم نقلته أخته ستُّ الشام بنت أيوب إلى دمشق فدفنته بتربتها التى بالشامية البرّانيّة [3] .

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٨٨ .

(٢) وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٢ أنه ولد فى «أجْدانقان» وهى قرية على باب «دوين» من عمل أذربيجان .

(٣) تقع المدرسة الشامية البرّانيّة فى حى العقيبةبدمشق وتعرف كذلك بالحسامية لأن الأمير حسام الدين بن ست الشام المذكورة دفن بها .
مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فى أخبار المدارس ص ١٢ .

الثالث : السلطان الأعظم أبو المظفرّ الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيُّوب ، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفُرَاتِيةَّ ، وكان مثلَ أبيه من الأُمراءِ الكبار عند السلطان نور الدين الشهيد ، ثم مَلَّكَهُ الله تعالى الدِّيَار المصرية وغيرها ؛ وذلك أن الفرنج لما أقبلت فى جحافل كثيرة إلى الدِّيار المصرية ليأخذوها مع مساعدة المصريين على ذلك ـ وذلك فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة ـ بلغ ذلك أسدَ الدين شِيرِكُوه عمّ السلطان صاحبَ البلاد الحِمْصِيَّة ، فاستأذن السلطان العادل نور الدين أن يذهب إلى مصر ليستنقذ المسلمين من الكَفَرَة المتمرِّدين ، وكان كثيرَ الحنق على الوزير شَاوَر وزير مصر لِمَا كان يبلغُهُ من مساعدتِهِ الفرنج ـ لعنهم الله ـ فأَذن له فسار إليها فى ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ومعه ابنُ أخيه صلاحُ الدين يوسفُ بعسكرٍ عِدَّتهم ألفا فارس ، وقد وقع فى النفوس أن صَلاَح الدين سيملِك الدِّيَار المصرية ، وفى ذلك يقول الشاعر حسَّان :

رَبٌّ كَمَا مَلَّكْتَهَا يوسفَ الصدِّيقَ من أولادِ يَعْقُوبِ
فَمِلِّكْهَا فِى عَصْرِنَا يُوسُفَ الصادِقَ من أولادِ أيُّوب

فلما بلغ الوزير شاوَر قدوم أسد الدين بمن معه من الجيش بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فَجٍّ عميق . وبلغ أسدَ الدين ذلك ، واستشار من معه من الأُمراءِ ، فكلهم أشارَ عليه بالرجوع إلى الملك نور الدين لكثرة الفِرِنج ، إلاَّ أميرًا واحدًا يقال له

شرف الدين بَرْغَش ، فإنه قال : من خاف الأسر والقتل فليقعد فى بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال المسلمين فلا يُسَلِّم بلادهم إلى العدو ، وقال مثلَ ذلك صلاحُ الدين يوسفُ ، فعند ذلك تأكَّد عزمهم ، فساروا فوصلوا إلى الدِّيار المصريَّة ، واستولوا على الجيزة ، واستغلها أسدُ الدين شيركوه واستغل بلادها ، ثم توجَّه إلى الصَّعيد ، وسار شَاوَرُ مع الفرنج فى طَلَبِهِم ، والتقوا عَلى بلد يقال له أبوان [1] فانهزم الفرنج والمصريون ، وقتِل منهم خلقٌ كثير لا يعلمهم إلا الله عزَّ وجلّ ، واستولى شِيرِكُوه على تلك البلاد ، ثم سار إلى الإسكندرية ، وملكها وجبى أموالها ، واستناب عليها ابنَ أخيه صلاحَ الدين يوسف ، وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجمع منه أموالاً جزيلة جدًا ، ثم اجتمع عسْكَرُ مصرَ والفرنج ، وحاصروا صلاح الدين بالإسكندرية ثلاثة أشهر ، وذلك فى غيبة عمِّه بالصعيد ، وامتنع بها صلاحُ الدين ومن معه أشدَّ الامتناع ، وضاقت عليهم الأقوات [2] ، فسار إليهم شيركوه فصالحه الوزيرُ شاوَرُ على الإسكندرية بخمسين ألف دينار ، [يدفعها لشيركوه] [3] ، فأجابه إلى

(١) أبوان : كذا فى الأصل . وفى المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ٤٣ . أما فى السلوك للمقريزى ١ : ٤٣ فاسمها « البابين » . وتقع على عشرة أميال جنوبى المنيا ، وقد اشتبك عندها – فى ١٨ من أبريل سنة ١١٦٧ م – شيركوه مع شاور وحليفه عمورى ملك الدولة الصليبية بيت المقدس وانتصر شيركوه بفضل قائد قلب جيشه صلاح الدين الأيوبى .

هامش د. زيادة على السلوك .

(٢) فى الأصل « الاوقات » ، ما أثبته ترجح صحته .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة عن المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ٤٤ .

ذلك ، وخرج صلاح الدين منها ، وسلمها إلى المصريين فى منتصف شوال من هذه السنة ، وسار شيركوه بمن معه إلى الشام .

واستقر [1] الصلح بين الإفرنج والمصريين على أن يكون للفرنج بالقاهرة شِحْنة [2] ، وتكون أبوابُها بيد فرسانهم ، ويكون لهم من دَخْلِ مصر فى كل سنة مائة ألف دينار .

ولما كان كذلك طَغَت الفرنجُ بالدِّيار المصرية . وسار إليها إمداد الفرنج ، وسار أيضا مُرِّى ملك عسقلان [3] فى جحافل كثيرة ، فأوّل ما أخذوا مدينة بُلْبِيس ، فقتلوا منها خَلْقًا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا فيها أثقالهم ، وساروا منها ونزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية [4] عاشرَ صفر من سنة أربع وستين وخمسمائة ، فأمر الوزير شاوَرُ للنّاسِ أن يحرقوا مصر ، وأن ينتقل النّاسُ إلى القاهرة ، فَنُهِبَ البلدُ ، وبقيت النار تعمل فى مصر أربعة وخمسين يومًا ، فأرسل العاضد الخليفة الفاطمى إلى الملك العادل نور الدين يستغيث به ،

(١) فى الأصل « وأسفر » وما هنا من المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ٣ : ٤٤ .

(٢) الشحنة : جماعة من العسكر الشرطة وقائدها يسمى الشحنة أيضاً أو رئيس الشحنة .

(٣) هو عمورى «Amaury» . ملك الصليبيين بيت المقدس .

هامش الدكتور زيادة على السلوك للمقريزى ١ : ٤٣ .

(٤) باب البرقية : يوجد بابان بهذا الاسم . أحدهما أنشأه جوهر القائد فى سور القاهرة الشرقى والثانى اكتشف أخيراً تحت التل الواقع على يمين الداخل عن طريق « قطع المرأة » الموصلة من شارع الغريب إلى جبانة المجاورين والمغيق — وقد أشار إليه القلقشندى فى صبح الأعشى ٣ : ٣٥٤ — والبرقية جماعة من أهل برقة جاءوا مع المعز لدين الله الفاطمى .

انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٤٧ ، ٩ : ٢٠٥ وهامشهما ، وكذلك الخطط للمقريزى : ٣٢٦٢ .

وأرسل فى الكتب شُعُورَ نسائه [و][1] يقول « أدرِكْنِى وَاسْتَنْقِذْ نِسَائى من أيدى الفِرنج » وَالْتَزَمَ له بثلثِ خراجِ مِصر ، على أن يكون أسدُ الدين مُقيمًا عنده . فشرع نور الدين فى تجهيز الجيوش إلى الدِّيار المصرية ، فعيّن أسدَ الدين [و][2] طَلَبَه من حمص إلى حلب ، فسار إليه من حمص إلى حلب فى يوم واحد فرحّب به ، وأنعم عليه بمائتى ألف دينار ، وأضاف إليه من الأُمراءِ جماعةً ، كل منهم يبتغى رضاء الرحمٰن . وكان فيهم ابن أخيه صلاحُ الدين يوسفُ بن أيّوب ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركمان ، فساروا ، ولَمّا وصلوا إلى الدِّيار المصرية وجدوا الفرنج قد انشمروا عنها خائفين . وكأَنَّ هذا الفتح فتح جديد بمصر ، فدخل شِيرِكوه على العاضد فى ذلك اليوم ، وخلع عليه خلعةً سنية ، وحُملت إليه التحف والكرامات ، وخرج إليه وجوهُ الناس ، وكان فيمن خرج الخليفة العاضد مُتَنَكِّرًا فأَسرَّ إليه أُمورًا مُهِمَّةً ؛ منها : قتل الوزير شاوَرَ .

ثم إن شاوَر عزم على أن يعمل وليمة لِشيركوه وأُمرائِه ويقبض عليهم ، وكان من عادة شِيركوه أن يصلى الصبح عند الإمام الشافعى [٣٦] رضى الله عنه ، فاتفق أنّ شاوَر أَتى إلى مخيّم شِيرِكُوه يطلبه للدعوة فلم يجده ، فقال له صلاح الدين : هو ذهب إلى الشَّافِعِىّ ، فراح إليه ، فعندما راح أَتى لصلاح الدين

(١ ، ٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل.

رجلٌ من الناصحين فأخبره بما اتفق عليه شاوَر من الغَدْر بشيركُوه ، فعند ذلك نهض صلاح الدين وركب مسرعًا ومعه عز الدين جُرْدِيك [1] فلحقا شاوَر وألقوه عن فرسه ومسكوه ، فهرب أصحابه عنه ، وبلغ الخبرُ العاضد ، فأرسل إلى شيركوه يطلب منه إنفاذ رأس شاوَر ، فقتله وأرسل إليه رأسَه ، ثم دخل عليه فى القصر فخلع العاضدُ عليه خلعةً سنية ، وولاّه الوزارة ، ولقَّبه بالملك المنصور أمير الجيوش ، وسار بالخلعة إلى دار الوزارة – وهى دار شاوَر – ونهب ما فيها . ثم شرع فى بعث العمال إلى الأعمال ، وأقطع الإقطاعات ، وولّى الولايات ، وفرح بنفسه أيامًا معدودات حتى أدركه الممات . وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، ثم وُلِّىَ صلاحُ الدين الوزارة بعد عمّه ، فَخَلَع عليه العاضدُ ، ولقَّبه الملكَ الناصرَ ، وذكر أبو شامة [2] صفة الخِلْعَة التى لبسها وهى : عمامة بيضاءُ تنثنى بطرف ذهب ، وثوب دَبِيقىّ [3] بطراز ذهب ، وجُبّة بطراز ذهب ، وطَيْلَسان

(٢) هو جرديك النورى نسبة إلى نور الدين الشهيد
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٨٨ .

(١) أبو شامة : شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى . مؤرخ له كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين الصلاحية والنورية » و« ذيل الروضتين » وغيرهما من كتب التاريخ . توفى سنة ٦٦٥ هـ .
فوات الوفيات ١ : ٢٥٢ وبغية الوعاة ٢٩٧ .

(٢) الدبيقى : نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة التى تصنع فى دبيق ، بلدة مصرية قديمة . وقد زالت . وموضعها اليوم تل دبيق فى الشمال الشرقى لقرية صان الحجر بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٨١ .

مُطَرَّز بذهب ، وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار ، وسيف مُحَلَّى بخمسة آلاف دينار ، وحجرة [1] بثمانية آلاف دينار ، عليها سَرْج ذهب ، وسرفسار [2] ذهب مجوهر ، وفى رأسها مائتا حبة جوهر ، وفى قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفى رأسها قَصَبَة بذهب ، ومع الخلعة عدة بقج [3] وَخَيْلٌ وأشياءُ أُخَر . ومنشور الوزارة مكتوب فى ثوب أطلس أبيض ، وكان ذلك يوم الإثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة من سـنة أربع وستين وخمسمائة ، وسار الجيش بكماله فى خدمته ، وأقام صِفَةَ نَائِبٍ للملك نور الدين الشهيد ، يخطب له على المنابر بالدِّيَار المصرية ، ويكاتبه نور الدين (بالأمير اسْفَهْسَلار ، وكتب إليه) [4] نور الدين يُعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأَمَرَه أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك ، وجعل نور الدين يقول : مَلَكَ ابنُ أيّوب . ثم أرسل صلاح الدين إلى نور الدين يطلب أَبَاه أيّوب وإخوته وأقاربَه ، فأَرسلهم إليه مُكَرَّمِين . ولَمَّا وصلوا إلى الدِّيار المصرية

---

(١) الحجرة : الفرس الأنثى .
(محيط المحيط).
(٢) سرفسار : الجزء الذى يقبض عليه الراكب من الحمام . دوزى ـ تكملة المعجمات العربية
(٣) بقج : جمع بقجة لكلمة فارسية معناها الصرة ونحوها مما توضع فيه الثياب أو ما يشبهها .
(محيط المحيط) .
(٤) ما بين القوسين وارد بالهامش بخط مغاير ، والاسفهسلار وظيفة من وظائف أرباب السيوف وعلمة الجند ، وصاحبها زمام كل زمام وإليه أمر الأجناد . وهى أعجمية تعريبها قائد الجيوش .
انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤ : ٨٧ .

خرج العاضِدُ لملاقاتهم بنفسه ، وصُحْبَتُه صلاح الدين ، « وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ » [1] . ولما اجتمعوا . قرأ بعض القرآن من قوله [تعالى] [2] « وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ » إلى قوله [تعالى] [3] « تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بالصَّالِحِينَ » [4] .

ثم بعد ذلك أخذت دولة المِصْرِيِّين فى الضَّعْف والدَّوْلَةُ الأَيوبيَّة فى القوة ، وكان فى قصر العاضد خصىٌّ يسمى مؤتمن الخلافة ، وكان حاكِمًا على القصر ، فلما تمكَّن صلاح الدين ثقلت عليه وظيفته ، وكاتب الفرنج ، فعلم به صلاح الدين ودَسَّ عليه من قتله ، فلما علم به السودان عبيد القصر ثاوار — وكانوا يزيدون على خمسين ألفا — فنهض إليهم صلاح الدين ، فقامت الحرب بينهم يومين ، وصار السودان كلما ٱلْتَجَئُوا إلى محلة أحرقها صلاح الدين عليهم ، وكانت لهم محلة عظيمة على باب زُوَيْلَة تعرف بالمنصورة ، فأرسل صلاح الدين إليها من أطلق الحريق فيها على أموالهم وأولادهم فاحترقوا جميعًا ، فلما أتاهم الخبر بذلك انهزموا ، وركبتهم السيوف وأبادتهم الجميع . ثم ولَّى صلاحُ الدين على القصر بهاءَ الدين قراقوش

---

(١) آية رقم ٩٩ من سورة يوسف .

(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة على الأصل .

(٤) أى من « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم . رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولىِّ فى الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين » .
الآيتان ١٠٠ و ١٠١ من سورة يوسف .

الأسدى وكان خصيًا أبيض ، ثم عزل صلاح الدين قضاةَ مصر لأنّهم كانوا شيعة ، وقطع الأذان بحى على خير العمل ، ثم شرع فى تمهيد الخطبة لِبَنِى العباس ، وكانت انقطعت منذ مائتى سنة وثمانى سنين .

وانقطعت دولة الفاطميين بموت آخرهم فى سنة سبعٍ وستين وخمسمائة ، ثم استحوذ صلاحُ الدين على القَصْرِ بما فيه ، واستعرض حواصل القصرين ، فَوَجَدَ فيهما أشياء لا توصف ، فمنها : سبعمائة يتيمة من الجوهر ، وقضيب زُمُرُّد طولُهُ أكثر من شبر ، وسمكُهُ نحو الإبهام ، وحبلٌ[1] من الياقوت ، وإبريق عظيم من الحجر المانع ، وطَبْل للقُولَنج إذا ضرَبَ عليه أحد خرج من دبره ريحٌ وزال ما به من القُولَنْج ، فاتفق أن بعض أُمراء الأكراد أخذه فى يده ولم يدر ما شأنه ، فَلَمَّا ضَرَبَ عليه حَبَق[2] فألقاه من يده فانكَسَر ، فبطل عمله .

ومن جملة ما وجد فيهما خزانة كتب تشتمل على ألفى ألف مجلد ، ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألفٌ ومائتان وعشرون من تاريخ الطَبَرِى . قال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، وَوَجَدَ أيضا فيها ذهبًا كثيرًا ، وأرسل من ذلك تُحَفًا كثيرة إلى الملك نور الدين الشهيد.

---

(١) فى الكامل لابن الأثير ١١ : ١٦٥ « قمنه الحبل الياقوت وزنه سبعة عشر درهماً وسبعة عشر مثقالا ـ أنا لا أشك فإنى رأيته ووزنته » .

(٢) فى المرجع السابق ١١ : ١٦٥ « فضرب به فضرط » وهو معنى حبق .

ثم قوى أمرُه جدا لا سيّما بموت العادل نور الدين الشهيد فى سنة تسع وستين وخمسمائة .

قال النُوَيْرِى: وفى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة أمر السلطانُ صلاحُ الدين ببناء السُورِ الدَّائِر على مصر والقاهرة والقلعة على جبل المقطم ، ودَوْرُهُ تسعة وعشرون ألف ذراع بالهاشمى ، وتولى بناء السور الأَمير بهاءُ الدين قراقوش الأَسدى ، ولم يزل العمل فى السور إلى أن مات السلطان صلاح الدين يوسف فى سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وكان سلطانًا عظيمًا خيِّرًا دَيِّنًا صالحًا ، صاحب فتوحات وغزوات ، وجميعُ ما فتحه من القلاع والحصون سبعةٌ وستون . منها عكَّة وطَبَرِيّة ونابُلُس وبيت المقدس والدَّارُوم [1] وغزْة وعَسْقَلان والرَّمْلة وصَفَد وكَرَك وشَوْبَك وبِيرْمِين وجَبَلة واللاَّذِقيَّة وصَهْيُون ودَرْبَسَاك وبُغْرَاس وشَغر وبَكَّاس وغير ذلك .

وخلّف من الأَولاد سبعة عشر ولدًا ذكرًا وبنتًا واحدة تسمى مُؤنِسَة خاتون ، تَسَلطَن من أولاده ثلاثة .

الملك العزيزُ عمادُ الدين عثمان فى الدِّيار المصرية .

والملك الأَفضل نورُ الدين على فى البلاد الشامِيَّة .

والملك الظاهر غِيَاثُ الدين غازى فى المملكة الحَلَبِيَّة ، وهو سادس بَنِى أَيُّوب .

---

(١) فى الأصل « الداورن » ، والداروم قلعة قرب غزة من جهة مصر خربها صلاح الدين لما ملك الساحل سنة ٥٨٤ هـ.

هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥ : ٣٤٧ .

وأما السابع :فهو الملك العادل أبو بكر بن أيوب ، ملك مصر تسع عشرْة سنة . كان حازمًا متيقظًا ، غَزِيرَ العقل ، سديد الآراء ، ذا مكر وخديعة ، صبورًا حليمًا ، دينًا عاقلاً وقورًا ، أبطل المُحَرَّمَات والخمورَ والمعازف من ممالكه كلها ، وقد كانت ممالكه ممهدة من أقصى بلاد مصر واليمن والشام والجزيرة وإلى هَمَذَان ، أخذها كلها بعد أخيه السلطان صلاح الدين سِوَى حلب ،فإنه أقرَّها بيد ابن أخيه الظاهِر غازى بن صلاح الدين؛ لأنه كان زوج ابنته الست صَفيَّة[1] [٣٧] خاتون ، وكان ماسِكَ اليد ، لكنه أنفق فى أيام الغلاء بمصر أموالاً عظيمة جدًا ، وتصدَّقَ على أهل الحاجة بشىء كثير ، ثم فى العام [الذى][2] بعده فى الفَنَاء كفَّن ثلاثمائة ألف إنسان من الغرباء ، وكان كثير الصدقة فى أيام مرضه ، يخلع جميع ما عليه ويتصدق به وبمركوبه ، وما يحبه من أمواله ، وكان كثير الأَكل مع كثرة صيامه ، وكان يأْكل فى اليوم الواحد أكلات جيدة ، ثم بعد كل حال يأْكل وقت النوم من الحلوى السكرية اليابسة رطلا بالدِّمَشْقِى ، توفى فى جمادى الآخرة من سنة خمس عشرة وستمائة .

الثامن : الملك الكامل أبو المعالى ناصر الدين محمد بن السلطان الملك العادل أبِى بكر بن أيوب ، كان ملكاً ذكيًّا مهيبًا

(١) كذا فى الأصل ، والصحيح « ضيفة خاتون » وقد ولدت فى سنة ٥٨١ هـ أو سنة ٥٨٢ هـ بقلعة حلب حين كان أبوها ملكاً لحلب . وكان عند أبيها ضيف فسماها ضيفة
هامش د . الشيال على مفرج الكروب لابن واصل ٣ : ٢١٢ .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

ذا بأس شديد ، عادلاً منصفًا . قال ابن خلكان : كان سلطانًا عظيم القدر ، جميل الذكر ، محبٌ العلماء والفقراء ، متمسكًا بالسنة النبوية ، معاشرًا لأرباب الفضائل ، يبيت عنده كلّ ليلة جمعة جماعةٌ من العلماء ، ويشاركهم فى مباحثهم ، ويسألهم عن المواضع المشكلة من كل فن ، وقد بنى [قبّة][1] على ضريح الإمام الشافعى رضى اللهُ عنه ، ودفن أُمَّه عنده ، وأجرى إليها ماء من النيل ، وغرم على ذلك جُملةً عظيمة . قال ابن واصل[2] : كان الملك الكامل كثيرَ الحلم والإغضاء حتّى إن بعض الشعراء هجاهُ مِرَارًا كثيرة فلم يلتفت إليه حتّى تجرأ ذلك الشاعر وقال :

وما تَرْكُهُم للقتل حِلْمًا وإنما ... يَرَوْن بقاءَ المرءِ فى عصرهم أشقى

وبلغ ذلك الملك الكامل فلم يعاقبه وعفا عنه ، وكان من عدله ألاّ يتجاسر أحد أن يظلم أحدًا . شنق جماعةً من الأجناد أخذوا شعيرًا لبعض الفلاحين بأرض آمد ، واشتكى إليه بعض الرِّكبْدَاريّة[3] أن أستاذه استعمله ستة أشهر بلا أجرة ،

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٢٩ ، وقد جاء فى الهامش : وقد أنشأها الكامل فى سنة ٦٠٨ هـ ، وجددها الأشرف قايتباى والسلطان الغورى ثم أمير اللواء على بيك الكبير دفتردار مصر سنة ١١٨٥ هـ .

(٢) هو جمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ ، وهو مؤلف كتاب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب .

(٣) الركبدارية : ويتبعون بيت الركاب الذى تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها ، وهم يحملون الغاشية بين يدى السلطان فى المواكب الرسمية .
القلقشندى ـ صبح الأعشى ٤ : ٧ و ١٢ .

فأحضر الجندى وألبسه ثياب الرِّكَبْدار ، وألبس الرِّكَبْدار ثياب الجُنْدِى ، وأمر الجُنْدِى أن يَخْدُمَ الرِّكَبْدار ستة أشهر على هذه الهيئة ، ويحضر الرِّكَبْدار الموكب والخدمة حتّى ينقضى الأجل ، فتأدّب النَّاس بذلك غاية الأدب . وكانت له اليد البيضاء فى ردّ ثغر دِمْيَاط إلى المسلمين بعد أن استحوذ عليه الفرنج ، وبنى مدينةً عند مفترق البحرين وسمّاها المنصورة ، ونزل بها بعساكره ، ورابط الفرنج أربع سنين حتّى استنقذ دِمْيَاط منهم .

ومن شعره يستحث أخاه الأشرف[1] من بلاد الجزيرة :

يا مُسْعِفِى إنْ كُنْتَ حَقًّا مُسْعِفِى
فارْحَلْ بِغَيْرِ تَقَيُّدٍ وتَوَقُّفِ
واطْوِ المنازل والديار ولا تُنِخْ
إلاَّ على باب المليك الأشرفِ
قبِّل يَدَيْهِ لا عدمت وقل له
عنى بحسن تعطفٍ وتَلَطُّفِ
إن مات صِنْوُكَ عن قريب تلْقَه
ما بين حدِّ مُهَنَّدٍ ومثقفِ
أو تُبْطِ عن إنجادِهِ فلقاؤه
يومَ القيامة فى عِرَاضِ الموقِفِ

(١) هو الأشرف مظفر الدين موسى أبو الفتح بن محمد العادل ، ولد سنة ٥٧٨ هـ بالقاهرة وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥ هـ .
الزركلى — الأعلام ٣ : ١٠٨٤ .

وهو الذى بنى بالقاهرة دارَ الحديث بين القصرين يقال لها الكاملية[1] ، [و][2] كانت مدة ملكه لمصر – نائباً عن أبيه ومستقلاً بعده – نحواً من أربعين سنة ، وعمره حين توفى نحو ستين سنة ، وكانت وفاته بدمشق فى شهر رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة .

التاسع : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبى بكر ابن أيوب بن مَرْوَان ، كان ملكاً مُهَابًا ، عالى الهمة ، عفيفاً طاهر اللسان والذَّيل ، شديد الوقار ، كثير الصمت ، جمع من المماليك التُّرْك مالم يجمع غيرُه من أهل بيته ، [و][3] كان أكثر أمراء العسكر مماليكه ، وتسلطن من مماليكه جماعةٌ منهم الملك المعز أَيْبُك التُّرْكُمَانى ، والسلطان الملك المظفر قُطُز ، والسلطان الملك الظاهر بِيبَرْس ، والسلطان الملك المنصور قَلَاوون . ورتَّبَ جماعة من المماليك حول دهليزه[4] وسمَّاهم البحرية ، وكان لايجسر أحد أن يخاطبه إلا جوابًا ، ولا يتكلم أحد بحضرته

---

(١) الكاملية : أنشئت سنة ٦٢٢ هـ . وهى ثانى دار عملت للحديث والأولى دار الحديث النورية التى بناها نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ، وقد أوقفها الكامل على المشتغلين بالحديث النبوى ومن بعدهم على فقهاء الشافعية ، وهى موجودة إلى اليوم بشارع بين القصرين بجوار مسجد السلطان برقوق من بحريه وتعرف باسم جامع الكاملية أو جامع كامل .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٢٩ .

(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة عن الأصل .

(٤) الدهليز : « خيمة السلطان وترافقه فى الحروب أو فى الصيد والتنزه » .
دوزى : تكملة المعجمات العربية .

ابتداء ، وكانت القصص توضع بين يديه مع الخدّام . فيكتب عليها بيده وتخرج للموقعين[1] ، وكان لا يستقل أحدٌ من أهل دولته بأمر من الأمور إلا بعد مشاورته بالقصص ؛ وكان غاويًا بالعمارة ، وبنى الصالحية وهى بليدة بالسانح[2] ؛ وبنى له بها قصورًا للتصيّد ، وبنى قصرًا عظيمًا بين مصر والقاهرة وسمّاه بالكبش[3] ، وبنى المدرسة الصّالحية[4] بين القصرين ، ورتّب فيها المذاهب الأربعة ، والآن فيها القضاة الأربعة من أربعة مذاهب ، وبنى بحذائها التربة له ، وكانت أم الملك الصالح جارية سوداء تسمى وَرْدَ المُنَى ، غشيها السلطان الملك الكامل فحملت بالملك الصالح ، وكانت مملكته للديار المصرية تسع سنين وثمانية أشهر وعشرين يومًا ، توفى على المنصورة فى منتصف شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة ، وكان مُرَابطًا بها لأجل الفرنج .

---

(١) الموقعون : هم الذين يكتبون المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى .
القلقشندى : صبح الأعشى ٥ : ٤٦٥ .

(٢) السانح : يطلق على منطقة الأراضى الواقعة على جانبى الترعة السعيدية بين ناحيتى سوادة والصالحية بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية وقد بنيت الصالحية سنة ٦٤٤ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ والهامش .

(٣) قصر الكبش : على الجبل بجوار جامع ابن طولون .
السلوك للمقريزى ١ : ٣٤١ و ٣٤٢ .

(٤) كانت هذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة وقد بقى منها واجهتها وعليها المئذنة وتشرف على شارع بين القصرين .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ .

فكما أن السلطان الملك الصالح تاسع السلاطين من بني أيُّوب
فكذلك مولانا السلطان الملك المؤيّد تاسع سلاطين التُّرك ،
فنرجو من الله تعالى أن تكون أيامُه سعيدةً كما كانت أيامُ
السلطان الملك الصالح ، ويُعْطَى من الخيرات وبَسْط الملك
٥ ما أُعْطِى ذاك ؛ إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

الباب السادس

في استحقاق السلطنة

وهو يشتمل على عشرة فصول

الفصل الأول

فى استحقاقه من حيث السن

وإنما قلنا : إن مولانا السلطان الملك المؤيد استحق السلطنة من حيث السن لأنه لما تولاها كان عمره أربعًا وأربعين سنة بالتقريب : وسن الأربعين ، هو سن كمال العقل ووفور الرأى ، ووقت الإنابة ، والرجوع إلى الله تعالى ، والإقبال إلى الخيرات ، والتوجه إلى الله تعالى . ولهذا كان يوحى إلى أكثر الأنبياء على رأس الأربعين . وقال ابن إسحاق[1] : نزل القرآن على نبينا عليه السلام وله من العمر أربعون سنة . وحكى ابن جرير الطبرى[2] عن ابن عباس وسعيد بن المسيب[3] رضى الله عنهم : أنه كان عمره إذ ذاك ثلاثًا وأربعين سنة ، وعن عامر الشعبى[4] : أن

---

(1) ابن إسحاق : هو محمد بن إسحاق المطلبى صاحب السيرة النبوية التى هذبها ابن هشام ، توفى سنة ١٥١ هـ .

سركيس - معجم المطبوعات ١٦٢٨ .

(2) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبرى ، مؤرخ مفسر ، توفى سنة ٣١٠ هـ .

الزركلى - الأعلام ٣ : ٨٧٦ ط أولى .

(3) هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى القرشى ، سيد التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، توفى سنة ٩٤ هـ .

المرجع السابق ١ : ٣٧٤ ط أولى .

(4) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبى الحميرى ، راوية يضرب بحفظه المثل ، توفى سنة ١٠٣ هـ .

المرجع السابق ٢ : ٤٦٣ و ٤٦٤ ط أولى .

رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت عليه النبوّة وهو ابن أربعين سنة ، فقُرن بنبوته إسرافيل عليه السلام ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئين ولم ينزل القرآن . فلما مضت ثلاث سنين قُرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة ، عشرا بمكة ، وعشرا بالمدينة ، فمات وهو ابن ثلاث [٣٨] وستين سنة — رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .

ومن الدليل على ما ذكرنا ما نصَّ الله تعالى [عليه][1] فى كتابه العزيز بقوله « حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً »[2] واختلف العلماء فى الأَشُدّ ، فقال الشعبى ، وزيد ابن أسلم[3] : إذا كُتِبَت عليه السيئات وله الحسنات . وقال ابن إسحاق : ثمانية عشر عامًا ، وقيل : عشرون عامًا . وقال ابن عباس وقتاده[4] : ثلاثةٌ وثلاثون عامًا . وقال هلال بن يسار[5] وغيره : أربعون عامًا . قال ابن عطية[6] : من قال بالأربعين قال فى الآية : إنه

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) الآية رقم ١٥ من سورة الأحقاف .

(٣) هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العمرى المدنى ، فقيه مفسر . من أهل المدينة . توفى سنة ١٣٦ هـ.

الزركلى — الأعلام ١ : ٣٤٤ ط أولى .

(٤) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزير . أبو الخطاب السدوسى البصرى . مفسر حافظ ضرير أكمه . توفى فى الطاعون بواسط سنة ١١٨ هـ .

المرجع السابق ٢ : ٧٨٩ .

(٥) هو هلال بن زيد بن يسار بن بولا البصرى أبو عقال . مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقال مولى أنس .

ابن حجر تهذيب التهذيب ١١ : ٧٩ .

(٦) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحيم الغرناطى . مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث توفى سنة ٥٤٢ هـ. الزركلى — الأعلام ٢ : ٤٧٨ ط أولى.

أكد وفسر الأشُدَّ بقوله وبلغ أربعين سنة ، وإنما ذكر الله أربعين لأنه حدّ الإنسان فى فلاحِهِ ونجاحِهِ . وفى الحديث « إن الشيطان يجُرّ يده على وجه من زاد على أربعين ولم يتب فيقول : بأَى وجهٍ لا تفلح » . وفيما دون الأَربعين أَيام الشباب ، والميل إلى ملاذِّ الدنيا وشهواتها ، ومن يكون بهذه المثابة يكون فى عقله قصور ، ويكون أكثر رأيه على نهج الفساد ، ولا سيّما إذا تولى أمرًا من أُمور المسلمين ، ألا ترى أن جماعةً من أولاد السلاطين تولُّوا السلطنة وحصلت منهم مفاسد كثيرة منهم :

ابن الملك المُعِزّ أَيْبَك التركمانى أول مملوك ولُّوه السلطنة بعد أن قَتَلَت شجرُ الدر أباه الملكَ المعزَّ المذكورَ .

قال بِيبَرْس[1] فى تاريخه : ولّوه السلطنة وعمره حولَ عشرين سنة ، ولَقَّبُوه بالملكَ المنصور نور الدين علىّ فى ربيع الأَول من سنة خمس وخمسين وستمائة ، وجعلوا سيف الدين قُطُز مدبّر المملكة ؛ لِدِينِهِ وشهامَتِهِ ، ولصِغَرِ السلطان ومَيْلِهِ إلى اللّعب . ولما تحرّك هُلاَوُن فى سنة سبع وخمسين وستمائة ، وقصد أرضَ الشام بعد تخريبه بَغْدَاد ، وقتله الخليفة المستعصم وأَلْفَىْ أَلفِ نفس من أهل بغداد ، عقد سيفُ الدين قُطُز المجلسَ . وقال : لابدَّ من سلطان قاهر يقاتل التّتر ، وهذا صبِىٌ صغيرٌ لا يعرفُ تدبير المملكة ـ وكان كذلك فإنه كان يركب الحمير الفُرّه[2] ،

---

(١) هو بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار . أمير مؤرخ من سكان مصر توفى سنة ٧٢٥ هـ . وله تاريخ فى ٢٥ مجلداً . الزركلى ـ الأعلام ١ : ١٦٠ ط أولى .

(٢) الفره : جمع فاره وهى النشيطة الحاذقة الكريمة . (محيط المحيط) .

ويلعب بالحمام مع الخُدَّام ، فعند ذلك اتفقوا وولوا قُطُزَ سلطانًا ، ولقَّبُوه بالملك المظفر .

ومنهم ابن الملك الظاهر بِيبَرْس ناصر الدين محمد بَركه خان ، تولى السلطنة وله تسع عشرة سنة ، وكانت توليتُه سنةَ وفاة أبيه الملك الظاهر سنة ست وسبعين وستمائة ، ولما تولّى غلبت عليه الخاصكيَّة[1] ، فجعل يَلْعَبُ معهم فى الميدان لعبَ « أول هوا »[2] فَرُبَّما جَاءت النوبة عليه ، فأنكرت الأمراءُ عليه ، وأنِفُوا أن يكون ملكهم يلعب مع الغلمان ، فراسلوه لِيَرْجِعَ عن ذلك فلم يقبل ، فخلعوه فى سنة ثمان وسبعين وستمائة . ثم ولّوا بدر الدين سُلاَمِش أخاه ، ولقبّوه الملك العادل ، وله من العمر سبع سنين ، ثم بعد مائة يوم عزلوه لعدم فائدة بقاء الصبىّ الصغير ؛ لانتشار السمعة فى البلاد ، وامتهان الحُرْمة فى أنفس الحواضر والبواد[3] ، واتفقوا على تولية سيف الدين قَلاون الألْفى ، وسمّوه الملك المنصور ، وذلك لدِينه وشهامتِهِ وشجاعته وجلالةِ قدرِهِ فى العسكر ، .

ومنهم الملك الناصر [محمد][4] بن قلاون ، تولى السلطنة وعمره ثمانى سنين ، وذلك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ،

---

(١) الخاصكية : فرقة من المماليك . يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغاراً . ويجعل منهم حرسه الخاص ويكلفون بالقيام بالمهمات الشريفة .
انظر هامش السلوك للمقريزى ١ : ٦٤٤ .

(٢) لم يستطع المحقق أن يجد تعريفاً لهذه اللعبة فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ، ويستفاد من النص — أن المغلوب فيها يكون فى وضع غير كريم لا يليق بالسلطان .

(٣) كذا فى الأصل وحقها البوادى جمع بادية ولكن التزام السجع اقتضاء حذف الياء .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل للتوضيح .

ولِصِغَرِهِ جرت عليه أُمور عظيمة ؛ وهى أَنَّه خُلِعَ ثلاث مرات ، الأُولى فى سنة أربع وتسعين وستمائة ، وكانت مدة سلطنته سنة واحدة . وتولى زينَ الدين كَتْبُغَا ، وتلقّب بالملك العادل ، وأقام سنتين ثم خُلِع ، وتولّى حسامُ الدين لاجين ، وتلقّب بالملك المنصور ، وأقام سنتين ثم قتل ، وعادت السلطنة إلى الملك الناصر [محمد بن قلاون] (1) فى سنة ثمان وتسعين ؛واستمر سلطاناً إلى أن سافر إلى الكَرَك فى سنة ثمانٍ وسبعمائة ، وخلع نفسه من السلطنة ؛ والسبب فى ذلك أنه طلب يومًا خروفًا رميسًا (2) فمنع منه ،وقيل له حتى يجىء كاتب بِيبَرْس (3) ،وكان الناصر محجوراً عليه من جهة بيبَرْس وسلاّر ، فلذلك غَضِبَ وخلع نفسه ، وتولّى السلطنة ركنُ الدين بِيبَرْس الجَاشْنَكِير فى سنة ثمان وسبعمائة ، وأقام فى السلطنة أَحد عشر شهراً ثم قتل ، ثم عادت السلطنة إلى الملك الناصر [محمدبن قلاون] (4) بعد أَن خرَجَ من الكَرَك إلى دمشق ، ومن دمشق إلى الدّيار المصرية ، واستمر سلطاناً إلى أن مات فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ، والذى اتَّفَق له لم يتفق لغيره ،أَبْطَلَ مكوسًا كثيرة ومظالم كبيرة ،وحجّ ثلاث مرات ، وزار القدس الشريف، وأَجرى إليه الماء ، وبنى الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق ، وجدّد قلعة جَعْبَر (5) وأخذ مَلَطْيَة ، وفتحت

(4،1) ما بين الحواصر إضافة على الأصل .

(2) الرميس السمين . (محيط المحيط) .

(3) هو القاضى كريم الدين كاتب بيبرس الجاشنكير .
بدائع الزهور لابن إياس 1 : 149 .

(5) قلعة جعبر : من ديار بكر فى البر الشرقى الشمالى للفرات . عرفت بسابق الدين جعبر القشيرى الذى ملكها فى أيام السلاجقة . ياقوت ـ معجم البلدان 4 : 138 .

فى أيامه دارنده[1] وإياس[2] وطَرَسُوس ، وعدة من القِلاع الشامية[3] ، [و][4] باشر السلطنة أكثر من ثلاث وأربعين سنة ، وتوفى وعمره ثمان وخمسون سنة ، وخلف جملة أولاد ، تولى المملكة منهم ثمانية وهم : أبو بكر ، وكُجَك ، وأحمد ، وشعبان ، وإسماعيل ، وحَاجى ، وحَسَن ، وصالح .

أما أبو بكر فإنه تولّى بعد أبيه وعمره عشرون سنة ، ولقّبُوه بالملك المنصور ، ثم خلعوه وجَهَّزُوه إلى الصَّعيد ، وكان إخر العهد به . وكانت مدة ولايته شهرين ، وكان السبب فى ذلك أن الأمير قوصُون[5] جمع الأُمراء وقال لهم : هذا السلطان يريد أن يقتلكم ولا يُخَلّى أحدًا منكم ، ومع هذا هو يفسق ، وينزل كل ليلة فى نصف الليل على الحمار الفَارِه[6] هو وجماعة من خواصه إلى بيت ولى الدّولة ، ويجتمعون على المغانى والمنكر ، ويتفقون هناك على من يمسكونه ، فعند ذلك اتفقوا

(١) دارندة : مدينة قرب قيسارية الروم .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٧٢ .
(٢) اياس : ثغر بأرمينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط .
هامش الدكتور زيادة على السلوك المقريزى ١ : ٦١٨ .
(٣) وهى بهسنا والمرعش وتل حمدون والنقير ونجيمة والماروئية واسفندكار .
بدائع الزهور لابن إياس ١ : ١٧٤ .
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .
(٥) فى الأصل « قوسون » وهو الأمير سيف الدين قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة فى عهد السلطان أبى بكر . وقد قتل فى سجن الاسكندرية سنة ٧٤٢ هـ فى سلطنة أحمد بن محمد بن قلاوون .
السلوك للمقريزى ٢ : ٦١٥ .
(٦) الفاره : الجيد الحاذق المدرب .
(محيط المحيط) .

وخلعوه . وولّوا كُجَك ولقّبُوه الملك الأشرف ، وعمره يومئذ عشر سنين . ثم قالت الأُمراءُ : السلطانُ صغيرٌ لايفهم الخطابَ ، ولا يُعْطى الجَوَاب ، واختاروا أن يكون قَوْصُون نائبًا عنه عوضًا عن طُقُزْتَمُر ، فاستمر نائبًا ، ولكن سيفَ الخِلاف[1] مشهور ، وأربابَ الدولة ما بين محزون ومسرور ، وفيه قال الشاعر[2] :

سُلْطَانُنَا اليَـــومَ طفلٌ والأَكَابِـــرُ فى
خُلْفٍ وَبَيْنَهُما الشيطَـــانُ قَدْ نَزَغَا
فكيف يطمَـــعُ من مَسَّـــه مَظْلَمةٌ
أن يَبْلُغَ السُّؤْل والسلطانُ مَا بَلَغَـــا

ثم خلعوه وولّوا عوضه أحمد بن الملك الناصر محمد ، ولقّبُوه الملك الناصر أيضًا ، ثم خلعوه ، وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وأربعة وعشرين يومًا .

ثم ولّوا أخاه عماد الدين إسماعيل ، ولقّبُوه الملك الصالح ؛ ولَمّا تولّى أرسل من يقتل أخاه الناصر أحمد ، وكان فى مدينة كَرَك ، وأتى برأسه إلى القاهرة . ثم توفى الملك الصالح فى ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وسبعمائة ، وكان له من العمر تسع عشرة سنة ، وأقام فى الملك ثلاث سنين وشهرين واثنى عشر يومًا .

---

(١) فى الأصل « الخليفة » وما هنا يتفق مع السياق .

(٢) قال أبو الفدا فى المختصر فى أخبار البشر ٤ : ١٣٥ : « وقلت فى ذلك شعرا » ، وأورد هذين البيتين كما هنا .

ثم ولّوا أخاه شهاب الدين شعبان[1] ولقّبُوه الملك الكامل ، ثم إنه أساء السيرة ، وتعاطى الخمر ، وعزم على مسك الأُمراء الكبار ، فعند ذلك اتّفقوا على قتله ، فخنقوه ودفنوه بالقرافة ، وكانت [٣٩] مدة سلطنته سنة وشهراً وسبعة وعشرين يوماً .

ثم ولّوا أخاه حاجى ولقّبُوه الملك المظفّر ، ثم ثارت فتنة بينه وبين الأُمراء بسبب لعبه الحَمَام إلى أن أدّت إلى ركوبهم وخروجهم إلى قبة النصر[2] ، فلما تلاقَوْا طعن أحد مماليك بَيْبُغَارُوس فرس السلطان فوقع على ركبتيه ، ووقع السلطان ، فمسكوه وخنقوه وعمره عشرون سنة ، وكان ذلك ثانى عشر رمضان من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

ثم ولّوا أخاه حسن ابن الناصر محمد ، ولَقّبُوه الملك الناصر مثل لقب والده ، وعمره حينئذ أربع عشرة ، واستقر بَيْبُغَارُوس نائبًا عنه ، وشَيْخُون[3] لالاَه[4] ، ومنشلك[5] وزيرًا له ، ثم وقعت فتنة بين طاز[6]

---

(١) كذا فى الأصل – وفى السلوك للمقريزى ٢ : ٦٨٠ . « سيف الدين » .

(٢) قبة النصر : كانت زاوية يسكنها فقراء العجم وهى خارج القاهرة بالصحراء تحت الجبل الأحمر . جددها الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت فى الفضاء الكائن شرق خانقاه برقوق . وقد اندثرت. أما خانقاه برقوق فلا تزال باقية وتعرف باسم تربة برقوق بجبانة المماليك .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ٤١ والهامش .

(٣) هو الأمير سيف الدين شيخون بن عبد الله العمرى الناصرى وهو أول من سمى بالأمير الكبير . وتوفى سنة ٧٥٨ هـ . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٣٢٤ و ٣٢٥ .

(٤) اللالا : المربى ويقال أيضاً لالاه . هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٩٢

(٥) هو منشك اليوسفى . ويرسم منجك .
بدائع الزهور لابن إياس ١ : ١٩٠ — والسلوك للمقريزى ٢ : ٧٤٨ .

(٦) هو الأمير طاز بن قطغاج – بقاف وطاء وغين معجمة ثم جيم – مات سنة ٧٦٣ هـ ابن حجر – الدرر الكامنة ٢ : ٢١٤ .

وبين السلطان حسن أدّت إلى أن أمسكُوه وسجنوه فى قاعة صغيرة ، وكانت مدة سلطنته هذه ثلاث سنين وتسعة شهور واثنى عشر يومًا .

ثم ولّوا أخاه صالحًا، ولقّبُوه الملك الصالح ، واستقر شيخون أتابك[1] العساكر . ثم بعد ذلك اتّفق جمهور الأُمراء مع شيخون ـ وكان الأمير طَاز مسافرًا يتَصيَّد فى البُحَيْرَة ـ على خلع السلطان الملك الصالح ، وإعادة أخيه حسن إلى السلطنة أوّلاً ، فخلعوه وألْزَمُوه بيته ، فتكون مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة أيام .

ثم ولّوا السلطان الملك الناصر حسن، وأعادوه إلى سلطنته ـ أولاً ـ يوم الإثنين الثانى من شوال من سنة خمس وخمسين ، [وسبعمائة] [2] ، واستمر سلطانًا إلى سنة اثنتين وستين . ثم وقع بينه وبين يَلْبُغا[3] الخَاصِّكِى ، وكان السلطان بكوم برا[4]، فركب عَلَى يَلْبُغا فى نَفَرٍ قليل، وكان يَلْبُغا مستعدًا

---

(١) أتابك العساكر : الأتابك أو الأطابك معناه « الوالد أو الأمير » ، والمراد به أبو الأمراء ؛ وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب .
انظر صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ١٨ .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .
(٣) هو أتابك الديار المصرية ومدبر الدولة بها . سيف الدين يلبغا .
ابن كثير ـ البداية والنهاية ١٤ : ٢٤٠ . وهو يلبغا العمرى صاحب الكبش وسمى بذلك لأنه كان من الأمراء الذين سكنوا بالكبش .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٠ : ٣٠٧ والهامش .
(٤) كوم برا : بلدة من أعمال الجيزة .
بدائع الزهور لابن إياس ١ : ٢٠٨ .

للقتال ، فولى السلطانُ ومن معه ، وعَدُّوا النيل بالليل ، وطلع القلعة . فلَمَّا سبَّحَ المُسَبِّحُ ركب السلطان ومعه أَيْدَمُر الدُّوَادَار - ، ولبسا لبس العرب ليتوجها إلى الشام ، فلقيهما بعض المماليك فأنكروا عليهما ، وأحضروهما إلى بيت الأمير شرف الدين بن الأَزْكُشِيّ أستادار العَالية - كان - ، فمسكهما وأحضرهما إلى يَلْبُغا الخَاصْكِي ، فكان آخر العهد بالسلطان ، فلم يُعْلَم له خبر ولاعين ولا أثر ، فكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر ، وعمره يوم قتل بضع وعشرون سنة ، وكان أشقر أنمش [1] .

ثم ولوا محمد بن الملك المظفَّر حاجى بن الملك الناصر محمد بن قلاون ، ولقَّبوه الملك المنصور ، وكان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة ، واستبدَّ بالأمر يَلْبُغَا الخَاصْكِي هو وطَيْبُغَا الطويل ، ثم إنه بلغ يَلْبُغَا عن هذا السلطان أنه يدخل بين نساء الأمراء ، ويبيع كعكًا فى زنبيل ، ويأخذ ثمنه منهنَّ ، ويعمل مُكَارِيًا للجوار ، ويفسق بالحريم ، ويترك الصلاة ويجلس [على كرسى الملك] [2] وهو جنب ، فخلعه يَلْبُغَا لأجل ذلك ، وسجنه داخل الدُّور السلطانية .

ثم ولوا شعبان ابن حسين [بن] [3] الناصر محمد ، ولَقَّبُوه بالملك الأشرف ، وعمره عشر سنين فى سنة أربع وستين وسبعمائة ، واستمرت

(١) أنمش : النمش نقط بيض أو سود أو بقع تقع فى الجلد تخالف لونه . المنجد ٨٣٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين مطموس فى الأصل . وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١ : ٧ .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الحال إلى سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، ثم إن الأشرف توجّه إلى الحجاز الشريف ، وجرى عليه ما جرى إلى أن قتل فى هذه السنة.

ثم ولّوا عَلِيّ بن الأشرف ، ولقّبُوه الملك المنصور ، واستقرّ طَشْتَمُر اللفاف أتابك العساكر ، وقَرَطَاى الطازىّ رأس نوبة كبيرا [(1)] ، واستمرّ الحال إلى سنة ثلاث وثمانين ، وتوفى الملك المنصور فى هذه السنة وعمره اثنتا عشرة سنة ، وكانت مدة مملكته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يومًا . ثم ولّوا أمير حاجى بن الأشرف ، ولقّبُوه الملك الصالح . وكان سيف الدِّين برقوق أتابك العساكر .

ثم فى سنة أربع وثمانين وسبعمائة خلعوا الملك الصالح ، وعُقِدَ بالسلطنة لسيفَ الدين بَرْقُوق ، ولقبُوه الملك الظاهر .

وهؤلاء الذين ذكرناهم ممن تسلطن وهو صغير جرى فى أيامه أمورٌ عظيمة وحروبٌ كثيرة ؛ وقتل أمراء كبار ، منهم الأمير قَوْصُون ؛ قتل فى سجن اسكندرية فى أيام الملك الناصر أحمد ابن الملك الناصر محمد ، فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وكذلك طَشْتَمُر الناصرى الملقب بالحمص الأخضر ، قتل فى الكَرَك فى سنة ثلاث وأربعين ، وقتل آقْسُنْقُر الناصرى ، وبَكْتَمُر الحجازى ، ويَلْبُغَا اليحياوى ، وطُغَيْتَمُر الدُّوَيْدَار ، وبَيْدَمُر البَدْرِى ؛ قتلهم الملك المظفر فى سنة ثمان وأربعين [وسبعمائة] [(2)]

---

(1) رأس نوبة كبير : وظيفة رأس النوبة الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم — صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ١٨ .

(2) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

وضُرِبَ الأمير شَيْخُون بالإيوان بقلعة الجبل ؛ ضَرَبَهُ مملوكٌ يسمّى قُطْلُوجُجَا ثلاث ضربات فأَصابَتْ وجهه ورأسه وذراعه ، فمات بعد مدّة في سنة ثمان وخمسين وسبعمائةِ ، والأمير صَرْغَتْمش توفى بسجن إسكندرية فى سنة تسع وخمسين .

وعَصَى بَيْدَمُر بالشام ، ومعه أَسَنْدَمُر ومَنْشَك فى سنة اثنتين وستين . والأمير طَاز سُجِن بثغر إسكندرية وسُمِل ، ثم أُطْلِقَ ، ومات بدمشق وهو بطّال فى سنة ثلاث وستين . وكان أَخْذُ الفرنجِ مَدينة إسكندرية ، ومحاصرةُ الجرجى[1] قلعة خَرْتَ بِرْت[2] . ووقعةُ طَيْبُغَا[3] الطويل فى سنة سبع وستين وسبعمائة . وكانت وقعة يَلْبُغَا الخَاصْكِى[4] ومقتله . ووقعة أَسَنْدَمُر[5] الناصرى فى سنة ثمان وستين وسبعمائة . وكانت وقعة أُلْجِيَه[6] . وغرقه

---

(١) لعله يقصد جورجى الإدريسى نائب حلب ثم طرابلس .

انظر ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ١١ : ٢٧ ، ٣٤ .

(٢) خرت برت : اسم أرمنى للحصن المسمى بحصن زياد فى أقصى ديار بكر وبينه وبين ملطية مسيرة يومين .

ياقوت . معجم البلدان ٢ : ٤١٩ .

(٣) والواقعة : أنه ثقل على يلبغا العمرى ، فدبر لنحيّه صدر له تشريف بنيابة دمشق فامتنع وتحارب مع يلبغا فانتصر عليه يلبغا وقبض عليه وعلى أعوانه وسجنهم بالاسكندرية . ثم أفرج عنه وأخرج إلى القدس بطالا .

انظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١ : ٣٠ وما بعدها .

(٤) انظر قصته وخروج مماليكه عليه وانضمام السلطان لهم ثم قتل يلبغا بأيديهم فى المرجع السابق ، ١١ : ٣٥ وما بعدها .

(٥) انظر قصته فى المرجع السابق ١١ : ٤٢ وما بعدها .

(٦) هو ايجاى اليوسفى أتابك العساكر فى سلطنة الأشرف شعبان . وكان قد تزوج أم السلطان الأشرف . فلما ماتت اختلف معه على الميراث وتحارب مع السلطان ثم انهزم وتبعه أمراء السلطان فألقى بنفسه وفرسه فى النيل فغرق .

ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٧ وما بعدها .

بالنيل فى سنة خمس وسبعين . وكان رُكُوب أَيْنَبَك البَدْرِىّ على قَرَطَاى الشهابى . واستقرار سيف الدين برقوق أمير آخور[1] ، ثم استقر أتابك العساكر فى سنة تسع وسبعين وسبعمائة . وكان ركوب إينال اليُوسُفِى فى سنة إحدى وثمانين . وكانت وقعة زين الدين بركة وموته فى سجن إسكندرية ، وحضور الأمير أنس والد الملك الظاهر [برقوق][2] فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة .

(١) أمير آخور : وهو المشرف على اصطبل السلطان وخيوله . صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ١٨

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الفصل الثانى

فى استحقاقه من حيث الشجاعة والقوة

واعلم أن العلماء ذكروا أن الإمام الأعظم أو السلطان ينبغى بل يجب أن يكون من أهل الشجاعة والشهامة والصرامة ؛ وذلك [لإنه][1] إذا كان السلطان شجاعاً تخافه الملوك، وتهابه الجبابرة ، ولا يأمن منه الظلمة والمفسدون ، وينتظم به نظام الناس ، وتستقيم أحوالهم ، ويأمنون على أنفسهم وأموالهم ، وتكون البلاد آمنة والعِبَاد مطمئنة ؛ ألا ترى أن الله تعالى لم يبعث رسولا إلاَّ وهو أشجع أهل زمانه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرةَ شَهْر ؛ وذلك لأن الله تعالى ألقى هيبته فى قلوب الكفَّار ، فحيثما بلغ خبره ووصلت كُتُبُه أذعنوا له وذلُّوا ، ونَزَلَ عليهم الصَّغَارُ والهوان . إلا أنَّه صلى الله عليه وسلم لما بعثَ كُتُبَه ورسلَه إلى الملوك – وهم ثلاثة عشر [٤٠] تدعوهم إلى الإسلام ، بعث ستة نفر فى يوم واحد وهم : عبدُ الله ابن حُذَافَةَ إلى كِسْرى برويز بن هُرمز ، ودِحْيَةُ بن خليفة الكَلْبى إلى قَيْصَر ملك الروم ، وحاطِبُ بن أبى بَلْتَعَةْ إلى صاحب مِصر وهو المقُوْقِس جُرَيْج بن مَتّى ، وعمرُو بن أُمَيَّة الضَّمْرى

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

إلى النجاشي ملك الحبشة واسمه أَصْحَمَه ، وشجاعُ بن وهب الأَسدي إلى الحارث بن أبي شَمِّر الغسَّاني ملك البلقاء من أرض الشام ، وسَليطُ بن عمرو العامري إلى هَوْذَةَ بن عليّ[1] ملك اليمامة ، والعَلاَءُ بن الحَضْرَمِيّ إلى المنذر بن ساوَى العبدي ملك البَحْرَيْن من قبل الفرس ، والمهاجرُ بن أبي أُمَيَّة المخزوميّ إلى الحارث بن عبد كُلاَل الحِمْيَرِيّ ملك اليمن ، ومعاذُ بن جَبَلَة إلى اليمن ، والحارث بن عمير إلى ملك بُصرى ، وجَريرُ بن عبد الله البَجَلي إلى ذى الكُلاع وذى عمرو ، والسائِب بن العوّام أخو الزُّبَير إلى فروة بن عمرو الجذاميّ ، وكان عاملاً لقيصر بمعان[2] ، وعيَّاشُ بن أبي ربيعة المخزومي إلى الحارث وفُرُوح ونعيم بَنِي عبدِ كُلال من حمير .

أمَّا كسرى فمزَّق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يكاتبني بهذا وهو عبدي ؟ ولما بلغه عليه السلام ذلك قال : مزَّق الله ملكه ، وكان كذلك ، وأُسلِبَ المُلْكُ منهم فى خلافة عثمان من يد آخر ملوكهم يزدجرد بن شهريار ، وكان لأَسلافه فى الملك ثلاث آلاف سنة ومائة وأربع وستون سنة ، وكان أول ملوكهم جيومرث بن أُميم من لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام .

وأما قيصر فإنه أكرم دحية ، ووضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذه ، وسأله عن النبي عليه السلام ،

---

(١) فى السيرة لابن هشام ٤ : ٢٥٤ « وسليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنيفيين ملكى اليمامة » .

(٢) معان : مدينة فى طرف بادية الشام – الأردن حالياً – تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء . ياقوت . معجم البلدان ٤ : ٥٧١ ط : ليزج .

وثبت عنده صحة نبوته ، فهمّ بالإسلام ، فلم يوافقه الرُّوم ، فخافهم على ملكه ، فأمسك وردّ دحية ردًا جميلا .

وأما مُقوقس فإنه قَبِّل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكرم حَاطِبًا وأَحْسَنَ نُزُلَه ، وأهدى إلى النبي عليه السلام معه أربع جوار ، إحداهُنَّ ماريَة أم سيدى إبراهيم ، والأُخرى شِيرِين التى وهبها لحسَّان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن ابن حسَّان ، وفرسًا يقال له اللِّزَاز[1] وحمارًا يقال له يَعْفُور ، وبغلة بيضاء تدعى دُلْدُل ، وقباء ، وألف مثقال ذهبًا ، وعشرين ثوبًا من قُبَاطى مصر ، وقدحًا من زجاج ، وربعة[2] إسكندرانية ، فيها مرآة تسمى المدلة[3] ، ومُشط عاج وقيل ذَبْل[4] ، وقيل من ظهر السلحفاة البحرية ، ومقراضا[5] يسمى الجامع ، وعسلاً من عسل بنها — فأعجب النبى عليه السلام ، ودعا فيه بالبركة ، وخفين أسودين سَاذَجَيْن[6] ، وخصيًا يدعى مَأْبُور ، وقال صلى الله عليه وسلم : ظَنَّ الخَبِيثُ أَنْ يَدُومَ له مُلْكُهُ ولا بقاء لملكه .

وأما النجاشىّ فإنه أخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) اللزاز : المجتمع الخلق ، أو من لز به إذا التزق به كأنه يلتزق بالمطلوب .
النويرى — نهاية الأرب ١٨ : ٢٩٩ .

(٢) الربعة : إناء مربع كجونة العطار وهى من جلد يجعل فيه الطيب أو أدوات الزينة .
المرجع السابق ١٨ : ٢٩٤ .

(٣) المدلة : لم يتيسر توضيح هذه المرآة وتسميتها بالمدلة من المراجع التى تحت يد المحقق .

(٤) الذبل بفتح المعجمة وسكون المُوَحّدة : شيء كالعاج ، ظهر السلحفاة البرية وقيل البحرية . تجعل منه الأمشاط . لسان العرب ١٣ : ٢٧٢ ط بولاق ، شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ٣ : ٤٥٨

(٥) المقراض : المراد به المقص .

(٦) أى غير منقوشين ، أو لا شعر عليهما ، أو على لون واحد لا يخالط سوادهما لون آخر .
النويرى — نهاية الأرب ١٨ : ٢٩٢ .

ووضعه على عينيه ، ونزل عن سريره وجلس على الأرض ، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب ، وحسن إسلامُه ، ولما مات صلى عليه النبي عليه السلام [1] .

وأما الحارث الغسانى فإنه لما قرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رَمى به وقال : ها أنا سائرٌ إليه . فلما بلغَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بَادَ مُلْكُه .

وأما هَوْذَة بن علىّ فإنه كتَبَ إلى النبىِّ عليه السلام : ما أحسن ما تدعو إليه ، ولكن إن جعلتَ لى بعضَ الأمرِ ، وإلا قصدتُ حَرْبَك . فقال النبى عليه السلام : لا ولا كَرَامة . وقال : اللهم اكْفِنِيه ، فمات .

وأما المُنْذِر بن ساوَى فإنه أسلم وصدق ، وأسلم جميع العرب بالبَحْرَيْن ، وكذلك عامّةُ أهل اليمن أسلموا .

وأما ملك بُصرى فإنه سلّط على رُسُولِ[2] رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم من قتله ، ولم يُقْتَل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسولٌ غيرُه .

وأما قروة بن عمرو فإنه أسلم ، وكتب إلى النبى عليه السلام بإسلامه ، وبَعَثَ إليه هديّة مع مسعود بن سعد ؛ وهى بغلة شهبَاءُ يقال لها : فِضّة ، وفرس يقال له : الظّرِبُ[3]

---

(١) المقصود بذلك صلاة الغائب .

(٢) يعنى على الحارث بن عمير .

(٣) الظرب : الجبيل ، سمى بذلك لقوته وصلابة حافره .
النويرى - نهاية الأرب ١٨ : ٢٩٩ .

وقباء سندسى مُخَوَّص بالذهب ، فقبل عليه السلامُ هديَّتَه . وأجاز مسعودًا رضى الله عنه اثنتى عشرة أُوقية .

وكذلك الخلفاء الأربعة كانوا شجعانا وفرسانا مشهورين ، لا يُشَكُّ فى ذلك . ألا ترى أن أبا بكر رضى الله عنه أظهر الشجاعة يوم تَصَدِّيهِ لقتال أهل الرِّدة من الأعراب حتى إنه ركب فى الجيوش الإسلامية شاهرا سيفه مسلُولاً من المدينة ، وعليٌّ رضى الله عنه يقود براحلته ، وأمَّر فى ذلك اليوم أحد عشر من الشُّجعان الأبطال ، وعَقَدَ لهم الألْوِيَة ، وهم : سيف الله خالد بن الوليد ، وعِكْرِمة بن أبى جهل ، وشُرحْبيل بن حَسنة ، ومُهَاجِر بن أبى أُميَّة ، وخالد بن سعيد بن العَاص ، وعَمْرو ابن العاص ، وحُذَيفة بن مِحْصَن ، وطريفة بن حاجز ، وسُوَيْدُ بن مُقَرِّن ، والعلاء بن الحَضْرَمِىّ ، وكان سيِّدُ الأُمراء ورأس الشجعان الصناديد أبا سليمان خالد بن الوليد ، الذى لم يقهر فى جاهلية ولا إسلام .

وروى الإمام أحمد بن [حنبل][1] من طريق وَحْشِى [بن حرب][2] : أن أبا بكر الصديق – رضى الله عنه – لما عهد لخالد بن الوليد على قتال أهل الرِّدة قال : سَمِعْتُ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – يقول : نِعْمَ عبدُ اللَّهِ وأخو العَشِيرَةِ خالدُ بن الوليد ، وسيفٌ من سيوف الله ، سَلَّهُ الله

(١) ما بين الحاصرتين ساقط فى الأصل .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة عن سير أعلام النبلاء للذهبى ١ : ٢٦٧ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٧ : ١١٣ .

على الكُفَّار[١] والمنافقين ، وكيف لا وله مواقف مشهورة ، وحروب عظيمة ببلاد العراق والشام ، ولا سيما فى وقائع يَرْمُوك ومرج الديباج[٢] ، ووقعة قِنَّسْرِين[٣] ، وأنطاكية وغيرها . وقد روى الوَاقِدِى عن عبد الرحمن بن أبى الزياد عن أبيه قال : لما حَضَرَتْ خَالِدًا الوفاةُ ، بَكَى ثم قال : لقد حَضَرْتُ كذا وكذا زَحْفًا ، وما فى جَسدِى شِبْرٌ إلَّا وفيه ضربةٌ بِسَيْفٍ أَوْ طَعْنَةٌ برمح ، وها أنا أموت على فراشى حتف أَنْفِى كما يَمُوتُ البعير ، فلا نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاء .

وقد ظهر هذا الدِّينُ الحقُّ على سائر الأديان الباطلة ، وعَلَتْ رايةُ الإسلام على رَايَةِ الكُفْرِ والضَّلاَل بالخُلَفَاء الشُّجعَان ، والسلاطين الأبطال .

منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى أعزَّ اللهُ الإسلام به ، وفُتِحَت بلاد الشام والعراق ومصر فى أيامه ، ومن شجاعته كان الشيطانُ يَفرُّ منه . وفى الحديث قال له النبى صلى الله عليه وسلم : واللهِ ما سَلكْتَ فَجًا قَطُّ إلا [٤١] سلَكَ الشيطانُ فجًا خلاف فَجِّك .

ومنهم أسدُ الله حمزةُ بن عبد المطَّلب عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن هشام : وَقَفَ النبيُّ صلى الله

---

(١) ورد هذا الحديث فى الإصابة لابن حجر ٢ : ٩٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ١ : ٤٥ ؛ عن طريق وحشى بن حرب بن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده وحشى بن حرب .

(٢) مرج الديباج : واد عجيب المنظر نزه بين الجبال على عشرة أميال من المصيصة . ياقوت : معجم البلدان ٤ : ٨٨ ط ليزج .

(٣) انظر هامش ص ١٣٤ .

عليه وسلم على حمزةَ وهو مقتولٌ يوم أُحُد قال : لن أُصَابَ بمثلك أبدا ، ثم قال : جاءنى جبريل عليه السلام فأخبرنى أنَّ حمزةَ مكتوبٌ فى أهل السَّمَوَات السبع حمزة ابن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله .

ومنهم عَلِىٌّ بن أبى طالب الذى له اليَدُ البيضاءُ يومَ بدر ، بَارَزَ الأَبطال فَقَهَرَ وَغَلَب ، وعَن ابن عباس رضى الله عنهما قال : دَفعَ النبىّ عليه السلام الرايةَ إلى عَلِىٍّ يوم بدر وهو ابن عشرين سنة . وعن أبى جعفر محمد بن على قال : نادى مناد فى السماء يوم بدر : لاسيف إلا ذو العقاد ، ولافتى إلا على . وعن أبى هُرَيْرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدا رجلاً يُحِبُّ الله ورسولَه ، يفتحُ الله عليه » فدعا عَلِيًّا فبعثه ففتح عليه . رواه مسلم ، وكان ذلك يوم خَيْبَر . ومن غاية شجاعته ذَكَرَ جماعةٌ من القُصَّاص : أنه قاتل الجِنَّ فى بئر ذات العلم ـ قريبة من الجحْفة .

ومن الخلفاء الشجعان الوليد بن عبد الملك ، فإنه غزا غزوات فى بلاد مَلَطْيَة وغيرها ، وفتح فتوحات عظيمة ، فُتِحَتْ الأَندلس والهند والسند فى أيامه ، وهو أوَّل من اتَّخذ المارستان ، ودار الضيافة ، ووَسَّع مسجد النبىّ عليه السلام ، وبَنَى الأَميال[1] فى الطرقات ، وصفَّحَ باب الكعبة والميزاب

(١) الأميال هنا علامات المسافات فى الطرقات .

بثلاثين ألف مثقال من الذهب ، وهو الذى عقدَ القبة على صخرة بيت المقدس ، وبنى جامع دمشق ، وأنفق عليه أربعمائة صندوق ؛ فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار . قال ابن كثير : فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الأموى ألفَ ألفِ دينار ومائتى ألف دينار .

ومنهم أبو جعفر المنصور ، قعد فى الخلافة ثنتين وعشرين سنة ، وكان شجاعًا حازِمَ الرأى قد عَرَكَتْهُ الأيامُ ، كان يخطب بالسواد كله[1] لأجلِ الحُرُوب ، ويقال إنه كان تَعَهَّدَ بيْتَهُ بألف مثقال مسك فى الشهر ، وهو الذى قتل أبا مُسْلم الخُرَاسانى ، واسمه عبد الرحمن بن مسلم صاحب الدَّوْلَة العباسِيَّة ، كان من الشجعان الفاتكين . ذكر ابن جَرِير أنه قتل فى حروبه ، وما كان يتعاطاه ستمائة ألف صَبْرًا ، وكان مقتَلُهُ فى سنة سبع وثلاثين ومائة .

ومن الشجعان المشهورين من السلاطين الملك صلاح الدين يوسف [بن أيوب][2] صاحب الفتوحات الكثيرة ، منها القدس المطهرة . والسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الغزوات مع الفرنج . ومن سلاطين التُّرك السلطان الملك المظفر قُطُز الذى كسر عسكر هُلاَوُن على عين جَالوت[3] ،

(١) هذا اللفظ وارد بهامش اللوحة .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) عين جالوت : بلدة بين بيسان ونابلس .
ياقوت ـ معجم البلدان ٣ : ٧٦٠ .

وهم يزيدون على مائة وعشرين ألفا ، ومعه مقدار أربعة آلاف نفس .

ومنهم السلطان الملك الظاهر بِيبَرْس صاحب الفتوحات والغزوات ، الذى قتل ألوفا من الفرنج وكسر التتر فى صحراء أَبْلُسْتين .

ومنهم سيدنا ومولانا السلطان المؤيد ، صاحب الشجاعة المشهورة ، التى اعترف بها كل قريب وقاص ، وكل مطيع وعاص ، وله مواقف مشهورة مع التُّرك والتُّرْكُمان والكُرْد والعُرْبَان ، والإفرنج وعبدة الصُّلْبَان ، وله غزوتان مشهورتان ، إحداهما وهو أمير لطَرَابلُس ، والأُخرى على صَيْدَا وبيروت وهو نائب بالشام ، ولقد أخبرنى - أَيَّدَه اللّه - أنه كان على مدينة بَعْلَبَكّ ، وبلغه الخبرُ بذلك ، فركب فى الساعة الراهنة ، فوصل إلى صَيْدَا وبيروت فى ليلة ، وقاتل الفرنج بعد أن دخلوا فى بلاد صَيْدا وبيروت ، وعاثوا فيها بالفساد ، فكسرهم كسرًا شنيعا ، وقتل منهم سبعين نفسا ، ولقد أخبرنى جماعة من الأُمراء والأجناد الثقات : أنَّهم شاهدوا مولانا السلطان الملك المؤيَّد فى الحروب وهو كالطود الثابت ، والجبل الراسخ ، لايتحرك من موضع الحرب ولا ينزعج لذلك ، وربَّما شاهدوه والسِّهام تنزل عليه وعلى جوانبه مثل المطر وهو لايلتفت لذلك ، بل يُحَرِّض الناس على القتال ويُغْرِيهِم ، فلذلك كان منصورًا فى حركاته ، سعيدا فى سكناته .

الفَصْلُ الثَالِثُ

فى استحقاقه من حيث الفروسية ومعرفة أنداب الحرب ونحوها

اعلم أنَّ الفروسية أمر عظيم فى الشجعان والأبطال ولا سيما فى الملوك والسلاطين ، فالسلطان إذا كان فارسًا عالما بأنداب[1] الحرب بصيرا بحيلها ، لايزال أمره غالبا ، وصيته بعيدًا فى البلاد ، ويكون أميرًا لجنده وعساكره ، فارقًا بين فارسه وغير فارسه ، فيُقَدِّم من يستحق التقديم من الفرسان ، ويؤخر من يستحق التأخير من غيرهم ، وبه ينتظم حال عسكره ، ويستقيم أمر جنده ، ولا سيما عند الحروب ، وتسوية الصفوف . وإذا كان السلطان غير فارس ، فلا يعرفُ الفارِسَ من غيره ، فيختَلُّ به نظامُ عَسْكَرِه ، ويكون فسادُه أكثرَ من صلاحه . فمولانا السلطان فارسٌ مشهور لا يُدَافع ، وصنديد مذكور لا يُمَانع ، عالم بأنداب الحرب وَحِيَلِهَا ، بصير بأنواع رجلها وخيلها ، فلا جرم كان سَعْيُهُ مشكورا وأَمْرُه مشهورا .

(١) الأنداب : جمع ندب ، وندب النشاب نوع من اللعب به . يقال لعب أندابا فى الميدان ، وأظهر أندابا غريبة فى الحرب . والمقصود فنون الحرب .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ٣١٢ .

ثم الفروسيّة على أنواع كثيرة ، وأعظمها وأقواها شيئان : أحدهما معرفةُ اللّعب بالرّمح ، والآخر معرفة الرّمْى بالسّهام ، وهما ثابتان بالحديث ، قال صلى الله عليه وسلم : «عليكم بالقناة والقِسىّ ؛ فإن الله يُمَكّنُكُمْ بهما فى البلاد والعباد» أو كلاما هذا معناه .

وقد ذكر الله تعالى الرماح فى كتابه العزيز بقوله «ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَىْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ» [1] .

وأنداب اللعب بالرمح كثيرة ، ومن جملتها ندب يشتمل على اثنَى عشرة منزلة ، وهى : أَوّل المنازل [2] . والترتيب ، والفتح ، والكشف ، والمقصّ ، والكُلّاب البرانى ، والكُلّاب الجوانى ، والكُلّاب المَيْمَنَةُ ، والكُلاب المَيْسَرَةُ ، والسلسلة ، والسيَسّرة الطويلة ، وحفظ الفارس .

وأصل اللعب بالرمح من العرب . وقيل أول من أخرج الرمح ومسكه إسماعيل عليه السلام . وقيل إنما تعلّم من جُرهم حين تزوّج منهم امرأة ، ثم تداولته الناس إلى يومنا هذا . ولكن أندابه حدثت فى زمن التُّرك لاسيما [٤٢] فى دولة الملك الناصر حسن إلى دولة الظاهر بَرْقُوق .

وأما أصل الرّمْى بالسّهام فقد أنزل الله تعالى على آدم قوساً من شجر الجنة ، ثم تداولته أولادُه ؛ وقيل أول من

---

(١) الآية رقم ٩٤ من سورة المائدة .

(٢) كذا فى الأصل : وقد يكون فى العبارة سقط بعد لفظ هى — ولم يتيسر إثباته ولو ترجيحاً .

رمى به إسماعيل عليه السلام ، ثم اختلفوا فقيل نزل به جبريلُ عليه السلام وعلَّمه الرمى ، وقيل أُلْهِمَ بذلك فأخذ غُصْنًا من دَوْحَةٍ وجعله قوسًا ، ثم أخذ غُصْنًا آخرَ واتخذه نَبْلاً ، ثم تداولته أولادُه ، وقيل هذا أصل القوس العربى . وأما القوس العجمى فقد ظهر فى أيام طَهْمُورَث بن أوشهنج .
وأمَّا أوّل من رمى فى سبيل الله فى الإسلام فهو سعدُ بن أبى وقَّاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ــ رضىَ الله عنهم .

وأما أُصول الرمى فَسَبْعَةُ أشياء وهى[1] : الانتصاب ، والتَّفْوِيق ، والقَفْل ، والقَبْضَة ، والاعتماد ، والإفلات ، والفتحة ، بالشمال. ونهايته ثلاثة أشياء : السرعة بالسَّداد ، والاستيفاء بالاستواء والاستتار بالدَّرَقة[2] . ثم بعد ذلك يحتاج إلى معرفة الإيتار ، وهو على عشرة أوجه ، ومعرفة الوقوف ، وهو على ثلاثة أوجه : الانحراف الشديد وهو مذهب بهرام جور ، وبين التحريف والتربيع وهو مذهب إسحاق الرَّفا ، والتربيع وهو مذهب ظاهر البلخى ، ويحتاج إلى معرفة الجلوس أيضا ، وإلى معرفة أخذ السِّهام ، والقَبْض[3] ، والعُقُود[4] ،

---

(١) انظر كتاب الفروسية لابن القيم إمام الجوزية ١٠٦ وما بعدها .
(٢) الدرقة : الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب ، والجمع درق وأدراق ودراق .
لسان العرب ــ ط بيروت ١٠ : ٩٥ .
(٣) القبض : لفظ اصطلاحى معناه القبض على القوس بأصابع اليد اليسرى .
انظر كتاب الفروسية لابن القيم إمام الجوزية ص ١١٨ .
(٤) العقود : لفظ اصطلاحى معناه العقد على الوتر بأصابع اليد اليمنى عند الرمى بالقوس والنشاب .
المرجع السابق ص ١١٨ .

والمدّ [1] ، والإطلاق ، وتحريك السهم ، والعُيوب المحدثة من ذلك ، ومعرفة أوزان القِسِيّ والسّهام ، فالقوس العربى بحيث أن يكون طولها ستة أشبار ونصف شبر بشبر الرامى لها ، وأقواها ما بلغ جرُّه مائةً وعشرين رطلا . وأما زِنَةُ السّهم ، فإن كان جرّ القوس مائة رطل فيكون السهم عشرة دراهم بغير نَصل ، وعلى هذا فقِس ، وأما زنة النّصل فيجب أن تكون عُشْر زِنَةِ السّهم . وأما وزن القُذَذِ فيجب أن يكون وزن ثلث النّصل . وأما الوَتَر فيجب أن يكون نصف وزن السّهم ، وها هنا أُمور كثيرة ليس هذا الكتاب موضعها .

ومن أنواع آلات الحرب السيف ، وأول من قاتل بالسيف إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه .

لكن أفضل آلات الحروب الرّمْى بالسهام . وعن عُقْبَة بن عامر رضى الله عنه يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر : «وأَعِدُّوا لَهَمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ » [2] ألاَ إنَّ القوةَ الرَّمْىُ ـ قالها ثلاثا ـ وعن سعد بن أبى وقّاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : عليكم بالرَّمْى فإنه من خَيْرِ لعَبِكُم . وعن أبى هريرة قال : خَرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم من أَسْلَم يرمون فقال : ارْمُوا بنى إسماعيل فإن أباكُم كان رامياً . وعن عُقْبَة ابن عامر

(1) المد : ويراد به مد السبابة .
وانظر المرجع السابق ص ١١٨ .
(2) الآية رقم ٦٠ من سورة الأنفال .

الجُهَنِيّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يُدْخِلُ بالسَّهْم الوَاحِدِ الجنَّةَ ثلاثَةَ نَفَرٍ : صانعَه – يَحْتَسِبُ فى صَنْعَتِهِ الخَيْرَ – ، والرَّامِيَ بِهِ ، ومُنْبِلَهُ ، وارْمُوا وارْكَبُوا ، وإن تَرْمُوا أَحَبّ إلىَّ من أَنْ تَرْكَبُوا . وعن أبى رافع مولى النبيّ صلى الله عليه وسلم : حق الوَلَدِ عَلَى الوَالِدِ أَنْ يُعَلِّمَه كتابَ اللَّهِ ، والسِّبَاحة ، والرَّمْىَ . وعن أبى هريرة رضى اللَّهُ عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من ترك الرَّمْىَ بعد أن علمهُ فَهِى نِعْمَةٌ جَحَدَ بها . وعن عُقْبَة بن عامر عن النبى عليه السلام أنَّه قال : من تعلم الرَّمى ثم تركه فقد عَصَانِى .

فمولانا السُّلْطَانُ الملِكُ المؤَيَّدُ إنْ ذَكَرْتَ الرُّمَاة فهو أحسنهم ، وإن ذكرتَ الرمَّاحين فهو أَجْمَلُهم ، وإن ذكرت السيَّافين فهو أقواهم وأعدَلُهم ، وكيف لا وهو أبو عُذْرِها ، وقد أذاق الناس من حُلْوها ومُرِّها ، وبرهانُ ذلك ما صَدَر عنه فى وقائعه المشهورة ، وما ظهر منه فى حروبه المذكورة ، فلاجرم كانت صِفَتُه هذه إحدى الأَسباب لاستحقاقه السَّلطنة ، مدَّ اللهُ سلطنته وأَدَام نعمته .

الفصل الرابع

في استحقاقه من حيث حسن الصورة والقامة والبسطة في الجسم

اعلم أن صاحبَ الوجه الجميلِ مقبولٌ بين الناس ، محبوب فى القلوب ، يميل إليه كل أحد ، ويقصد إليه فى كل حاجة ، ولهذا ورد الحديث : اطلبوا الخيْرَ عند الوجوه الحسان . والمرءُ إذا كان قبيحا كريه المنظر يكون مُزْدَرًى بين الناس ، ولا تشتهى العيون تنظر إليه [لا] سيَّما[1] الملكُ الذى يريد كل أحد أن ينظر إليه ، فإذا كان رضىَّ الوجهِ أحبَّهُ كلُّ من يراه . ألاَ ترى أنَّ يُوسُفَ ـ عليه السلام ـ أحبّه أهلُ مِصر حين شاهدوا جمالَه ، وكان يوسف عليه السلام لم يزل مُلَثَّمًا حتى لايَفْتَتِنَ به مَنْ ينظر إليه . ويُحكى أنه لما وقع الغلاءُ بأرض مصر باعت النَّاسُ أموالهم ، وأولادَهم وأنفسَهُم من يوسف ـ عليه السلام ـ حتى صاروا عبيدًا ، وكان يَخْرُجُ فى كل ثلاثة أيام إلى مجامع الناس ، ويكشف اللِّثام عن وجهه ، فكل من كان يراه يشبع ويُمْسِك عن الطَّعام ثلاثة أيام ، وكان إذا مشى فى أزقَّة مصر يُرَى تلألُؤ وجهه على الجُدْرَان ، كما يُرَى نُورُ الشمس عليها ، وكان إذا ابتسم

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

رأيت النُّورَ فى ضواحكه . وإذا تكلم رأيت فى كلامه شعاعَ النُّور يَنْبَهِرُ عن ثناياه ، وقيل إنه وَرِثَ الحسنَ من جدّهِ إسحٰق ، وكان منْ أحسن الناس ، وإسحٰق هو الضاحِكُ بالعِبْرَانية ، وإسحاق وَرِثَ الحسنَ من أُمّه سارة ، فإنَّ الله صوَّرها على صورة الحُورِ العِين ، ولكن لم يعطها صفاءهُن ، وأعطى اللهُ يوسفَ من الحسن ، وصفاء اللّون ، ونقاء البشرة ما لم يُعْطِهَا أحدا ، إنْ كان لَيَأْكُلُ البقولَ والفواكِهَ الخُضْرَ فتُرَى حين يَزْدَرِدُهَا فى حلقه وصدره حتى تصل إلى صدره ، وقال وَهْبٌ : الحسنُ عشرةُ أجزاء ، تسعةُ أجزاء ليوسف وواحدٌ بين الناس .

ولما سَمِعَتْ زُلَيْخَا بحديث النساء فى حقها اتَّخَذَت مأدبةً فَدَعَت أربعين امرأة منهنَّ ، وأعدَّت لهنَّ تُرُنْجًا [1] وبطيخا وموزا ، وأعطت كل واحدة منهنَّ سكِّينا ، وقالت ليوسف : اخرج عليهن ــ وكان فى مجلس آخر ــ فخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وقطعن أيديهن [٤٣] بالسكاكين التى معهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترجَّ . قال قتادة : أَبَنَّ أيديهن حتى أَلْقَيْنَهَا ، وقال وهب : وبلغنى أن تسعًا من الأربعين مُتْنَ فى ذلك المجلس وجدًا بيوسف ، وقُلْنَ حَاشَى لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ .

وكذلك الملك ينبغى أن يكون له بسطة فى الجسم ؛

---

(١) الترنج : ثمر من جنس الليمون يستعمل فى صنع الحلوى ، ويزرع شجره على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، ويقال له أيضاً الأترج ، والعامة تسمية « الكباد » . المنجد ٦١ »

لأنه إذا كان جسيماً وصاحب قامة يملأ العين جِهادُه ؛ لأنه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب . ألا ترى أن الله تعالى كيف مدح طالوت فى كتابه الكريم بقوله : « إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فى العِلْمِ (بالحرب) وَالْجِسْمِ »[1] يعنى بالطول والقوة ، وكان يفوق الناس برأسه ومنكبه ، ولذلك سمى طالوت لطوله ، وكان أجمل بنى إسرائيل وأعلمهم .

ومولانا السلطان الملك المؤيد قد حاز هاتين الصفتين ، وهما حسن الصورة وبسطة الجسم ، والشاهد لذلك أنك لاترى أحدًا فى الدولة أضوأ صورة منه ، وصدق الشاعر فى قوله :

رأيت الهلال على وجهِهِ فَلَمْ أَدْرِ أَيُّهما أَنْوَرُ
سوى أن هذا قريب المزا ر وهذا بعيدٌ لِمَنْ يَنْظُر
وذاك يغيب وذا حاضر وما مَنْ يَغِيبُ كَمَنْ يَحْضُر

وقال الآخر ، وقد صدق فى قوله :

أُقسِمُ باللّهِ وآياتِهِ ما نَظَرْتُ عَيْنِى إلى مِثْلِهِ
ولا بَدَا لِى وَجْهُهُ طالعًا إلّا سألتُ اللّهَ من فَضْلِهِ

وقد قال آخر وأحسن فيه :

نظرت إلى مَنْ زَيَّنَ اللّهُ وجهَهَ فيانظرة كادت على عاشق تَقضى
فَكَبَّرتُ عَشْرًا ثم قُلْتُ لصاحبى متى نزل البدْرُ المنيرُ إلى الأرض؟

---

(1) الآية رقم ٢٤٧ من سورة البقرة ، ما عدا كلمة بالحرب ولذلك وضعت بين حاصرتين بمثابة التفسير.

وكذلك لانرى فى الملوك أحسن قامةً منه ، ولا أملأَ للعيون منه ، وهو ظاهر لايدفع وجلىٌّ لايُقَنَّع . ولقد قال الشاعر فيه وأحسن : —

مُعْتَدِلٌ مِن كُلِّ أعْطَافِهِ   مُسْتَحْسَنُ القامَةِ والمُلْتَفَت
لَوْ قِيسَت الدُّنْيا ولَذَّاتها   بساعة مِنْ وَصْله ما وَفَت   ٥

الفصلُ الخامِسُ

في استحقاقه من حيث المعرفة بأحوال الرعيّة من العرب والعجم والترك والتركمان وأهل البلاد والأديان

ولاشك أن السلطان إذا كان عالما بأحوال رعيته ، خبيراً بأُمورهم ، يحصل لهم رفقٌ عظيم وخير جسيم ؛ وذلك لأن الملوك قلّما يَسْلَمُون من البَطائِن السوء والسُّعَاةِ والوُشَاةِ ، فإذا كان الملك خبيرا بأحوال رعيّتِهِ ، لايُؤثّرُ كلامُ هؤلاء فيهم عنده ، ولا يمشى حالهم . فيحصل بذلك سلامة المَلِك عن الوقوع فى المحْذُور ، وسلامة الرعية من الوقوع فى المكروه . وإذا كان الملك جاهلاً بأحوال رعيته ، غير خبير بأُمورهم ، يتمكّنُ منه حينئذ سعاةٌ ووشاةٌ ، يُدَلّسُون عليه أُموراً يحصل منها فسادٌ كبيرٌ فى الرعية .

فمولانا السلطان الملك المؤيّد عارفٌ بأَحوال رعيته ، خبيرٌ بأُمورهم ، لايخفى عليه من حالهم شىءٌ ؛ فلذلك انْقَطَعَت آمالُ السُّعاةِ والوُشاة ، وأَمِنَت الناسُ فى أوطانهم على أَنفسهم وأموالهم ، والشاهدُ على معرفتِهِ بأَحوال الرعيّة من الطوائف المذكورة كثرةُ تِرْدَادِهِ فى البلاد المصريّة والشاميّة

والحلبيّة ، ومعاشرته لأهلها ، واختلاطه بهم ، ووقوفه على أحوالهم ظاهرًا وباطنا .

أما معرفتهُ بأحوال بلاد مصر ، فإنه سافر إلى جهة الصّعيد وغيرها فى أيام أستاذه الملك الظاهر برقوق [و][1] فى أول دولة الناصر أيضا ؛ فلذلك لم يحضر وقعة الأمير أيْتَمُش ،[2] وكانت يوم الأحد التاسع من ربيع الأول من سنة اثنيتين وثمانمائة ، وكان أيْتَمُش قد انكسر وهرب إلى الشام ، ومعه خمسة من المقدمين الألوف وهم : تَغْرِى بِرْدى البُشْبُغاوىّ[3] أمير سلاح ، وأرغُن شاه البَيْدَمُرِىّ[4] أمير مجلس ، و[سيف الدين][5] فارس حاجب الحجاب ، ويعقوب شاه[6] الحاجب الثانى . ومن الطبلخانات تسعة ، ومن العشرينات ستة ، ومن العشرات خمسة عشر ، وكان النائب بدمشق إذ ذاك تَنَم الحَسَنِىّ[7] وبحلب آقْبُغَا الجمالى ، وبحماة دَمِرْدَاش

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٢) ويذكر ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة أن شيخاً المحمودى كان مع المماليك السلطانية ضد إيتمش - خلافاً لما هنا .

انظر النجوم الزاهرة ١٢ : ١٨٧ وما بعدها وخطط على مبارك ١ : ٤٧

(٣) هذا هو والد المؤرخ أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة .

(٤) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه البيدمرى ثم الظاهرى - قتل بقلعة دمشق فى ١٤ شعبان سنة ٨٠٢ هـ . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١١٤ ط كاليفورنيا .

(٥) أضيف ما بين الحاصرتين من المرجع السابق ٦ : ١١٤ ط كاليفورنيا .

(٦) هو الأمير سيف الدين يعقوب شاه الظاهرى . كان من خواص الظاهر برقوق وقتل أيضاً فى ١٤ شعبان سنة ٨٠٢ هـ .

المرجع السابق ٦ : ١٤٧ ط كاليفورنيا .

(٧) هو تنبك الحسنى الظاهرى . المعروف بتنم الظاهرى وقد خرج على الناصر فرج ، وانضم =

[المحمدى][1] ، وبطرابُلُس يونس بَلْطا[2] ، وبِصَفَد أَلْطُنْبُغا العثمانى ، وبغَزَّة قَرْقَمَاس .

وأما معرفته ببلاد الشام فإنها كانت وطنه لكثرة أحكامه فيها ، ومعرفته بسهلها وحزنها ، وقراها ومدنها ، وخاصتها وعامتها ، وتُرْكِها وتركمانها وكردها ، وعربها وعجمها .

وأما معرفته بالبلاد الحَلَبِيَّة فإنها كانت دار حكمه ، يعرف مدنَها وقراها ، والتراكمين المقيمين بها طائفة طائفة ، وبيتا بيتا ، وغير ذلك من البلاد حتى بلاد أطراف الرّوم ، والبلاد القراتية ، وبلاد الحجاز أيضا ؛ لأنه سافر إلى مكّة المشرفة وهو أمير للحجاج فى أيام أستاذه الملك الظاهر بَرْقُوق ، فى السنة التى توفى فيها بَرْقُوق ، وهى سنة إحدى وثمانمائة ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة ، وكان السلطان الظاهر قد عيّنه للسفر بالحجيج ، وخلع عليه بذلك قبل موته ، واستمرّ عليه إلى أن سافر — وهو إذ ذاك أمير طبلخانه ، ورأس نوبة — وكان أميرُ الرَّكْب الأول بَهَادُر الطَّوَاشى مقدم المماليك السلطانية .

= إليه الأمراء ، فلما انهزم قبض عليه وسجن بقلعة دمشق وعوقب على المال ثم خنق فى ٤ رمضان ٨٠٢ هـ .

المرجع السابق ٦ : ١٤٦ ط كاليفورنيا .

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٩ ط كاليفورنيا

(٢) هو الأمير يونس الظاهرى المعروف ببلطا . قتل بقلعة دمشق مع تم — وهذا الاسم مضبوط فى النجوم الزاهرة . بضم الباء وسكون اللام — وبفتح الباء وسكون اللام . وبفتح الباء واللام . انظر مواضعه بالمرجع المذكور ج ١٢ ط دار الكتب و ٦ ط كاليفورنيا .

الفَصلُ السَّادِسُ

فى استحقاقه من حيث المعرفة والذوق من أمور الشرع والسياسة وتقدم الحكم له

أما معرفته فإن أحدًا لا يشكُّ أن معرفته تامّة ، وأنه عارف بالأُمور الدِّينيّة والدُّنْيَوِيّة ، وأن عنده ذوقا من أُمور الشرع ٥ والانقياد إليه ، حتى إنه إذا تقدّمت عنده دعوى وطلب أحدُ المتخاصمين الشَّرْعَ أمَرَه بالذهاب إليه وهو مُنْشَرِحٌ لذلك ؛ وذلك لمحبته فى الشرع وذَوْقِهِ مِنْه ، وكثيرٌ من الملوك والحكّام إذا طلب منهم الشرع يَنْحَرِف ؛ لِذَلك عُدِمَ ذَوْقُه من أُمورِ الشَّرع ، ومولانا السلطان المؤيّد ناصرٌ للشرع ومحبٌ له ، ١٠ وهذا كلُّه من آثار العدل .

وأما تقدم الحكم له فإنه قد حكم فى البلاد الشاميّة والطرابُلسيّة والحلبيّة ، وأول توليته مدينة طرابُلس فى سنة اثنتين وثمانمائة ، وذلك لَمَّا دخل السّلطان الملك الناصر دمشق بعساكره بعد كَسْرِهِم تَنَم والعساكرَ الشاميّة على ١٥ بيلدراس [1] بين غزة والرملة ولّى نُوّابًا على القلاع الشامية ،

(١) فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٠٦ ، وبدائع الزهور لابن إياس ١ : ٣٢٣ : على مكان يسمى « الجيتين » مثنى جيت ، وهى قرية قرب غزة .

.. ياقوت – معجم البلدان ٥ : ١٨ .

فولى سيدى سُودُون[1] [٤٤] نائبا بالشام [عوضا][2] عن تَنَم الحَسَنى، وولّى مولانا السلطان نائبا بطرابُلُس، وكان إذ ذاك أحد المقدمين بالديار المصرية ـ عِوَضا عن يونس بَلْطا ، وولى الأمير دُقْمَاق [المحمدى][3] الذى كان حاجب الميسرة بمصر نائبا بحماة ـ عِوَضا عن دِمُرْدَاش [المحمدى] [4] وولىّ دِمُرْداش [المحمدى] [5] نائبا بحلب عِوَضا عن أقْبُغَا الجمالى ، واستمر بألْطُنْبُغَا العثمانى نائبا بصَفَد على عادته ، وولىّ جَرْكَس [6] ، وَالِد تَنَم نائبا بكَرَك عِوَضا عن سُودُون الظريف ، وولىّ بهاء الدين عمر بن الطَّحَّان نائبا بغزة عِوَضا عن آقْبُغَا الَّلكَّاش ، وخلع على الأمير يشْبُك [الشعبانى الظاهرى] [7] الخَازِنْدَار الَّلالا ، واستقرّ دُوَيْدَارًا كَبِيرًا عِوَضًا عن سيدى سُودُون بحكم انتقاله إلى نيابة الشام .

وأما مولانا السلطان فإنه استمرّ على نيابة طَرَابُلُس إلى أن جاء تَمُرْلَنْك [8] على حلب وأخذها يوم السبت الثالث عشر من ربيع الأول من سنة ثلاث وثمانمائة ، وجرى ما لا يخفى

---

(١) هو سودون الدوادار قريب الظاهر برقوق .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٨ ط كاليفورنيا .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .
(٣و٤و٥) ما بين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٩ ط كاليفورنيا
(٦) فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٥٦ و الأمير جركس المعروف بوالد تنم الحسنى »
(٧) ما بين الحاصرتين إضافة عن المرجع السابق ٦ : ٣٩ (ط كاليفورنيا) .
(٨) انظر قصة حروب تيمورلنك ونسبه وبداية ملكه فى المرجع السابق .
٦ : ٥٠ وما بعدها ط كاليفورنيا .

على الناس ، فمسك فيها جماعة من الأُمراء ، وهم مولانا السلطان نائب طرابُلُس إذ ذاك ، ودِمُرْدَاش نائب حَلَب ، وسيدى سُودُون نائب الشام ، والأَمير دُقْمَاق [المحمدى][1] نائب حماة ، والأَمير أَلْطُنْبُغَا [العثمانى][2] نائب صَفَد ، والأَمير بهاء الدين عمر [بن الطحان][3] نائب غزّة ، والأَمير صَرَيْتَمُر [4] أتابك عسكر دمشق ، والأَمير بَتْخَاص ، والأَمير بَيْغُوت ، والأَمير فارس ، والأَمير آقْبَلاط ، والأَمير يونس الحافظى ، والأَمير آقمول ، والأَمير شهاب الدين بن الهذبانى ، والأَمير سُودُون الطريف أتابك حلب ، والأَمير أَسَنْبُغَا التَّاجِى الحاجب - وكان قد حَرَّضَ لإخراج العساكر الشاميّة وغيرهم من الأُمراء والطبلخانات والعشروات ، وسائر الأَكابر من الأَعيان - ثم أطلق تَمُرْلَنْك منهم أَسَنْبُغَا التَّاجى ، ومعه بَطْخَاص [5] البريدى ، وقال لهما : اذهبا إلى مصر ، وأخبرا بما رأيتما .

وأما مولانا السلطان فإنه استمرّ فى أسر تَمرْلَنْك مدةً طويلة ، ولقد حَرَّرتُ تلك المدة فوجدتُها مِقْدَارَ أَربعة أَشهر ، وذلك لأَنه أُسِرَ مع مَنْ أُسِر فى منتصفِ ربيع الأَول من سنة

(١و٢و٣) ما بين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٩ ط كاليفورنيا .
(٤) ويرسم أيضاً « صراى تمر » المرجع السابق .
١٢ : ٢٠٤ ط دار الكتب .
(٥) وقد سبق رسمه « بتخاص » .

ثلاث وثمانمائة ، وقَدِمَ إلى الدِّيَار المصرية بعد هروبه من الأَسْرِ يومَ الأربعاء السابع من شعبان من هذه السنة ، فجميعُ المدة من حين أُسِرَ إلى حين قَدِمَ إلى مصر أربعةُ أشهر واثنان وعشرون يوما ، فإذا صرفنا الإثنين والعشرين يوما إلى المسافة من أَسْرِهِ إلى قدومه تبقَى أربعة أشهر مُدّة أَسْرِهِ ، ولقد أخبرنى — نصره الله — أن هروبه كان فى أرض الشام ، وأنه قاسَى شدائد عظيمة من مَشْىٍ وجوعٍ وعطشٍ وخوفٍ ودَوَرَانٍ فى جبال بعْلَبَكّ وطرابُلُس ، وأوديتها وصحراواتها إلى أن وصل إلى طرابُلُس — بعون الله تعالى . بخير وعافية — ثم ركب البحر المِلْحَ إلى أن وصل إلى ساحل دِمْيَاط ، ثم خرج منه — بفضل الله تعالى ولطفه — وقدم الديار المصرية فى التاريخ المذكور ، واستمر مقيماً فى الدِّيار المصرية إلى أن خلع عليه يوم الإثنين الثامن عشر من رمضان من سنة ثلاث ، واستمر نائبا بطرابُلُس على عادته ، ثم سافر إليها بعد مُدّةٍ ، واستمرَّ فيها نائبا إلى شهر ربيع الأول من سنة خمسٍ وثمانمائة ، وفى هذا الشهر جاءهُ تقليدٌ بنيابة دمشق المحروسة — عِوَضا عن الأمير آقْبُغَا الجمالى الأُطروش بحكم عزله وإقامته بالقُدْس بَطَّالاً ، وتولى طرابُلُس الأمير دِمُرْدَاش ، واستمر مولانا السلطان بدمشق حاكما إلى مدة نَذْكُرُ آخرَهَا إن شاء الله تعالى .

ثم فى أثناء هذه المدّةِ ركب الأمير يَشْبَك [1] الشَّعبانى ،

(١) ورد هذا الاسم ، بفتح الياء مرة وبضمها مرة أخرى ، فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ط دار الكتب ج ١٢ ، فى مواضعه .

ومعه جماعة من الأمراء على الملك الناصر ، ليلة الأحد الرابع من جمادى الأخرى من سنة سبع وثمانمائة ، فآخر الأمر انكسروا وهربوا إلى الشام ، وتلقَّاهم مولانا السلطان [المؤيد](١) وأنزلهم عنده ، وأحسن إليهم إحسانا جزيلا ، وكان مولانا السلطان قد أخرج الأمير نَوْرُوز من حبس الصُّبَيْبَة ، وكان الملك الناصر قد حبسه فيها ومعه قانِبَاى العلائى ، وكان قد هرب من الحَبْس ، وآخر الأمر اتَّفَقُوا كلُّهم على المَشْى إلى القاهرة المحروسة ، وبعثوا وراء الأمير جَكَم (٢) ليتَّفق معهم ، وكان مُتَغَلِّبا على حلب وطرابُلُس وحماة ، وكان هو أيضا فى الحبس فى قلعة (٣) وأطلقه فجاء إليهم ، وفى أثناء ذلك هرب نَوْرُوز من عند مولانا السلطان بعد أن عقد معهم وحلف ، وكان مولانا السلطان قد أنعم عليه بالدَّوْرَة فى بلاد الشام ، فخرج وحَصَّل جملة من الأموال والخيول ثم هرب . ثم إن الأمراء خرجوا من الشام فى صحبة مولانا السلطان ومعه الأمير جَكَم والأمير قَرَا يوسف التُّرْكُمَانى ، وتوجَّهوا إلى القاهرة المحروسة ، ووصلوا إلى الصَّالحية(٤) يوم

(١) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح .

(٢) هو الأمير جكم بن عبد الله الظاهرى ، قتل بظهر آمد على يد أحد جنود قرايلك التركمانى فى ٢٧ من ذى القعدة سنة ٨٠٩ هـ .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢١٧ ط كاليفورنيا .

(٣) جاء فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١١٠ « أن جكم وسودون طاز كانا محبوسين ببعض حصون طرابلس وأفرج عنهما الأمير دمرداش نائب طرابلس » .

(٤) بنى مدينة الصالحية السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فنسبت إليه ، وهى من قرى محافظة الشرقية . السلوك — المقريزى ١ : ٣٣٠ .

الأَحد التاسع من ذى الحجة من سنة سبع وثمانمائة ، وخرج الملك الناصر يوم السبت الثامن من ذى الحجة . [و] [1] فى ليلة الخميس الثالث عشر من ذى الحجة كبست العساكر الشاميّة على العساكر المصرية بأَرض السّعيدية [2] قريبا من بُلْبَيس ، فانكسرت المصرية ، وتفرقوا شَغَر بَغَر [3] فقتل منهم خلق كثير ، ومُسِكت القضاة الأَربعة ، والخليفة ، وقريبٌ من ثلاثمائة مملوك ، فأَصبحت العساكر الشامية متوجهة إلى القاهرة ، فوصلوا قريبا من تربة قَلَمْطَاى [4] يوم الأَحد السادس عشر من ذى الحجة ، ثم فى أَوّل النهار كان الظُّهُورُ للشاميين ، ولكن خامَرَ جماعةٌ منهم وطلبوا الأَمان من الناصر ، وهم جَمَق نائب كَرَك ، والأَمير آسنباى [المعروف بالتركمانى] [5] وسُودُون الحمزاوىّ ، وإينال حطب ، ويَلْبُغا الناصرى ، فكلهم دخلوا المدينة واجتمعوا بالناصر ، وهرب الأَمير يَشْبُك [الشعبانى] [6] وتِمْراز [الناصرى] [7] وجَركَس [القاسمى المصارع] [8]

---

(1) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(2) كانت مدينة السعيدية : تعرف بالخشبي . وهى فيما بين بلبيس والصالحية . السلوك ــ للمقريزى ۱ : ۳۷٤ والهامش .

(3) يقال : تفرقوا شغر بغر أى فى كل ناحية (محيط المحيط) .

(4) تربة قلمطاى : عند باب الصوة بالقرب من باب الوزير خارج القاهرة ، أنشأها الأمير سيف الدين قلمطاى بن عبد الله العثمانى الظاهرى الدوادار الكبير بالديار المصرية فى عهد الظاهر برقوق ، وكانت وفاته فى جمادى الأولى سنة ۸۰۰ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ۱۲ : ۱٦۳ ط دار الكتب بمصر .

(٥و٦و٧و٨) ما بين الحواصر إضافة عن المرجع السابق .
٦ : ۱۲٥ ط كالفورنيا .

واختفوا فى المدينة ، ولم يبق فى العساكر الشَّامية إلّا مولانا السلطان والأمير جَكَم والأمير قَرَا يوسف التُّركُمانى ، فعند ذلك رَدوا وساقوا إلى أن وصلوا إلى دمشق ، واستقرَّ مولانا السلطان بالشام على عادته ، وذهب الأمير جَكَم إلى حَلَب ، واستمرَّ عليها على عادته . ٥

ثم فى شهر ذى الحجة يوم الإثنين الخامس منها من سنة ثمان وثمانمائة كانت وقعةٌ عظيمة بين مولانا السلطان وبين الأمير جَكَم على أرض رَسْتَن بين حماة وحِمْص ، فظهر جَكَم ، ورجع مولانا السلطان ، قبل كان ذلك من شؤم [٤٥] دِمُرْدَاش - وكان مع مولانا السلطان - فجاء ١٠ مولانا السلطان إلى القاهرة ومعه دِمُرْدَاش المحمدى ، والأمير خير بك نائب غزّة ، وألْطُنْبُغَا العثمانى حاجب الحجاب بالشام ، والأمير يُونُس الحافظى ، وسُودُون الظَّريف وغيرهم . وكان قدومه يوم الإثنين الثالث من صفر من سنة تسع [وثمانمائة][1]

وفى يوم الخميس السادس من صفر خلع الملك الناصر ١٥ على مولانا السلطان ، واستقرَّ فى نيابة الشام على عادته ، وخلع أيضا على دِمُرْدَاش أيضا ، واستقر فى نيابة حلب على عادته .

وفى يوم الإثنين مستهل ربيع الأول من سنة تسع خرج مولانا السلطان ومعه دِمُرْدَاش ومعهما من أمراء مصر سُودُون ٢٠

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

الطَّيَّار أمير سلاح ، وسُودُون الحمزاوى الدُّوَادَار الكبير [1] .

ثم فى يوم الإثنين الثامن من ربيع الأول خرج الناصر بعساكره ورحلوا ، فوصلوا دمشق يوم الإثنين سابع ربيع الآخر — ومولانا السلطان حاكم بالشّام على عادته — ثم خرج مع السلطان إلى حلب ، وهرب الأمير جَكَم ومن معه إلى أن عدّوا الفرات ، وأقام السلطان هناك مُدّةً ، ثم رجع إلى القاهرة ، واستمرّ مولانا السلطانُ على الشام على عادته ، ثم عاد الأمير جَكَم بمن معه إلى حلب ، قبل وصول الناصر إلى دمشق ، فلما خرج الناصر من دمشق متوجهًا إلى القاهرة ، هرب منه الأمير سُودُون الحمزاوى ، وتحصّن بقلعة صَفَد ، ثم إن مولانا السلطان الملك المؤيد لما رأى أن جَكَم جمع جموعًا ، وجّهز عساكر كثيرة ، واجتمع عنده جماعة من المفسدين ، وحرّضوه على تولية السلطنة فأجابهم إلى ذلك ، وعقدوا له ، وخطبوا له ، ولقّبوه بالعادل ، تَحَيَّلَ إلى أنْ أخَذَ قلعةَ صَفَد ، وانتقل من الشام إليها ، وهرب [سودون] [2] الحمزاوى إلى غزّة ، وكان فيها جماعة من الأُمراء ، منهم الأمير إينال باى [3] [بن قَجْماس] [4] وكان قد هرب من القاهرة ،

(1) الدوادارية : وظيفة موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر على الباب الشريف، وتقديم البريد، ويأخذ الخط على عامة المناشير والتواقيع والكتب . — صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ١٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(٣) فى الأصل « يبه » وما هنا عن الصفحة التالية وبدائع الزهور لابن إياس ١ : ٣٤١ .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٨٢ ط كاليفورنيا .

والأمير يَشْبُك بن أَزْدَمُر ، وتغلب نُوْرُوز على الشّام من جهة جَكَم ، وخطبوا باسمه من غزّة إلى أقصى بلاد حلب ما خلا صَفَد ؛ لوجود مولانا السلطان فيها . وكأن القدرَ يقول : ياجكَم لاتغترّ بهذا الأمر الذى أنت فيه ؛ فإن هذا لايتمُّ لك ، وإنما السلطان عند الله وعند الناس هو الملك الذى فى صَفَد . ٥

واستمر السلطان المؤيّد فيها ، إلى أوائل سنة عشر — على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما ما كان من أمر جَكَم فإنه جمع جموعه ، وتوجه نحو قَرَا يلك التركمانى ، وهم نازلون فى السُّوْق على مدينة آمد [1] ، فآخِرُ الأمر قُتِل جَكَم هناك ، وقتل معه الملك الظّاهر مجد الدين ١٠ عيسى صاحب مَارْدِين [2] ، وحاجبه فيّاض ، والأمير ناصر الدين [محمد] [3] بن شهرى حاجب الحُجّاب بحلب — كان — والأمير آقمول نائب عينتاب وغيرهم . وكانت الوقعة يوم السابع والعشرين من ذى القعدة من سنة تسع وثمانمائة . ١٥

وأما الامراء الذين كانوا بغزّة فإن مولانا السلطان المؤيد

---

(١) آمد : من ديار بكر . مدينة غربى دجلة ويدور النهر حولها كالهلال ، ويطل عليها جبل عال وسورها من حجر الأرحية الأسود .

لسترنج — بلدان الخلافة الشرقية ١٤٠ — ١٤٢ .

(٢) ماردين : قلعة على قمة جبل الجزيرة تشرف على نصيبين (ياقوت معجم البلدان ٤ : ٢٠ ٣٩٠ (وتقع حالياً فى تركيا وهى محطة حديدية على بعد ٤١١ ك . م من حلب .

(المنجد — معجم أعلام الشرق والغرب ٤٧٠) .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٨٦٧ .

ركب إليهم من صَفَد ، وكبس عليهم على أرض جديدة ، وأشْبكَ بينهم قتالٌ إلى أن قتل إينال باى [ابن قَجْماس] [1] ، ويونس الحافظى نائب حماة ـ كان ـ وسُودُون قُرناص ، ومسك الأمير سُودُون الحمزاوى ، وهرب يَشْبُك بن أَزْدَمُر ، وكانت الوقعة يوم الخميس الرابع من ذى الحجة سنة تسع [وثمانمائة] [2]. ثم إن السلطان الناصر خرج إلى الشام يوم الجمعة الثانى من صفر من سنة عشر ، ونزل إليه مولانا السلطان [المؤيد] [3] من صَفَد ، وذهب معه إلى دمشق ، ثم إن الشيطان قد نزغ بالناصر وَوَسْوَس له ، مع تحريك من المفسدين له ، إلى أن قبض على أتابك العساكر [4] ، ومعه مولانا السلطان المُؤيَّد واعتقلهما الناصر [5] بقلعة دمشق ، ثم إن الله تعالى منَّ على يَشْبُك بالخلاص ببركة مولانا السلطان ؛ وذلك أن السلطان لما اعتقلهما وأراد بهما السوء ، قال له لسانُ الحال : مهلاً أيها الناصر هذا الذى تريده بالسوء هو الذى سمّاه الله تعالى مؤيدا ، وجعله سلطانا عِوَضَك ، فلا تقدر عليه ، فلا تُتْعِب قلبك بقلبك ، فإن هذا أمر قد تم ، وقضاء قد سبق ، وسعادة مولانا السلطان

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن بدائع الزهور لابن إياس ١ : ٣٤١

(٢و٣) ما بين الحواصر إضافة على الأصل .

(٤) وهو الأمير يشبك الشعبانى . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٨٩ ط كاليفورنيا .

(٥) كلمة الناصر واردة فى هامش اللوحة بخط مماثل .

التى حَرَسَتْهُ ، وسلطنتُهُ التى قُدِّرَت له قد أنجته ؛ ولقد أحسن الشاعر (١) فى قوله :

وإذا السعادة أحرستك عيونُها ... نَمْ فالمخاوفُ كلُّهنَّ أمانُ
واصطدْ بها العنقاءَ فهى حبالةٌ ... واقتد بها الجوزاء فهى عِنَانُ

ومن آثار تلك السعادة سخَّر الله له نائب القلعة ؛ وهو الأمير منتوق (٢) ، حتى أنزلهما من القلعة فى ظلمة الليل ، ونزل معهما ، وفَدَى نفسه لهما ، ثم علم الناصر بذلك ، فأرسل وراءهم جماعة فأدركوا منتوقا وقتلوه ، وصاحب السعادة قد فات بسعادته ، لأمر قدَّرَهُ الله له .

ثم خرج الناصر من دمشق متوجِّها إلى القاهرة ، بعد أن أرسل خلعة نيابة الشام إلى نَوْرُوز ، وهو مقيمٌ بحلب عند تَمُرْبُغَا المشطوب المتغلب عليها ، ثم بعد ذلك عاد مولانا السلطان [المؤيد] (٣) إلى دمشق ، وطرد نائب الغيبة بها من جهة نَوْرُوز ، وهو بَكْتَمُر شِلَّق ، ثم خرج منها إلى ناحية شَيْزَر ، ثم عاد إلى الشام وظهر عليها .

ثم فى محرم سنة اثنتى عشرة وثمانمائة عاد الناصر

---

(١) الشاعر : هو القاضى الفاضل عبد الرحيم ابن القاضى الأشرف أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن المفرج بن أحمد اللخمى العسقلانى المولد ، المصرى الدار ، المعروف بالقاضى الفاضل ، الملقب محيى الدين وزير السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبى ، توفى سنة ٥٩٦ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٥٦ و ١٥٧ ط دار الكتب .

(٢) والرسم فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ١٨٩ ط كاليفورنيا « منطوق » .

(٣) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .

إلى دمشق ، وقبل دخوله هرب منه جماعة ، منهم ثمراز الناصرى وإينال الجلالى ، وسُودُون بقجه ، وقَرَايَشْبُك ، وسُودُون الحمصى وغيرهم . وأما مولانا السلطان المؤيد فإنه ذهب إلى قلعة صَلْخَد [1] بمن معه وتحصّن فيها ، وأتاه الناصر – فإنه قد خرج وراءهم – وأقام على صَلْخَد مدة ، ولم يَفُزْ بشىء ، ثم عاد إلى دمشق بعد الاتفاق على أن يرُوح مولانا المؤيد إلى طَرَابُلُس ، ثم خرج الناصر من دمشق بعد أن قرر بَكْتَمُر شِلّق نائبا عليها .

ولما وصل الناصر إلى بُلْبَيْس مَسَكَ جمالَ الدين [2] الأُستادار ، وآخرُ الأَمر أخذ ماله وقتله ، وأما مولانا السلطان المؤيد فإنه كسر بَكْتَمُر شلّق نائب الشام على خان ذى النون [3] ، ودخل الشام على عادته ، وأمّا بكتَمُر فإنه هرب بمن معه وجاء إلى القاهرة .

ثم فى ربيع الأول من سنة ثلاث عشرة وثمانمائة خرج الناصر إلى جهة الشام ، وكان مولانا السلطان إذ ذاك على حماة يحاصر نَوْرُوز من مدة شهر ، وكان قد أشرف على أخذه ، فلما سمع نَوْرُوز بمجىء الناصر أطاع لمولانا الملك

---

(١) هى «صرخد» والرسم هنا وفقاً لنطق العامة .

(٢) هو جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبى البجاسى ، استقر استداراً عوضاً عن سعد الدين بن غراب سنة ٨٠٧ هـ ، ثم صار حاكم الدولة ومدبرها إلى أن قتل فى ليلة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ٨١٢ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٢١ و ٢٢٢ ط كاليفورنيا .

(٣) هى قرية خان يونس بفلسطين .

المؤيّد وأذعن له بالانقياد ، ثم مشى فى خدمته إلى حلب ومعه جماعة من الامراء ، منهم تَمْراز الناصرى وتَمُرْبُغَا المشطوب الذى كان نائب حلب بعد جَكَم ، وإينال المنقار؛ ويشبك ابن أزْدَمُر ، وسودون بُقْجَة ، ولمّا وصلوا إلى حلب هرب نائبها [٤٦] دِمُرْدَاش، ثم لما سمعوا بتوجُّه الناصر إلى حلب خرجوا منها إلى عين تاب [١] ، ثم إلى مَرْعَش [٢] ، ثم إلى صوب قيسارية الرُّوم .

وأما الناصر فإنه مشى وراءهم إلى أن وصل إلى أبْلُسْتَيْن ، وأقام فيها ما يقارب خمسين يوما ، ثم عاد ولم يظفر بشىء ، وعاد مولانا المؤيد وراءه ، فلما وصل الناصر إلى حلب ولّى قرقماس نائبا عليها عوضا عن دِمُرْدَاش .

ولقد بلغنى من الثقات أن الملك المؤيد سبق الناصر فى عوده ، وأخذ ناحية البرّية حتى أتى بمن معه إلى غزّة ، ثم وصلوا إلى القاهرة فى يوم الأحد ثامن رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة ، واحتاطوا عليها حتى وصلوا إلى سويقة متعم [٣] ، ثم نزل المؤيد ومعه نوروز فى بيته الذى فى الرُّمَيْلَة [٤] ،

---

(١) عين تاب : وترسم عينتاب ، قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٧ : ١٣٣ .

(٢) مرعش : مدينة بأرمينيا على حدود سوريا الشمالية فتحها أبو عبيدة صلحا سنة ٦٣٧ م .
المنجد- معجم أعلام الشرق والغرب ٤٩٢ .

(٣) سويقة متعم بخط الصليبة تجاه القصر السلطانى .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٨٦ ط دار الكتب بمصر .

(٤) الرميلة : هى ميدان صلاح الدين (ميدان المنشية) . هامش المرجع السابق ١٢ : ٢٩٤ .

وتحاربوا مع أهل القلعة ذلك اليوم إلى أن ملكوا مدرسة [السلطان] [1] حسن فى آخر ذلك اليوم ، ثم أخذوا مدرسة الأشرف [2] ليلة الثلاثاء عاشر رمضان . فلما رأى أمير أرغون [3] ذلك — وكان نائب الغيبة مقيما بباب السلسلة — هرب وطلع إلى القلعة عند الأُمراء هناك وهم : كَتْبُغا الجمالى نائب القلعة ، والأَمير شَرْباش الكَيّاشى ، والأَمير كافور الزِّمّام ، ولما رأى هؤلاء أن مولانا المؤيد مَلَكَ بَابَ السلسلة والمدرستَيْن ضعفت قلوبُهم ، ومالوا إلى الصلح والتسليم ، فبينما هم فى المراسلة إذ أتى الخبزُ إلى مَنْ فى القلعة بـأَن النَّاصر قد وصل بعساكره ، فعند ذلك تـأَخروا عن التسليم ، وشرعوا فى

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل ، ومدرسة السلطان حسن تقع بميدان صلاح الدين تحت القلعة وتعد من مفاخر العمارة الإسلامية ،أنشأها السلطان حسن بن محمد بن قلاوون لتكون مسجداً ومدرسة للمذاهب الأربعة ، وألحق بها مساكن للطلبة ، وتمتاز بضخامة عقد إيوانها الشرقى الذى لا نظير له فى العمارة الإسلامية ، وبدىء فى إنشائها سنة ٧٥٧ هـ ويتوسط القبة قبر الشهاب أحمد ابن السلطان حسن الذى توفى سنة ٧٨٨ هـ ؛ أما السلطان فلم يدفن بها ولم يعرف له قبر .
كتاب تاريخ المساجد الأثرية ١ : ١٦٥ — ١٨١ .

(٢) هى مدرسة الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وكانت تجاه الطبلخاناه عند الصوة . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٣٤ ط كاليفورنيا .

(٣) هو الأمير أرغون بن بشبغا أمير آخور كبير . المرجع السابق ٦ : ٢٢٨ .

(٤) باب السلسلة هو باب القلعة الموجود حالياً بميدان صلاح الدين ، وعرف قديماً بباب الاصطبل وباب الإنكشارية ، وأخيراً عرف بباب العزب نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان وظيفتهم المحافظة على القلاع ، والباب الحالى جدده الأمير رضوان كتخدا الجلفى سنة ١١٦٠هـ وبداخله مسجد أحمد بن كتخدا العزب الذى أنشىء سنة ١١٠٩ هـ ويشتمل على بقايا مصلى وسبيل السلطان المؤيد شيخ .
هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٨٧ وما به من المراجع .

رمى السهام ، وأقاموا الحرب ، فبينما هم فى ذلك فإذا بأوّل عسكر الناصر قد وصل ، فلما تحقق ذلك المؤيّدُ نزل هو ونَوْرُوز إلى الرُمَيْلة ليفرّقا عسكرهما فى المدينة ، لا للخوف و [إنما] [1] لاعتقادهما أن الناصر فى العسكر – ولم يكن فيهم إلا بكْتُمُر شِلّق . وطُوغَان الحسنى ، ويَشْبُك الموساوى ، وألْطُنْبُغَا العثمانىّ ، وأسنْبُغَا الزَّرْدَكَاش . وغيرهم – ثم إن مولانا المؤيَّد ومن معه توجَّهُوا إلى باب القرافة [2] وخرجوا منها ، ولسان القَدَر يقول مخبرا عن المسطور : يا أبا النَصر اذهب وأنت مسرور ، فلابدّ من عودك سلطانا وأنت مجبور ، وإنما أخَّرْتُ هذا الوقت لأمرٍ مقدور ، وكل من عاداك يصير ما بين مقتول ومأسور .

ولقد جرت حكمة الله تعالى إذَا أرادَ أن يُكَرِّمَ أحدا من عبيده يُحَمِّلُهُ مشاقّ كثيرة ، ويتعب قلبه وقالبه ، ويوقعه فى مكاره ، ويُورِدُهُ فى شدائد ، وكأنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أن يكون هذا لِتَدْرِيبِهِ وتمرينِهِ ، وأيضًا فإنَّ النعمة إذا جاءت من غير شدة لايعرِفُ صاحبها قدرها ولا يقوم بشكرها ، فتنقلب النِّعمة عليه وبالاً ، وإذا جاءت بشدة وتعب عرف قدرها وقام بشكرها فيزداد بهاءً وجمالاً ، ألا ترى أنَّ الله

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل يستقيم بها السياق .

(٢) باب القرافة أحد أبواب سور صلاح الدين الأيوبى بجوار مدفن تمرباى الحسينى الذى يفصل بينه وبين باب السيدة عائشة و قايتباى » .

انظر هامش النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٢ : ٢٨٥ وما به من المراجع .

سبحانه وتعالى لما أراد أن يوحى إلى النبى – صلى الله عليه وسلم – أنزل عليه جبريل بالقرآن فقال له : اقرأ ، فقال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذنى وغطّنى [1] ثلاث مرات ، وروى فسأبنى [2] ، ويروى وقد غطّنى ، والكل بمعنى واحد وهو الخنق والغمز ، وكل هذا كان للتمرين والتدريب . وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام رعى لشعيب أغنامه عشر سنين ، ثم تزوّج بصفراء ، وعاد بها إلى أرض مصر . ولما كان فى أثناء الطريق أخذها الطلقُ فى ليلة شاتية باردة مظلمة ممطرة ، وكانت معه غنم شردت وحمارة ألقت ما عليها ، وكلما ضرب الزّند على الزّند لم تُورِ نارًا ، وهو تائه فى وسط المفازة ، فتحيّر موسى – عليه السلام – فالتفت يمينًا وشمالاً كالمستغيث ، فنظر فإذا بنُورٍ يلوح من بُعْد فقصده ، فلما قرُب منها [3] « نُودِىَ مِنْ شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ »[4] ، وكل هذا كان من الله تعالى ابتلاء واختبارًا وامتحانًا وتمرينًا .

ثم إن مولانا المؤيّد لما انفصلَ من باب القرافة وتوجّه نحو مدينة كَرَك على طريق البريّة ، وأخذ نَوْرُوز طريقًا آخر ، وقاسوا

---

(١) الغط والغت سواء . ومعناهما العصر والخنق بشدة .
انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ٣ : ٣٤٢ ط الحلبى بمصر .
(٢) سأب بمعنى خنق والسأب الخنق .
انظر المرجع السابق ٣ : ٣٤٢ .
(٣) الضمير هنا عائد على النار التى لم يرد ذكرها فيما سبق وإنما ورد النور .
(٤) الآية رقم ٣٠ من سورة القصص .

فى الطريق شدائد من قلة الظَّهر والزاد والعليق . فلما وصلوا إلى كَرَك ما سَلَّم أهلُها المدينة إلا لمولانا المؤيّد .

ومن أغرب ما اتفق أن مولانا المؤيّد دخل الحمّام يومًا ، واتفق لحاجب[1] كَرَك مع جماعة من المفسدين من أهل المدينة وهجموا على الحمّام ، فنصر الله تعالى مولانا المؤيّد لأمرٍ قد خُبِّئَ له فى الغَيْب ، ولكنْ بَعْدَ أنْ جُرِج بالسِّهَام جرحًا شديدًا ، ولقد أخبرنى مولانا المؤيد - ثبت الله قواعد دَوْلته - فقال لى : لَمَّا جُرِحْتُ أقمت ثلاثة أيام لا أعرف نفسى ، ولا أعرف الداخل عندى من الخارج ، والدم يسيل حتى أيِسُوا منى ، وبكت حاشيتى علىَّ ، ولكنّ لسان القدر يقول : كُفُّوا عن الخوف والبكاء ، ولا تبالوا مما أصابَه من ذلك ؛ فإن هذا يصير مَلِكًا له شان ، ويقهر كل من يعاديه ببرهان ، وإنما مثله كمثل أستاذه الظاهر [برقوق] [2] حيث أرسل إليه تَمُرْبُغا الأفضلى من يقتله وهو محبوس فى قلعة الكَرَك ، فخيَّب الله آماله وردَّ عليه أعمالَه ، وجُعِلَ كِتابُه الذى سببٌ لهلاكه سببا لخلاصه . وأعادَه إلى سلطنته على رغم أعدائه .

وأما الناصر فإنه لما بلغه هذه الأُمور ، وأن مولانا المؤيد توجَّه إلى الكَرَك - وهو مقيم بدمشق - توجَّه إلى كَرَك ، ونزل

---

(١) هو الأمير شهاب الدين أحمد.
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢٤٠ ط كاليفورنيا .

(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

عليها واستعد للقتال ، فبعدَ أمر طويلٍ أوقع اللهُ بينهم الصُّلْحَ ، ونزلوا إلى الناصر فخلع عليهم خِلَعًا سنية ، فولّى مولانا المؤيّد نيابة حلب عوضا عن قرقماس ابن أخى دَمُرْدَاش ، وولى قرقماس نيابة صَفَد عوضا عن سُودُون بن عبد الرحمن ، وولّى نَوْرُوز نيابة طرابُلُس عوضًا عن جانم ، وكذلك خلع على الأمير تَغْرِى بَرْدِى أتابك العساكر بالديار المصريّة ، وتولى نيابة دمشق .

ثم ذهب كل منهم إلى محل ولايته ، وعاد السلطان [الناصر فرج] (1) إلى القاهرة . واستمر مولانا المؤيد حاكما بمدينة حلب إلى سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ففى هذه السنة كانت الوقعة التى كانت سببًا لقتل الناصر .

وذلك أن الناصر خرج يوم الإثنين الثامن من ذى الحجة من سنة أربع عشرة وثمانمائة ، ولما وصل إلى مدينة غَزّة بلغه أن جاليش (2) عساكره هربوا وعَصَوْا عليه ، وهم بَكْتَمُر جِلّق أتابك وزوج بنت الناصر ، وطُوغَان الحسنى الدَّوَادَار الكبير ، وشاهين الأَفْرَم أمير سلاح ، فظهرت هناك مخايلُ الكسر والخذلان من شؤم الظلم والطغيان ، فلما دخل دمشق بلغه أن مولانا المؤيد ونَوْرُوز ومن انضم إليهما نازلين على حِمْص ،فخرج

(1) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل .
(2) الجاليش هنا : مقدمة الجيش .

مسرعًا [٤٧] ، ولَمَّا بلغ مدينة قارًا[1] بلغه أنَّهُم صوَّبوا نحو بَعْلَبَكّ ، فصوَّب هو أيضاً نحوها ، ولَمَّا وصل إلى بَعْلَبَك بلغه [أنهم نزلوا] [2] على بقع [3] ، ولَمَّا بلغ إلى بقع وجدهم قد ذهبوا إلى خان لجون [4] ، فأسرع فى المشى إلى أن أدركهم آخر النهار - فهو ومن معه وخيولهم فى نَصَب شديد - واشتبك القتالُ بينهم من العصر إلى بعد العشاء الآخرة ، وكان فى يوم الثلاثاء الرابع عشر من المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة ، فانجلى الحرب عن انكسار الناصر وهروبه إلى دمشق ، وتفرق [عسكره] [5] شَغَرَ بَغَر ، واستولوا على ثقلهم وحوائجهم . ثم إن المؤيد نصره الله ومن معه ذهبوا إلى دمشق ، وأحدقوا بها محاصرين ، فلما استقرت الحال على هذا اثبتوا مَحَاضِر بِكُفْر الناصر ، وصُدُورِ أُمورٍ منه تقتضى انخلاعه من السلطنة .

ثم قلدوا المستعين [6] بالله بن المتوكل على الله . قلدوه وبايعوه ، فعند ذلك انْخَمَدَ أمرُ النَّاصر وتفرَّق أكثرُ مَن معه .

---

(١) قارا : قرية قرب حمص.
ياقوت - معجم البلدان ٤ : ١٢ و ١٣ .
(٢) ما بين الحاصرتين إضافة ليستقيم السياق.
(٣) البقع : هى أرض البقاع بين دمشق وبعلبك وحمص ، وبها قرى كثيرة.
ياقوت - معجم البلدان ١ : ٦٩٩ و ٣ : ٧٦٠ .
(٤) كذا فى الأصل والمراد اللجون وهى بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلا .
ياقوت - معجم البلدان ٤ : ٣٥١ .
(٥) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .
(٦) فى أصل المتن و المستعصم ، وما هنا عن هامش اللوحة ، وبدائع الزهور لابن إياس ١ : ٣٥٧ .

وجاء بهذا الخبر كُزُل الأَجْرُود العَجَمى . وآخرُ الأَمر بعد حروب شديدة ، وأُمورٍ كثيرةٍ نَزَل النَّاصِرُ من قلعة دمشق مستَأْمِنًا مولانا المؤيّد ، ووقع فى قبضتهم ، وجاء الخبر إلى القاهرة بذلك مع خُشْرُو الخاصكى فى الثانى والعشرين من صفر ، ثم فى يوم الإثنين الثانى من ربيع الأول جاء قَرَابُغَا البريدىّ ، وأخبر بقتل السلطان الناصر ، وكان قتله ليلة السبت السابع عشر من صفر ، ثم وقع الاتّفاق بين مولانا السلطان المؤيّد أن يكون نَوْرُوز حاكماً بالدِّيَار الشَّاميّة ، وأن يكون مولانا المؤيّد حاكمًا بالدِّيار المصريّة ، ثم توجّه مولانا المؤيّد إلى الدّيار المصريّة ، فدخلها يوم الثلاثاء الثانى من ربيع الآخر من سنة خمس عشرة وثمانمائة .

الفصل السابع

فى استحقاقه من حيث الباعث عنده إلى نشر العدل والحلم والعفو والصفح

اِعلم أن هذه الصفات لابُدّ للمَلِكِ أن يتصف بها ؛ لأن نظام العالم وانتظام أحوال المسلمين بهذه الأشياء ؛ وذلك كما قيل « لا مَلِكَ إلا بالجُنْد ، ولا جُنْدَ إلا بالمال ، ولا مال إلا بالرَّعِيَّة ، ولا رَعِيَّةَ إلا بالعَدْل » . فعلمنا أن رأس الأمور هو العدل ، وبه ينتصر المَلِكُ ، وينخذِلُ عدوُّه ، وتعمر بلاده ؛ ويكون المَلِكُ به منصورًا فى الدنيا ، محظوظًا فى العُقْبى ، وقد روَيْنَا عن البُخَارِى يَرْوِى بسنده عن النَّبِىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمَ لاَظِلَّ إلاَّ ظِلُّه ، إمامٌ عادِلٌ ، وشَابٌ نَشَأَ فى عِبَادَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ يَكُونُ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالمَساجِدِ ، ورَجُلاَنِ تَحَابَّا فى اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَال : إنِّى أَخَافُ اللهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِيَمِينِهِ وَأَخْفَاها عَن شِمَالِه » . وقد قال بعضُ الحكماء : إن الدِّينَ بالملك ، والملك بالجُند ، والجندَ بالمال ، والمالَ بِعِمَارَة البلاد ، وعمارة البلاد بالعدل فى العباد » ؛ لأن الرَّعِيَّةَ لاتَثْبُتُ على

الجَوْر ، والبلاد تخرَبُ إذا استولى عليها الظَّالِمُون ، ويتفرّق أهل الولايات ، ويقع النقصُ فى الملك ، ويَقِلُّ الدَّخْلُ فى البلاد ، وتخلُو الخزائِنُ مِنَ الأَموال ، ويتكدَّرُ عيشُ الرَّعَايَا لأنَّهُم لايحبّون جائِرًا ، ولا يزال دعاؤهم عليه مُتَوَاتِرًا ، فلا يتمتّع المَلِكُ بمملكته ، وتُسْرِعُ إليه دَوَاعِى هلكته . قال سقراط الحكيم : العالَم مُرَكّبٌ من العَدْل ، فإذا جاء الجَوْرُ فلا يُثْبُتُ ، ولا يَسْتَقِرّ ، وتحدث الحوادث الرديئة ، التى لايكون معها صلاحٌ ولا نجاح . وسئل بُزُرجُمْهر : بأى شىء يظهر عِزّ المَلِك ؟ فقال : بثلاثة أشياء : حفظ الأَطراف مع دفع العدو عن الجور ، وإكرام العلماء وإعزازهم ، ومحبة أهل الفضل ؛ لأَنه كلما جار السلطانُ خافَ أهلُ الأَطراف ، وإن كانت نِعَمهُم كثيرة غزيرة فإنها مع الخوف لاتَنْساغُ ولا تَصْفُو ، فإذا كانت النِّعَمُ قليلة أنْسأَت [1] مع الأمن .

ومولانا السلطان المؤيَّدُ فإنه حين وَلِى أثارَ العدل للعباد والبلاد ، وأمِنَت الناسُ فى أوْطانهم على أنفسهم وأولادهم ، وكانُوا قَبْلَه فى ولاية الناصر [فرج] [2] فى وَجَل عظيم ، وَمُصَادَرَة وغرامات ، وما كان أحد منهم يستجرىء يَلْبَس ثوبًا حسنًا خوفاً على نفسه من المُصَادَرَة ، حتى إنهم صُودِرُوا مرارًا عديدة ، وأُخِذَت أموالُهم ، وفُتِحَت حواصِلُهم وهم غُيَّبٌ ،

(١) أنسأت : نمت وكثرت . (محيط المحيط) .
(٢) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

فَزَادَ الظلمُ فيهم حتى أُخِذَت أموالُ الأَيتام والتجّار والغُرَبَاء ، وحصل عليهم مالا يوصَفُ ولا يُحَدُّ ، ولم يزالوا كذلك حتى منَّ اللهُ عليهم بفضله ولطفه ، وأرسل إليهم مَلِكًا اصطفاه واختاره لرفع هذه المظالم ، وإزاحة هذه المفاسد ، ولقِّب مؤيدًا لتأييد دينه ونُصْرَةِ شَريعته .

وأما حِلْمُه فإنه أَجلّ من أن يُحَدَّ ويُوصَفَ ، وقد ظهرت آثاره بين الخلق حيث عَفَا عن جَمٍّ غَفِيرٍ من الناس قد لعِبُوا بَأَلْسِنَتِهِمْ ، وبلغه ذلك فحَلُمَ بهم ورَفُق ، عملا بقوله عليه الصلاة والسلام « كلُّ وال لا يرفق برعيته لا يرفق اللهُ به يوم القيامة » وكان من دعاء النبي صلّى الله عليه وسلم : اللهم الْطُف بكل والٍ يَلْطُف برعيته .

وأما عفوه عن أصحاب الجرائم وصفحه عن ذوى الجرائر فظاهرٌ لا يخفى ، ولقد ثبت عندنا بأخبار الثِّقات وبمشاهدةٍ مِنّا وعَيَانٍ : أنه قد صفح عن كثيرٍ ممن ظهرت منه جنايةٌ كبيرة ، حتى إنّ منهم من استحق لها القتل ، وأَبْلَغُ من ذلك أنه قد أعطى لبعضهم إقطاعات ، ولبعضهم ولايات من الإِمْرَة والقضاء وغير ذلك ، ولقد هداهُ الله تعالى حتى دخل فى زُمرة من دخل فى قوله تعالى « والكَٰظِمِينَ الغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ »[1] ، ومما حُكِيَ أنَّ هارون الرشيد قُدِّمَ إليه طَعَامٌ فلمَّا فَرغ منه استدعى بماء ليغسلَ يَدَيْه فجاءت جاريةٌ

(١) الآية رقم ١٣٤ من سورة آل عمران.

بَطَشْت وإبريقٍ فَسَكَبَت على يَدَيْهِ ، وكان الماءُ حارًا فأحرق يَدَيْهِ ؛ فامتلأ الرشيد غَضَبًا ، وأراد إيقاعَ الفعل بها ، فَفَطِنَت الجاريةُ لِذَلك فقالت : يا أمير المؤمنين أمَا سَمِعْتَ قولَه تعالى « وَٱلْكَاظِمِينَ الغَيْظَ » ؟ فقال : كَظَمْتُ غَيْظِي ؛ فقالت يا أمير المؤمنين ، وبعده « وَٱلْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » ، قال : عَفَوْتُ عنك ، فقالت : بعده يا أمير المؤمنين « وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ »[1] ، قال : فأنت حرّةٌ لوجه الله تعالى ، ولك ألفُ دينار .

وحُكِيَ أن أبا جعفر المنصور أمر بقتلِ رجُلٍ ، والمبارك بن المفضَّل حاضرٌ فقال : يا أمير المؤمنين اسمع منى خبرًا مِنْ قَبْل أنْ تَقْتُلَه : رَوَى الحسنُ البَصْرِى عن النبيِّ – صلى الله عليه وسلم – أنه قال : « إذا كان يوم القيامة واجتمع الناسُ فى صعيدٍ واحدٍ نَادَى منادٍ ؛ من كان له عند الله حقٌّ أو يدٌ فليقم ، فلا يقوم يومئذ إلاَّ من عَفَا عن الناس »[٤٨] فقال : أطلقوه فقد عفوتُ عنه .

(١) مابين الأقواس متتالياً من الآية رقم ١٣٤ من سورة آل عمران

الفصل الثامن

فى استحقاقه السلطنة من حيث الفضل والكرم والإحسان إلى أهل العلم والغرباء وافتقاده المنقطعين

اعلم أن الدِّين والمُلْكَ توأمان فينبغى أن يكون المَلِكُ دَيِّنًا يُحب الدِّين ؛ لأنهما كالأخوين ، وُلِدَا فى بطن واحد ، فيجب أن يهتم المَلِكُ بأمور الدِّين ، ويؤدى الفرائض فى أوقاتها ، ويجتنب البِدَع والهوى والمُنكر ، وذلك لا يحصل له إلا بمجالسة العلماء ، وبالحرص على استماع نصحهم ، وإعزازهم وإكرامهم والإحسان إليهم ، وهذه الصفات الحميدة موجودة فى مولانا السلطان المؤيد .

أما فضله وكرمه وإحسانه إلى أهل العلم والفضل فأظهر من الشمس . ومن جملة الدَّليل على ذلك : أنه من حين قدم الدِّيار المصرية فى التاريخ الذى ذكرناه لم يزل يحسن إلى أهل العلم والفضل ، من ذَهَبٍ وفضَّة وقماشٍ وخَيْل وغير ذلك ، وفرَّق مرارًا عديدة جملة مستكثرةً من الذهب والفضة على أهل المدارس والخوانق وأصحاب الزوايا ، حتى لم يُبْق منهم أحدًا إلاَّ وقد شمله

٥ ١٠ ١٥

شيءٌ من ذهب وفضة مما يكفيه إلى مُدّة طويلة ، بل ربّمَا كان يبقى عنده شيءٌ من ذلك إلى حين إخراج صدقةٍ أُخرى ، وكان يرسل أُنَاسًا أُمناءَ ثقاتٍ ومعهم جملة من الذهب والفضة فينزلون إلى المدينة ، ويجولون فى أزقتها وخفاياها[1] ، ويسأَلون عن المحتاجين والمنقطعين ؛ فَيُفَرِّقون عليهم ما يكفيهم ، ويغنيهم عن السَّعْى والترداد إلى الناس ، وهذا شيءٌ لم يفعله ملكٌ قبله .

ومن جملة محاسن مولانا السلطان أنه يَذْكُر بنفسه المنقطعين من العلماء ، ويرسل إليهم جملة من الذهب ، ولقد شاهدنا ذلك فى جماعة كثيرين ، منهم الشيخ الإمام العلامة عز الدين ابن جماعة[2] ، وكان يرسل إليه فى كل مرة من الذهب الأحمر خمسين دينارًا ، ومصارفتها اثنا عشر ألف درهم . ومنهم الشيخ شمس الدين الصوفى والشيخ السالك نصر الله العجمى وغيرهم من العلماء والقادمين إلى الديار المصرية ، .

ولما وقع الغلاءُ المُفْرِط فى أول سنة تسع عشرة وثمانمائة ـ بحيث قد عُدِم الخبزُ من الدكاكين ، والدقيق من الطواحين والأفران ؛ بحيث حصل للناس من ذلك أمرٌ عظيم ، حتى إن الإردب من القمح كان يقف على مشتريه مطحونًا بألف درهم ـ أرسل مولانا السلطان المؤيد إلى كل واحد من المدرسين فى المدارس ؛

---

(١) فى الأصل « وحاياها » ولعل الصواب ما أثبته .

(٢) هو محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد . عالم بالأصول واللغة والبيان ، أصله من حماة وولد بينبع سنة ٧٥٩ هـ ، وانتقل إلى القاهرة وتوفى بها سنة ٨١٩ هـ . وله مصنفات كثيرة . الزركلى ـ الأعلام ٣ : ٨٧٢ ط أولى .

والمشايخ فى الخوانق والزوايا مبلغَ عشرة دنانير وإرْدَبًّا من القمح الطيِّب ، ورتَّبَ فى كل يوم عشرين ألف رَغِيف من الدقيق الأبيض ، يُفَرَّقُ على كل واحد من الفقراء والمساكين والغرباء القادمين القاطنين فى الجوامع والمدارس والخوانق والزوايا رغيفين رغيفين ، وكان إذْ ذَاكَ كثير من الناس يأْكل خُبْزَ الشَّعير وخبز الحِمَّصِ والفُول ، ومنهم من كان لا يجدُ الخبزَ أصلاً عشرة أيام وأكثر ، حتى الأَغنياءُ منهم ومعهم [المال][1] يدورون فى المدينة وسواحل البحر ، ولايجدون شيئًا ، فإن وجدوا وجدوا بعض شىءٍ بمشقةٍ . وقد وقعَ للمَلِكِ الظاهر قبله أنه وقع فى أيامه غلاءٌ ، ففرَّق فى كل يوم عشرين ألف رغيف على فقراء مصر والقاهرة ، وذلك فى سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، ولكن أين هذا من ذاك ؟ ! فإن القمح بيع فى أيام الظاهر فى ذلك الغلاء كل أردبٍ بمائة وستين درهما ، وفى أيام مولانا المؤيَّد حين كان يُفَرِّقُ الخُبْزَ بلغ الإردب مطحونًا إلى ألفٍ كما ذكرنا ، والفرق بين القصتين مثل ما بين الثُّرَيَّا والثَّرَى ، ومع هذا كانت شُوَنُ الملك الظاهر مملوءةً بالقمح وغيره ، وكذلك شُونُ الأُمَراء والأَعْيَان ، ولم يكن فى شُونَة مولانا الملك المؤيَّد قدحٌ من القمح ، ولا فى شُوَنِ الأُمراء إلا نَزْرٌ يسير ، حتى إنَّ مولانا السلطان المؤيَّد أرسل مع زيْنِ الدِّين مُرْجَان عشرةَ آلاف

(1) ما بين الحاصرتين إضافة على الأصل ليستقيم المعنى .

دينار إلى الوجه القبلى ؛ ليشترىَ بها قمحًا لأجل مصالح المسلمين ، فحصل لهم بذلك خيرٌ كثير ورفْق عظيم .

ومن جملة محاسن مولانا السلطان وإحسانه إلى أهل العلم : أنه لما قَدِم الشيخ شمس الدين الهَرَوِىّ[1] من القدس الشريف إلى القاهرة تلقاه بالقبول والتعظيم ، ثم أنزله فى بيت عظيم ، ورتَّب له كل يوم مائتى درهم ، وثلاثين رطلاً من اللحم الضان ، وَأَنْعَمَ عليه ببدلتين من القماش المختلف ما بين صوف وسِنْجَاب وأبيض وغير ذلك ، وأَرْكَبَه فرسًا خاصًا بسرج مغرق[2] كامل العدة . وهذا شىءٌ لم يفعله أحدٌ من ملوك الترْك قبله .

ومن ذلك أنه أنعم على شخص من أهل العلم قدم من البلاد يدعى قطب الدين بمائة دينار بعد أن اجتمع به مرّة أو مرتين .

ومن ذلك أنه لما قدم القاضى علاءُ الدين بن المغلى الحنبلى الحموى[3] تلقَّاه بالقبول ، وأحسن إليه غاية الإحسان ، ورتب له مرتبات ، ثم ولاَّهُ قضاء القضاة الحنابلة بالديار المصرية يوم الإثنين الثانى عشر من صفر من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة .

---

(١) هو قاضى القضاة شمس الدين بن عطاء الله بن محمد بن أحمد بن محمود ؛ ولد بهراة سنة ٧٦٧ هـ ، وفاق فى العقليات ، وولى قضاء الشافعية وكتابة السر . ومات فى ذى القعدة سنة ٨٢٩ هـ .

حسن المحاضرة للجلال السيوطى ١ : ٢٣٦ .

(٢) سرج مغرق : أى مطعم بالفضة أو غيرها من المعادن .
(محيط المحيط) .

(٣) هو قاضى القضاة علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر الحموى . مات فى صفر سنة ٨٨٢ هـ .

الجلال السيوطى — حسن المحاضرة ١ : ٢٠٦ .

ومن ذلك أنه لما قدم الشيخ تقى الدين ابن الحبتى الحموى الحنفى[1] أنعم عليه إنعامًا عظيمًا ، وقرّره قاضى العساكر ، ومفتى دار العدل ، وكل ذلك لتعظيم العلم وأهله .

ومن ذلك أنه لما شَغَرَ منصبُ قاضى القضاة الحنفية بالدّيار المصرية بموت ناصر الدين ابن العديم[2] ، وسعى بعض الناس بالذّهب الجزيل لم يلتفت مولانا السلطان إلى ذلك حِفْظًا لِحُرْمَةِ الشرع ، وأرسل إلى الشيخ شمس الدين ابن الديرى[3] الحنفى المفتى بالقدس الشريف ، فلما قدم تلقّاهُ بالقبول ، ثم ولاه قضاء قضاة الحنفية يوم الإثنين السابع عشر من جمادى الأُولى من سنة تسع عشرة وثمانمائة .

ومن جملة تعظيمه للعلم وأهله ومحبّته لسُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه صرف جملةً من الذهب والفضة لقرّاء البُخَارى وسامِعِيه فى القَصْر السلطانى ، ولم يصرف من الملوك قبله مثل[4] ذلك ، وكذلك صرف لقراء الطَّحَاوِى[5] مائة وخمسين دينارًا

---

(١) هو الشيخ المحدث تقى الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الحبتى الحنفى قاضى العسكر بالديار المصرية توفى سنة ٨١٩ هـ .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٤ ط كاليفورنيا .

(٢) هو قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن كمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن أبى جرادة وابن العديم الحلبى الحنفى ، توفى ليلة السبت تاسع ربيع الآخر سنة ٨١٩ هـ .
المرجع السابق ٦ : ٤٥٥ ط كاليفورنيا .

(٣) هو قاضى القضاة شمس الدين ابن محمد بن عبد الله المقدسى ، مات فى ذى الحجة سنة ٨٢٧ هـ .

الجلال السيوطى — حسن المحاضرة ١ — ٢٠١ .

(٤) فى الأصل « من » ولعل الصواب ما ذكرته .

(٥) الطحاوى : انظر التعليق ٣ ص ٤ ؟ .

مصارفتها أربعونَ ألفًا فلوسا جددا ، وكان الناصر قبله يصرف أربعةَ آلافٍ فلوسًا ، فلننظر الفرقَ بين العطاءين ، وكان ذلك فى كل سنة فى شهر رمضان .

ومن ذلك أن الشيخ محيى الدين يحيى ابن الشيخ سيف الدين السيرامى[1] شيخ الظاهرية[2] الجديدة كان قد ضاقت به الأحوال ، واشتدت به الفاقة إلى أن أراد أن ينتقل من الديار المصرية ، وبلغ السلطان ذلك فمنعه من ذلك ، وأحسن إليه غاية الإحسان ، ورتّب له من الجوالى[3] شيئًا يبلغ مائة درهم زيادة على مابيده [٤٩] من الوظائف ، وذلك كله لمحبة العلم وأهله .

ومن ذلك أنه أحسن إلى الشيخ شرف الدين ابن الشيخ جلال الدين التُّبانى غاية الإحسان ، وأنعم عليه بوظائف منها النظر على الكُسْوَة[4] ، ووكالة بيت[5] المال ، ومشيخة

---

(١) هو يحيى بن يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى (بالسين ويقال أيضاً بالصاد) القاهرى الحنفى . ولد قبل الثمانين وسبعمائة ، واختص بالمؤيد ، وتوفى بالطاعون سنة ٨٣٣ هـ .
السخاوى – الضوء اللامع ١ : ٢٦٦ و ٢٦٧ .

(٢) المدرسة الظاهرية الجديدة . بخط بين القصرين ويقال لها اليوم جامع السلطان برقوق ، ولا تزال قائمة عامرة بالشعائر الدينية بشارع المعز لدين الله الفاطمى وقد تم بناؤها سنة ٧٨٨ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١١ : ٢٤٠ والهامش .

(٣) الجوالى : هى الضرائب – السلوك للمقريزى . فهرست الألفاظ الاصطلاحية ١ : ١١٦٥

(٤) النظر على الكسوة : وظيفة موضوعها شئون خزانة الكسوة ، وهى خزانة الخاص وفيها الحواصل من الديباج الملون الدبيقى والسقلاطون وغير ذلك من أنواع الأقمشة الفاخرة وكذلك الطشت خاناه وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى .
القلقشندى – صبح الأعشى ٣ : ٤٧٢ .

(٥) وكالة بيت المال : وظيفة دينية موضوعها مبيعات بيت المال ومشترياته من أرض ودور وغير ذلك ، والمعاقدة عليها ، ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل .
القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ٣٧ .

الشيخونية[1] ، والمرتب على الديوان المفرد[2] بجملته ، والمرتب على الجوالى بجملته زيادة على ما بيده من الوظائف الدِّينيَّة القديمة .

وكان السلطان الملك الناصر حسن قد أنعم على الشيخ الإمام العلامة الإتقانى قوام الدين[3] بالتدريس فى الجامع المَارْدِينى[4] ، ومرتبه يناهز ثلاثمائة درهم ، وكان الناس يضربون به المثل ، وأن الأمير شَيْخُون قد فوَّض مشيخة خانقاته إلى الشيخ أكمل الدين البابرتى[5] ، وكان هذا أمرًا عظيما عند الناس ، وكذلك الأمير صَرْغَتْمُش فوَّض مشيخة مدرسته[6] إلى الشيخ

---

(1) الشيخونية : هى خانقاه الأمير سيف الدين شيخون العمرى الناصرى، بناها سنة ٧٥٦ هـ، ويقابلها مسجد شيخون وهى بشارع الصليبية الحالية .

على مبارك – الخطط التوفيقية ٢ : ١٦ .

(2) ديوان المفرد : الديوان المختص بما أفرد من البلاد لصرف غلتها على مماليك السلطان من جامكيات وعليق وكسوة . ويقال إنه من منشآت العصر الفاطمى فى مصر .

القلقشندى – صبح الأعشى ٤ : ٤٥٧ .

(3) هو أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى قوام الدين أبو حنيفة الاتقانى ، كان إماماً فى مذهب الحنفية . له شرح الهداية وشرح الاخسيكثى وغيرهما . توفى فى شوال سنة ٧٥٨ هـ .

الجلال السيوطى – حسن المحاضرة ١ : ٢٠٠ .

(4) الجامع الماردينى : بجوار خط التبانة خارج باب زويلة، بناه الأمير الطنبغا الماردانى ومنقوش على يمين منبره أن الأمير أنشأه فى شهور سنة ٧٤٠ هـ .

(على مبارك – الخطط ٥ : ٩٨ و ٩٩) ولا يزال موجوداً تقام به الشعائر حتى الآن .

(5) هو محمد بن محمد بن محمد البابرتى . أكمل الدين . له شرح الهداية وشرح المنار وشرح مختصر ابن الحاجب وغيرها – مات فى رمضان سنة ٧٨٦ هـ .

الجلال السيوطى – حسن المحاضرة ١ : ٢٠٠ .

(6) مدرسة صرغتمش : بناها الأمير صرغتمش فى الفترة من رمضان سنة ٧٥٦ هـ إلى جمادى الأولى سنة ٧٥٧ هـ وتقع فى شارع الصليبية على يمين المتجه إلى القلعة تجاه مسجد الخضيرى .

على مبارك – الخطط ٥ : ٣٨ .

الإمام العلامة قوام الدين الإتقانى ، وكان فى أَلْسِنَةِ الناس أمراً عظيماً . فاطلب الفرق بين هذا وبين ما فعله مولانا المؤيد بواحدٍ من العلماء المذكورين تجِدْهُ كما بين السماء والأَرض .

ومن جملة تعظيمه للعلم والعلماء شَرَع فى بناء مدرسة وجامع بحذاء باب الزويلة ، وكان شروعهم فى هدم خزانة الجبس[1] والأَملاك المجاورة لها فى العشر الأُوَل من ربيع الآخر من سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ، وكان الشروع فى حفر أساسها يوم الخميس الرابع من جمادى الأُخرى من السنة المذكورة ، ورتّب فيها صُنَّاعًا وبنَّائِين ومهندسين وعَتَّالين وفعلة وغيرهم من أُنَاسٍ كثيرين ، ورتَّب دوابّ كثيرة من الحمير والجمال برسم نقل الأَتربة والحجارة والطين وغير ذلك ، ولقد سمعتُ مولانا السلطان المؤيّد نصره الله يقول : يصرف فى كل يوم برسم علائِق دوابّ العمارة خمسمائة عليقة ، والمسئول من الله تعالى إتمامها بفضلِهِ وكَرَمِهِ - وهذا كله من غاية محبته للعلم والعلماء ، واجتهاده فى إقامة منار الشريعة ، ورفع أهلها الأَجلاء . فاللهُ تعالى يُديم نِعَمَهُ عليه ، ويسوق سُحُبَ فضلِهِ إليه .

---

(١) هى خزانة شمايل ، وكانت سجناً يحبس فيه أصحاب الجرائم . نسبت إلى « شمايل » ؛ والى القاهرة فى عهد الملك الكامل ، وكان الملك المؤيد شيخ من جملة من حبس فى خزانة شمايل فى دولة الناصر فرج بن برقوق وقاسى بها شدائد عظيمة ، فنذر فى نفسه إن خلص من هذه الشدة وصار سلطاناً أن يهدم هذا السجن ويبنى مكانه جامعاً . فلما تولى الملك بعمر هدمه وبنى هذا الجامع والمدرسة . وتم البناء فى سنة ٨٢٢ هـ .
بدائع الزهور لابن إياس ٢ : ٦ .

الفصل التاسع

فى استحقاقه السلطنة من حيث قربه من الناس وتواضعه واختلاطه بالعلماء والفقراء

اعلم أن التواضع أمر ممدوح ، فإذا كان من المَلِك يكون أوقعَ فى المدح ، وقال صلى الله عليه وسلم «من تواضع لِلّه ألبَسَهُ الله حُلَلَ الكرامة يوم القيامة » أما تواضع مولانا السلطان فأجل من أن يخفى على أحدٍ ، قد علم بذلك جميع الناس ؛ وذلك لأنه يصل إليه كل من يقصده ولا يُمْنَعُ من بابه ، ولذلك ازدحمت على بابه أهل العلم والفقه والحديث ، وأصحاب الفضائل والنوادر ، وأصحاب سائر الصناعات الدَّقيقة ، بخلاف من كان قبله من الملوك ، فإنهم كانوا محجوبين ، وأهل الفضائل عنهم ممنوعين ، حتى إن أحدًا من ذوى الحاجات ، أو من ذوى الفضل والأدب لو أراد أن يجتمع بواحد منهم لكان يحتاج إلى زمنٍ طويل ، وإلى وسائط كثيرة من الناس ، ولذلك كانت أماكنهم خاليةً من العلماء ومجالسُهم خاويةً من الفضلاء .

وأما اختلاطه بالعلماء والفقراء فظاهر . فلذلك كان
يوم الأحد والأربعاء يجتمع عنده جماعةٌ من العلماء وطائفةٌ
من الصلحاء، يقعدون عنده ــ وهوفيما بينهم كأحدهم ــ من
قَبْلِ العصر بساعةٍ إلى قُرْبِ المغرب فى القصر ، يتباحثون
بالعلوم الشريفة ويتذاكرون من المسائل العويصة ، وهو
٥ يسمعهم وربما يشاركهم بلطفٍ وأدب ، ثم إذا فرغوا يأمر
بأن يسقوا من السُّكَّرِ المكرّر المُعَدُّ لنفسه فى سلطانيات كبار ،
فى كل سلطانية قطعة كبيرة من الثلج فى أيام الصيف
والهواجر ، وهذا شئٌ لم يفعله أحدٌ من الملوك قبله ، وكذا
يجتمع عنده فى غالب ليالى الجمع جماعةٌ من الفقهاء وطائفة
١٠ من القرَّاء والوعاظ ، فيقعد معهم إلى أنصاف الليالى ، فالقرَّاء
يتلون كتاب الله ، والعلماءُ يتباحثون بالعلوم ، والوعاظ
ينشدون القصائد والموشحات ، ويمضى كل وقت لايوجد له
نظير ، وأعدَّ لهم من الأطعمة المختلفة، والمواكيل الطيبة
والمشارب الرائقة ، والفواكه البديعة ؛ بحيث إنَّهم يأكلون
١٥ من ذلك ويحملون ، وهذا شئٌ لم يفعله أحدٌ قبله
من الملوك . ومع هذا يُحْسِن إلى كل واحد منهم بحسب
ما يليق بحاله . ومن جملة من أحسن إليه مؤلف هذه السِّيرة
المؤيَّدِيَّةِ من ذهب وفضة ، وخِلْعَة بتقريره فى الحِسْبَة[1] الشريفة

(١) الحسبة : من الوظائف التى ينظر صاحبها فى رقابة التجار على اختلاف أنواعهم ، والسقائين
٢٠ ومعلمى الصبية ومعلمى السباحة ؛ وينظر فى المكاييل والموازين ودار العيار، وينبه الجميع إلى =

بالقاهرة المحروسة ، ثم بخلعة أُخرى بتقريره فى نظر الأحباس[1] بالديار المصرية ، وكل ذلك كان مِنّةً على المؤلف انعامًا ، فنرجو من الله تعالى دوامَ سعادته ، وطولَ أيامه ، إنه على ذلك قَدير .

= مايجب عليهم ، ويراقب تضيد التبيهات ، ولايحال بينه وبين مصلحة رآها ، والولاة تساعده فى وظيفته إذا احتاج لذلك .

الخطط للمقريزى ١ : ٤٦٣ و ٤٦٤ صبح الأعشى للقلقشندى ٣ : ٤٨٧ و ٥ : ٤٥١

(١) نظر الأحباس : نظر الأوقاف .

السلوك للمقريزى ٢ : ١٠٧٩ فهرست الألفاظ الاصطلاحية .

٥

الفصل العاشر

في استحقاقه السلطنة

من حيث تعينه لها لانفراده في زمنه لعدم من يدانيه أو يقاربه

اعلم أن الشخص إذا انفرد بأوصافٍ وتعيَّن بها لاستحقاق وظيفة من الوظائف يجب عليه أن يقبل تلك الوظيفة لتعيُّنِهِ لذلك ، حتى إذا لم يقبل وتولىّ من لم يتعيَّن لذلك أَثِمَ كِلاهُما ، أما المتعيّن فلتَرْكِهِ الواجبَ عليه ، وأما الآخر فلإقدامِهِ على أمرٍ غيرُه أَوْلَى بِتَعْيِينِهِ فيه ، مع عدم قدرته على أداء حقوق ذلك الأمر ، وسواءٌ كانت تلك الوظيفة وظيفة قضاء ، أو ولاية على موضع ، أو سلطنة على إقليم ، أو وظيفة تدريس أو مشيخة ، وغير ذلك من الأسباب . فإذا تولَّى وظيفةً مَن هو غيرُ أهلٍ لها أو عاجز عن أداء حقوقها يظهرُ منه فسادٌ عظيم ، ويختلّ نظام أُمور المسلمين ، وقد فسدت بلادٌ كثيرة بتولية من لايصلح للولاية ، يَقِفُ على ذلك من ينظر فى تواريخ الملوك والحكّام ، ولا ينكر ذلك إلّا مُعَانِد .

فمن ذلك عرفت أن مولانا الملك المؤيّد قد كان معيّنا

للسلطنة ، والسلطنة كانت مُتَعَيِّنَةً له ؛ لوجود شروط السلطنة فيه . وقد ذكرناها فيما مضى ، وإنما قلنا إن السلطنة قد تعيّنت له وهو قد تعيّن لها لانفراده فى زمنه فى المملكة الإسلامية وأهل مملكتها من الترك والْجَرْكَس والرّوم .

أما من التُّرك فظاهرٌ ، ومن الرّوم كذلك ؛ فإنه لم يكن فى هاتين الطائفتين أحدٌ يماثل مولانا المؤيّد ولا يُدَانِيه ولا يقرُب منه ؛ لوجود الصفات المذكورة فى مولانا المؤيد وعدمها فيهم ، مع شهرته العظيمة ، وبعد صيته فى البلاد ، وعند ملوك الأَطراف ، وتقدُّم الولايات له فى القلاع الإسلامية [٥٠] والبلاد الشامية والحلبيّة والصَّفديَّة والطرابُلسيَّة والكَرَكِيَّة وغير ذلك كما ذكرناه .

وأما من الجَرْكَس فكذلك لم يكن فيهم من يشابهه ولا يقاربه .

وأما ما كان من نَوْرُوز فإنه لم يكن أهلاً لأَن يكون حاكِمًا ؛ لأَنه كان عَسُوفًا جبّارًا متكبِّرًا غَضُوبًا سريع الغضب بطىء الرُّجوع . والغضب هو عدوّ العَقْل وآفتُه ، ولم يكن فى غضبه مائلا إلى جانب العفو ، بل كان مُصِرًا على الانتقام .

ومولانا الملك المؤيّد بخلاف ذلك لأَنه حليم رحيم متواضع بطىءُ الغضب ، سريع الرجوع ، مائل فى غضبه إلى جانب العفو ، غير مُؤيِّد للانتقام ، فلذلك قَدَّمَه الله عليه وعلى غيره

على رغم آنافِهِم[1] ، وكساه حُلَّةَ السَّلْطَنة ، وزيَّن به مملكة الإسلام ، وأقام به منار الشرع والعدل .

ومن جملة تواضعه أنه كان عنده جمع من العلماء ، وزمرة من الفضلاء يوم الأحد مستهل جمادى الأولى من سنة تسع [عشرة][2] وثمانمائة ، وكانوا يتذاكرون فى المسائل الفِقْهِيَّة والعلوم الشريفة إلى أن انتهى كلامُهُم إلى ذكر الخُطْبَة وحال الخُطَبَاء ، فعند ذلك أمرَ مولانا السلطانُ المؤيّد لخَطِيبَيْن كانا هناك من أكابر الخطباء وهما الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش[3] خطيب جامع أحمد بن طولون ، والشيخ شهاب الدين بن حَجَر[4] ، أنهما إذا كانا يخطبان وهما قائمان على درجة من درجات المنبر ينزلان إلى درجة أسفل من تلك الدرجة عند وصولها إلى ذكر اسمِهِ تعظيمًا لاسم اللهِ سبحانه وتعالى ، وتَوْقِيرًا لاسم النبىّ صلى الله عليه وسلم ، حتى لا يتساوى اسمُه مع اسم الله واسمِ رسوله عند الذُّكْر فى

---

(1) الآناف : جمع أنف .
(محيط المحيط) .

(2) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل ليستقيم السياق .
وانظر النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٩ ط كاليفورنيا .

(3) هو زين الدين أبو هريرة عبد الرحمن بن شمس الدين محمد بن أبى أمامة بن على ابن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحمن الدكالى الشافعى المعروف بابن النقاش . توفى سنة ٨١٩هـ . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٦ ط كاليفورنيا .

(4) هو شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى من أئمة العلم والتاريخ . أصله من عسقلان وولد وتوفى بمصر ، وولى قضاءها مرات ، وله تصانيف كثيرة . مات سنة ٨٥٢هـ . الزركلى ــ الأعلام ١ : ٥٢ و ٥٣ ط أولى

مكان واحد ، فهذا يدل على غايةِ حُسْن الاعتقاد ، وغاية تواضعه ، فمن يكون هذا اعتقاده ، وهذه الصفات الحميدة صفاته كيف لايستحق السَّلْطَنة ؟ وهذا الذى أمر به للخطباء شىء لم يفعله أحدٌ من الملوك لا مِنَ المتقدمين ولا من المتأخرين ، فإن أرَدْتَ صِدْقَ ذلك فانظُر فى تواريخهم وسيَرِهم ، فلهذه الأُمور اختاره الله تعالى لهذا المنصب العظيم ، وجعله نائب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسلكه فى زمرة من سلكهم فى ظلّه حيث قال نبيُّه الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأشرف التسليم : السلطانُ ظِلُّ الله فى الأَرض يأْوى إليه كل مظلوم .

ومن ذلك أنه أَخْبَرَ بتوليتِه الشريفة قبل وقوعها جماعةٌ من الصلحاء ، وأهل الخير ، وبعض أهل الملاحم[1] فى بعض مؤلفاتهم ، ورأيت فى شرح ملحمة ابن عربى[2] يذكر صفات مولانا السلطان ، وتوليته السلطنة بالديار المصرية ، ومن جملة ما ذكر ابن عربى أنه يتولى بعد الباء والفاء والعين شين ،وقد ظنَّ بعض الناس أنه من شعبان أو نحوه ؛ قال الله

(١) أهل الملاحم : هم المشتغلون بالفلك والتنجيم .

(٢) فى الأصل «ابن العربى» ، والصحيح ماهنا ، وهو الفيلسوف محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى أبو بكر ، المعروف بمحيى الدين بن عربى ؛ الملقب بالشيخ الأكبر . ولد فى الأندلس وزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز ، واستقر فى دمشق فتوفى فيها سنة ٦٣٨ هـ . له نحو ٤٠٠ كتاب .

الزركلى : الأعلام ٣ : ٩٤٨ ط أولى .

فوات الوفيات ٢ : ٢٤١ .

تعالى : «إِنَّ بَعْضَ الظَّن إِثْمٌ»[1] ولم يدروا أنَّ هذا هو الشين الذى ذكَرَ الله تعالى نظيرَه فى القرآن على مارمزنا إليه فيما تقدم ، وَرُئيت له مناسباتٌ صالحة منها ما دلَّت على وقوع سلطنته ، ومنها مادلَّ على حسن حاله وطول أيامه ، ومنها ما رآه الفقير إلى الله تعالى حسن الأُحمدى ، وذكر أنه كان نائما فى ليلة الجمعة السابع عشر من ربيع الأول من سنة تسع[2] وثمانمائة ، ورأى نفسه أنه كان مارًا تحت قلعة الجبل ، وكان تحتها ناس كثيرٌ ، يقول بعضهم لبعض انظروا ، فنظروا فإذا بطائرين عظيمين على سور القلعة ، كل واحد قدر الجمل العظيم ، ثم رأيتهما تحولا شابَّيْنِ من أحسن مايكون ، وفى ظَنِّى أنهما مَلَكَان مِنَ الملائكة ، وتحوّل سورُ القلعة جَدِيدًا ، ثم بَسَطَا أيديَهُمَا وسألا الله تعالى لمولانا السلطان يقولان : يارب خِلْعَةً للسلطان ، وإذا فى يَدِ أحدهما سيفٌ فناوله لمولانا السلطان ، فهزَّهُ السلطانُ بيده فخرج منه نورٌ حتى بانت أرض الشام وما فوقها ، وقائل يقول : انظروا إلى هذا النور كيف دخل إلى بلاد لم يملكها ملكٌ أبدًا ، فالتفت ذلك المَلَكُ إلى الناس وقال : إن الله أعطاهُ ، وعلى العباد ولّاه ، وبلّغه مناه ، والمخذول من عاداه ، ثم

---

(1) الآية رقم ١٢ من سورة الحجرات .

(2) فى الأصل تسع عشرة وثمانمائة ، وهو خطأ ، لأن المؤيد شيخ تولى سنة ٨١٥ هـ . وإذاً فلا محل للإرهاص بتوليه السلطنة فى سنة ٨١٩ هـ .

إنهما اختفيا عن أعين الناس ، ثم إنى رأيت مولانا السلطان والسيفُ بيده راكبا على فرس أخضرَ وعليه قباءٌ أحمرُ . والناس ينظرون إليه وقد خرج من مكان ضيِّق إلى مكان واسع خضر نضر ، وقد حصل له بسطة فى جسمه وعلا علوًّا حتى مَسَكَ الشمس بيده ، فخطر للفقير أن يسكت عن هذا الأمر ، وإذا بقائل يقول : لاتُخْفِه ، فانتبهتُ فرِحًا مسرورًا .

وبلغنى عن شخص من أهل العلم أنه حكى عن شخص من أهل الصَّلاَح أنه رأى مولانا المؤيَّد قبل تسلطنه وهو واقف على سطح الكَعْبة المشرفة ، وبيده مكنسة يكنس بها سطح الكعبة ، فقصَّها على شخص من أهل العلم فقال : إن صَدَقَ منامُك يتولى هذا الرجلُ السلطنة ؛ لأَنَّ كنس سطح الكعبة خدمةٌ لها ، والسلطانُ يُدْعَى خادمَ الحرمين — وهكذا وقع ، والله وَلِىُّ التوفيق .

الباب السابع

فيما ينبغي له أن يفعل وما لا يفعل

اعلم أنّه من جملة الواجبات أن يعرف الملكُ قدرَ الولاية ، ويعلم خطرها ، فإن الولاية نعمة عظيمة من نالها نال من السعادة ما لا نهاية له ، والدليل على عظم شأنها وجلالة قدرها ما روى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال « عدلُ السُّلطان يوما واحدًا أفضلُ من عبادة سبعين سنة » وقال صلى الله عليه وسلم « والذى نفسُ محمدٍ بيده إنه لَيُرْفَعُ لِلسُّلْطَان العادل إلى السماء من العمل الصالح مثلُ جملة عمل رعيته ، وكل صلاة يُصليها تعدل سبعين ألف صلاة » فإذا كان كذلك فلا نعمة أجل من أن يُعْطَى العبدُ درجة السلطنة ، وتُجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره .

ويحكى أن ملك الرّوم أرسل إلى عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه لينظر إلى أفعاله ، فلما دخل المدينة قال : يا أهل المدينة أين ملككُم ؟ قالوا : مالنا ملك بل لنا أميرٌ قد خرج إلى المدينة ، فخرج الرسول فى طلبه ، فرآه نائما فى الشمس فوق التُّراب على الأرض ، وقد وضع الدّرّة تحت رأسه كالوسادة ، فلما رآه الرّسول على هذه الصفة وقع الخشوع فى قلبه فقال : رجل تهابه جميع الملوك فى أقصى الأرض ولا يقرُّ لهم قرارٌ

من هيبته وتكون هذه حالته ! ولكنك ياعمرُ عَدَلْتَ فأَمِنْتَ فنمت ، وملكنا يَجُورُ ولا جرم أنه لايزال ساهرًا خائفًا ، أَشْهَدُ أَنَّ دينكم هذا هو الدِّين الحق — فَأَسْلَمَ .

ومنها أن يشتاق [٥١] أبدًا إلى رؤْيَة العلماء ، ويحرص على استماع نصحهم ، وأن يَحْذَر من رؤْيَة علماء السوء الذين يَحْضُّون على الدُّنْيا ، فإنهم يُثْنُون عليك ويَغُرُّونَك ، ويطلبونَ رِضَاكَ ، طمعًا لما فى يدك من حُطَام هذه الدنيا ؛ لِيُحَصِّلُوا منه شيئا بالمكر والخداع والحِيَل .

ومنها أنه لاينبغى للملك أن يقنع برَفْعِ يَدِهِ عن الظلم ، لَكِنْ يُهَذِّب غِلْمَانَه وأصحابَه وعمَّالَه ونوّابَه ، ولا يرضى لهم بالظلم ، فإنه يُسْأَل عن ظلمهم كما يُسْأَل عن ظلم نفسه . وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى عامله أبى موسى الأشعرى : أما بعد . فإن أسعدَ الوُلاة من سَعِدَت به رعيَّتُه ، وإنَّ أشقَى الوُلاة من شَقِيت به رعيَّتُه ؛ فإيَّاك والتَّبَسُّطَ فإن عمالك يقتدون بك فى الأُمور ، وإنما مثلك مثل دَابَّة رأت مَرْعًى مخضرًّا فمالت إليه ترعى منه وسَمِنَت ، وكان سمنها سبب هلاكها ؛ لأنها بذلك السمن تذبح وتؤكل .

ومنها أنه فى كل واقعة تصل إليه وتعرض عليه فينبغى أن يُقَدِّرَ أنَّه واحدٌ من جملة الرعيَّة ، وأنَّ الحاكم سواه ،

وكل ما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لأحد من المسلمين ، وإن هو رضى لهم بما لا يَرْضَاه لنفسه فقد خان رعيَّتَه ولم يَعْدِلْ فى أهل ولايته . ويُحْكَى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم كان قاعدًا يوم بَدْرٍ فى ظلٍّ شجرة فهبطَ عليه جبريلُ عليه السلام فقال : يا محمد تَقْعُدُ فى الظِّلِّ وأصحابُك فى الشَّمْس ؟ فَعُوتِب فى هذا القَدْرِ .

ومنها ألا يَحْقِرَ انتظارَ أرباب الحَوَائِج ووقوفَهُم بِبَابِ دَارِه ، ويَحْذَر من هذا الخطرِ العظيم ، ومهما كان لأحد من الخلق من حاجة فلا يشتغل عنه بنوافل العبادة . فإنَّ قضاء حوائج المسلمين أفضل من نوافل العبادة . وكان عمرُ بن عبد العزيز يوما يقضى حوائج النَّاس فجلس إلى الظُّهر وتَعِب ، فدخل داره ليستريح من تعبه ، فقال له ولدُه : وما الذى وما الذى[1] يوشك أن يَأْتِيَكَ مَلَكُ الموت وعلى بَابِك منتظرٌ لحاجته إليك وأنت مُقَصِّرٌ فى حَقِّه ، فقال : صدقت يابنىّ ، ثم نَهَض وعاد إلى مجلسه .

ومنها أنه لا يُعَوِّدُ نفْسَه الاشتغال بالشهوات ، من لبس الثِّيَاب الفاخرة ، وأكل الأطعمة الطيِّبة ، لكن يستعمل القناعة فى جميع الأشياء ، فلا عَدْلَ إلَّا بالْقَنَاعة .

وحكى أن عمرَ بنَ الخطَّاب رضى الله عنه قال يوما لبعض الصالحين : هل رأيت شيئا من أحوالى تكرهُهُ ؟ قال : سمعت

(١) كذا فى الاصل . ولعل المعنى وما الذى يتجبك وما الذى تحذر به ؟

أنَّك وضعتَ رغيفين فى مائدتك ، وأنَّ لك قميصين . أحدهما للَّيل والآخر للنَّهار ، فقال له عمر رضى الله عنه : هل غير هذين شىء ؟ [فقال لا[1]] فقال : والله إن هذين أيضا لايكونان .

ومنها أن يجتهد أن ترضى عنه جميعُ رعيته بموافقة الشرع ، وينبغى ألا يغْتَرَّ بكل من وصل إليه وأثنى عليه ، وألَّا يعتقد أن جميع الرعيَّة مثله راضون عنه ، فإن الذى يُثْنِى عليه إنما يفعل ذلك من خوفِهِ منه أو من طمعه ، بل ينبغى أن يُرَتِّب ناسًا يعتمد عليهم يسألون عن حالاته من الرعية ، ويتجسَّسون ليعلم عيبه من ألسنة الرعية .

ومنها ألَّا يَطْلُبَ رضاء أحدٍ من الناس بمخالفته الشرع ؛ فإنه من سخط بخلاف الشرعِ لايضُرُّهُ سخطه ، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : إننى أُصْبِحُ كلَّ يوم ونصفٌ الخلق علىَّ ساخِطٌ ؛ ولابد لكل من يؤخذ منه الحق أن يسخط .

ومنها أنه ينبغى للملك أن ينظر فى أمور رعيته ، ويقف على قليلها وكثيرها ، وجليلها وحقيرها ، ولا يشارك رعيته فى الأشياء المذمومة ، ويجب عليه احترام الصالحين ، والمسارعة فى نصيحة العارفين ، وأن يثيب على الفعل الجميل . ويعاقب المفسد على ارتكابْ الفساد ، ولا يحابى من أَصَرَّ على المعصية من العباد ؛ ليُرَغِّبَ الناس فى الخيرات ويتجنبوا من

(١) مابين الحاصرتين سقط فى الأصل وإثباته يستقيم السياق .

السيئات ، ومتى كان الملك بلا سياسة ولم يَنْه[1] المُفْسد عن الفساد ، وتَرَكَهُ على المراد ، أفسد سائر الأمور فى البلاد .

قالت الحكماء : طباع الرعية نتيجة طِبَاع المَلِكِ ؛ لأنَّ للعامة يقتدون بملوكهم ، ويتعلَّمُون منهم ، ويلزمون طباعهم .

قالت الحكماء : الملك كالسُوق . وكل أحد يجلب إلى السوق ما يعلم أنه نافق ، وإن الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم ، والله تعالى لايَخْفَى عليه شئ من أفْعَال عبيده ، وإنه ينصف المظلوم فى الدنيا ولكِنْ نحْن غافلون .

وحُكِىَ أنَّ موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يناجى ربَّه على الطُور فقال : إلٰهى أرِنى من بَعْضِ عَدْلِكَ ، فقال : ياموسى لاتصبِرُ على ذلك . فقال : إلٰهى أصبرُ بمشيئتك . فقال : امضِ إلى العين الفلانية ، واقعد بإزائها مختفيا ، وانظر إلى قدرتى وعلمى بالغيوب ، فمضى موسى وصعد إلى تلٌ بإزاء تلك العين وقعد مخفيًا ، فوصل إلى العين فارسٌ فنزل عن فرسه ، وتوضَّأَ من العين ، وشرب ، وحلَّ من وسطه هِمْيَانا[2] فيه ألف دينار فوضعه إلى جانبه وصلى ، ثم ركب ونسىَ الكيس فى موضعه ، فجاء بعده صبىٌ صغيرٌ فَشرب من الماء ، وأخذ الهمْيان ، ومضى فجاء بعده شيخ أعمى فشرب وتوضأ ووقف يُصَلِّى وذكَر الفارسُ الهمْيَان

(١) فى الأصل ولم ينه عن المفسد عن الفساد ، والخطأ واضح ، والصواب ماهنا .

(٢) الهميان : كلمة فارسية معناها كيس تجعل فيه النقود . المنجد ٨٧٤ .

فرجع إلى العين فوجد الشَّيخَ الأعمى فلزمه وقال : إننى نَسِيتُ هِمْيَانًا فيه ألفُ دينار فى هذا الموضع فى هذه الساعة ، وما جاء إلى هذا المكان أحدٌ سواك ، فقال : أنا رجلٌ أعمى كيف أبصرت هِمْيَانك ؟ فغضب الفارسُ من قوله ، وجذب سيفه فضرب به الأعمى فقتله ، وفتشه عن الهِمْيَان فلم يجده ، فتركه ومضى ، فقال موسى عند ذلك ؛ إلهى وسَيِّدى . قد نَفَدَ صبرى ، وأنت عادل ، فعرِّفْنى كيف هذه الأحوال ، فهبط جبريلُ عليه السلام ، فقال : ياموسى . البارى جلَّت قدرتُه يقول لك : أنا عَالِمُ الأسْرَار ، أعلَمُ مالا تَعْلَم . أما هذا الصبىّ الصغير الذى أخذ الهِمْيَان فأخذ حقَّه وملكه ، وكان أبو هذا الصبىّ أجيراً لذلك الفارس ، واجتمع له عليه بقدر ماقى الهِمْيَان ، فالآن وصلَ الصبىُّ إلى حقه ، وأما ذلك الشيخ فإنه قبل أن يَعْمَى قتل أبا ذلك الفارس ، فقد اقتصَّ منه ، ووصل كل ذى حقٍ إلى حقِّه ، وعَدْلُنا وانصافُنا دقيقٌ كما ترى ، فلما سَمِع موسى ذلك تحيّر واستغفر [٥٢]

ومنها أنه يجب عليه أن يسأل عن أحوال نُوَّابه وعمَّاله كلَّ ساعة ، فإذا تحقَّق عنده أنَّ أحدًا على غير طريق عزله وأبدله بغيره [١] ممن هو أهلٌ للولاية ، ويُوَصّى عند توليته بالنصح للمسلمين . وكان عمرُ رضى الله عنه إذا أنفذ عُمَّالاً إلى بلدٍ قال لهم : اشتروا دوابَّكُم وأسلحتكم من أرزاقكم ،

(١) فى الأصل « وأبدله بغير غيره ممن هو أهل الولاية » .

ولا تمدّوا أَيديَكُم إلى بيت مال المسلمين ، ولا تغلقوا أَبوابَكُم دون أرباب الحوائج .

ومنها أنه يجب على الملك أن يكون صاحب سياسة ؛ لأن الملك الذى لا سياسة له ليس له فى أعين الناس خطرٌ ولا محلٌ ، بل يكون الخَلْقُ عليه ساخطين ، يَذْكُرُونه فى كلِّ وقتٍ بالقَبِيح ، ويدعُونَ عليه فى الخلوات ، وفى أثناء اللَّيالى ، فلا يدوم مُلْكُه .

ومنها : ينبغى للملك أن يجعل وزيرَه الرأىَ ،ونَديمَهُ التَّدَبُّرَ فى الأُمور والإكثار من قراءة الأَخبار ، وحفظ سير الملوك ، والفحص عن الأَحوال ، وترك الغفلة والإهمال ، والنظر إلى الأَعمال التى اعتمدها الملوك وعملوا بها ، لأَنّ هذه الدنيا بقيّة دول المتقدمين الذين ملكوها ،ثم مضوا وانقرضوا ، وصاروا تذكاراً للناس ، يذكر كل إنسان منهم بفعله .

قال أرسطاطاليس : لِلدُّنْيَا كنز ولِلآخِرَة كَنْزٌ ، فكنز هذه الدنيا حسن الثناء ، وطيب الذكر ، وكنز الآخرة العمل الصالح ، واكتساب الأَجر .

وسأَل الإسكندر أرسطاطاليس : أيهما أفضل للملوك ، الشجاعة أم العدل ؟ قال الحكيم : إذا عدل السلطان لم يحتج إلى الشجاعة . .

وكان الإسكندر فى بعض الأَيام راكبا فى موكب فقال له

رجل من خواصه : إن الله سبحانه وتعالى قد أعطاك مُلْكًا عظيمًا فاستكْثِرْ من النِّساء لتكثرَ أولادُك فَتُذْكَرَ بهم بعد موتك ، فقال له الإسكندر : ليس ذِكْرُ الرجال بعد موتِهم بكثرةِ الأولاد لكن بحُسْنِ السِّيرَةِ والعدل فى الرعية ، ورجلٌ غلبَ رجالَ الدُّنيا وملوكَها لايجوز له أن تَغْلِبَهُ النساء .

ومنها : ينبغى للملك أنْ يُقسِّمَ النهار أربعة أقسام ، قسم لعبادة اللهِ وطاعتهِ ، وقسم للنظر فى أمورِ السلطنة ، وإنصاف المظلومين ، والجلوس مع العلماء والعقلاء ، وأرباب الآراء لتدبير أمور المملكة ، وأخذ رأيهم فى السياسة ، وإقامة الهيبة ، وانتظام أمور الجمهور ، وعمارة الثغور ، وكتابة الكتب، وإنفاذ الرسل ، وتركيب الحجة على الخليقة ليسلكوا أحسن الطريقة ، وقسم للأكل والشرب والنَّوم ، وأخذ الحظوظ من الفَرَحِ والسرور ، وقسم للصيد ولعب الكرة والصَوْلَجَان وما أشبه ذالك ، ولا ينبغى أن يواظب عليها ولا على لعب الشَّطَرَنْج والنَّرْد ونحوهما ، فإن المواظبة على هذه الأشياء تشغله عن النظر فى أمور الولاية ؛ فيتطرق عليه الخلل فى أمور المملكة .

ومنها : يجب عليه أن يَجْتَنِبَ مجالس الملاهى والمغانى والمسكرات وسائر المُنْكَرَات ، خصوصًا إذا واظب عليها فإن ذالك يشغله عن السياسة والعدل ، والنظر فى مصالح الرعية ، فيتطرق عليه الفسادُ ، ويقل مال الخزانة ، ويئول أمرُه إلى الضعف . وقال أرسطو طاليس : أربعة أشياء على الملوك من جملة الفرائض :

إبعاد الأشرار[1] عن مملكتهم ، وعمارة المملكة بتقريب العقلاء ، وحفظ آراء المشايخ وأولِي الحكمة والتَّجْرِبة ، والزيادة فى أمر المملكة بالإقلال من الأعمال الدنيَّة .

ويقال لما تولَّى الأمرَ عمر بن عبد العزيز كتب إلى الحسَن البَصْرِى : أن أعِنِّى بأصحابك ، فكتب إليه : أمَّا طَلَبُ الدُّنيا فلا تَنْصَحُ لك ، وأمَّا طلبُ الآخرة فلا تَرْغَبُ فيك[2] ، وتحت هذه معان كثيرة ، وما يعقلها إلا أُولو الألباب .

(1) الكلمة غير تامة فى الأصل وتكملتها كما هنا تتفق مع السياق .

(2) ولعل المعنى : إنك لست ممن يؤجر على نصحه يوم القيامة لأنك لست فى حاجة إلى نصيحة وتوجيه إلى طلب الآخرة .

الباب الثامن

في من يولّيه على خواص نفسه وعلى الرعيّة

اعلم أنَّ مما يتعيَّن على المَلِك إذا أراد أن يُوَلِّيَ جماعةً على خواص نفسه أن يختار من حاشيته أُمَنَاء الناس وأتقياءهم وخيارهم،خصوصاً على من يُولِّيه على مآكله ومشاربه ، ولايتهاون فى ذلك ، فإن كثيرًا من الملوك يأتى عليهم أُمورٌ ومفاسد من جهة هؤلاء ، ولذلك ينبغى ألاّ يُوَلِّيَ عملاً من أعماله مَن ليس أهلاً لذلك ، كيلا يقع الفسادُ فى المملكة . ألا ترى كيف حكى الله تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام « اجعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ »[1] ، يعنى أمينٌ كاتب حاسِبٌ . وسأل بعضُهم[2] بهرام جور : إلى كم يحتاج السلطان حتى يكون واثقًا بدوام دولته ، ويرضى عنه أهلُ مملكته ؟ فقال : يحتاج إلى ستة أشياء : أحدها الوزيرُ الصالحُ الأمين المُشْفِق ، الثانى الفَرَسُ الجَوَاد ليوصله يوم الحاجة إلى النَّجَاة ، والثالث السيف القاطع ، والسلاح المحكم ، والرابع المال الجزيل خصوصًا ما خَفَّ حَمْلُه وكثر ثمنه ، كالجوهر واللؤلؤ والياقوت وغير ذلك ، والخامس الزَوجَةُ الحسناءُ لتكون مؤنسةً لقلبه ، السادس الطبَّاخ الخبير الذى يكون له خبرة بأنواع الأطعمة وإيصاف الأدوية .

وقال أَرْدَشِير : يجب على الملك أن يطلب أربعة أشياء : الوزيرَ الصالح الأمينَ العاقل ، والكاتبَ العالم الورع ، والحاجبَ

(١) الآية رقم ٥٥ من سورة يوسف .

(٢) هذه الكلمة واردة فى هامش اللوحة بخط مغاير .

الشفوق ، والنديمَ الناصح ؛ لأنه إذا كان الوزير أمينًا صالحًا دَلَّ على بقاء الملك وسلامته من الآفات ، وإذا كان الكاتب عالمًا دلّ على عقل الملك ورزانته ، وإذا كان الحاجب شفوقًا دلّ على أن أهل المملكة لم يغضبوا على الملك ، وإذا كان النديم صالحًا دلّ على انتظام أهل المملكة وصلاحهم . ٥

قال أهل التجارب : يجب أن يكون الوزيرُ عالمًا عاقلاً ناصحًا شيخًا ، لأن الشاب وإن كان عاقلاً لا يكون فى التجربة كالشيخ ، وكذلك قال صلَّى الله عليه وسلم : « البركة مع أكابرهم » ، فإذا كان الوزير شيخًا فهو زين السلطنة ، وبه تتأكد الأمور وينجح المطلوب . ١٠

قال أردشير بابك :يجب أن يكون الوزير مُتَثَبِّتًا عالمًا عارفًا مُتَيَقِّظًا واسع الصدر ، شجاعًا بارعًا حسن المقالة ، مليح الوجه ، حسن الصورة ، كامل العقل ، كثير الصمت ، متواضعًا سخيًا محبوبًا إلى الناس ، نظيف العِرض ، محمود الطرائق ، جيِّد الاعتقاد ، صحيح المذهب ، خبيرًا بغوامض الأشياء ، وأن ١٥ يكون ذا تجارب . فإذا كان كذلك حسن حال المَلِكِ واستقامت أمور دولته .

ومن أعظم الواجبات على الملك أن يكون رسلُهُ إلى ملوك الأطراف علماء أمناء صادقين فى أقوالهم تاركين الطمع [٥٣] .

وفيه[١] سئل بعض الحكماء : أىُّ الأشرار أكثر شرًا ؟ فقال : ٢٠

(١) أى وفى هذا الأمر سئل بعض الحكماء .

الرسل الخونة الذين يخونون فى الرسالة لأجل أطماعهم ؛ فكل خراب المملكة منهم ، كما قال أَرْدَشِير فى حقهم : كم سفكوا من الدماء ، وكم هزموا من الجيوش ، وكم هتكوا من أَسْتَارِ ذَوِى الحرمات الأحرار ، وكم أخذوا من الأموال بالمكر والاحتيال ، وكم من يمين كذبوها لخيانتهم ، وكم من عهود نقضوها بِقِلَّةِ أمانتهم .

وكان ملوك العجم فى هذا الأمر يتحرزون ويتحفظون ، وما كانوا يُنْفِذُون رسولاً حتى يجرِّبُوه ويمتَحِنُوه ، وبعد ذلك إذا عرفوا أمانته وصدقه ونصحه أنفذوه . ويقال عن ملوك العجم إنَّهم كانوا إذا أرسلوا رسلهم إلى الملوك أرسلوا معهم جاسوسًا ليكتب جميع ماقالوه وسمعه ، فإذا عاد الرسول قابلوا كلامه بالنسخة التى كتبها الجاسوس ، فإن صحَّ كلامُه علموا أنه صادق ، فكانوا يرسلونه بعد ذلك إلى الأعداء .

ويحكى أن الإسكندر أرسل رسولاً إلى الملك دارا بن دارا ، فلما رجع الرسول وأعاد الجواب شكَّ الإسكندر فى كلمة تكلم بها الرسول ، فأنكر عليه الإسكندر ، فقال : يا مولاى أنا سمعت هذه الكلمة منه بأُذُنَىَّ هاتين ، فأمر الإسكندر أن يكتب كتاب وتكتب تلك الكلمة بعينها فيه ، ثم أرسله إلى دارا مع رسول آخر ، فلما وصل إليه وقرأه قلع تلك الكلمة من الكتاب بالسِّكِّين وأعاده إلى الإسكندر ، وكتب إليه : إنَّ الاعتماد على مقالة الرُّسل الأُمناء ؛ لأن الرسول لسان الملك ،

يقول ما يقوله الملك من السؤال ، ويسمع ما يسمعه من الجواب ، ورسولُكَ قد خانَ فى التبليغ ، ولم أجد سبيلا إلى قطع لسانه فقلعت تلك الكلمة من الكتاب ؛ لأنها لم تكن من كلامى ولا تَلَفَّظْتُ بها . فعند ذلك طلب الرسولَ ، فقال : وَيْلُكَ ، ماحملك على إتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التى تكلمت بها ؟ فقال : إنَّهُ قصَّرَ فى حقى وأَسْخَطَنِى ، فقال الإسكندر: أرسلتك للإصلاح أو للفساد ؟ وتسعى فى الناس بالغرض والكذب والفساد ؟ ! ثم أمر به فَسلَّ لسانُه من قفاه .

وسئل ملك من الملوك – وكان قد زال عنه المُلْكُ – فقيل له : لأىٍّ سبب زالت الدولة عنك وسُلِبَت المملكةُ منك ؟ فقال : لاغترارى بالدولة والقوة ، ورضائى برأيى ، وتوليتى لأصاغر العمال على أكابر الأعمال ، وتضييعى الحيلة فى وقتها ، وقلة تفكرى فى العاقبة ، والتوقف فى مكان العجلة ، والعجلة فى مكان التوقف ، والتهاون فى قضاء حوائج الناس ، والتجاوز عن أصحاب الذُّنوب ، وترك الإحسان إلى مستحقيه .

قال برويز : ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عن سيئاتهم : من قدح فى ملكه ، ومن أفشى [سره] (١) ، ومن أفسد فى دولته .

والنصائح كثيرة ، ومولانا السلطان المؤيد بها من العارفين ، ولكنها هى ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين .

(١) مابين الحاصرتين سقط فى الأصل .

الباب التاسع

في بيان تاريخ سلطنته

وما دل عليه تاريخه

قد ذكرنا أن مولانا المؤيد دخل الديار المصرية يوم الثلاثاء ثانى ربيع الآخر من سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ومعه الخليفة المستعين بالله ، وكان دخولهم من باب النصر ، وفُرِشت لهما شقق من التَّبَّانَة [1] إلى باب السلسلة ، وطلع الخليفة القصر ، والسلطان إلى باب السلسلة .

وفى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر اجتمعت الأُمراء عند المستعين ، وخلع على مولانا المؤيد خلعة عظيمة ، فوّض إليه سائر الأمور — والأُمورَ بالديار المصرية — وخلع على الأَمير طوغان [الحسنى] [2] واستقر على دويداريته [3] ، وعلى الأَمير شاهين الأَفْرَم ، واستقر أمير سلاح [4] كما كان ، وعلى يَلْبُغَا الناصرى ، واستقر أمير مجلس [5] ، وعلى الأَمير إينال الصُّصلانى ، واستقر حاجب الحُجَّاب [6] عوضًا عن الناصرى ،

---

(1) التبانة : شارع يبتدىء عند المفارق التى بجوار جامع عارف باشا وينتهى بأول شارع باب الوزير بجوار جامع إبراهيم أغا .
على مبارك : الخطط ٢ : ١٠٢ .

(2) مابين الحاصرتين إضافة عن ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٦ : ٣١٢ ط كاليفورنيا .

(3) الدوادارية : وظيفة يتولى صاحبها نقل الرسائل والأوامر عن السلطان ويعرض القصص والبريد ، ويأخذ الخط السلطانى على عامة المناشير .
القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٩ .

(4) أمير سلاح : لقب أطلق على الذى يتولى أمر سلاح السلطان أو الأمير .
المرجع السابق ٥ : ٤٥٦ .

(5) أمير مجلس : هو الذى يتولى أمر مجلس السلطان فى الترتيب وغيره ، ويتحدث على الأطباء والكحالين ومن شاكلهم .
القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ١٨ و ٥ : ٤٥٥ .

(6) حاجب الحجاب : هو الذى يشير إليه السلطان ويقوم مقام النائب ، وإليه يتقدم من تعرض ومن يرد ، وإليه عرض الجند وما شابه ذلك .
المرجع السابق ٤ : ١٩ .

وعلى الأمير سُودُون الأشقر ، واستقرّ رأس نوبة النوبَ [1] عوضًا عن الأمير سُنْقُر [الرومى] [2] .

وفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الآخر عرض مولانا المؤيد المماليك السلطانية وغيرهم ، وفرق عليهم الإقطاعات بحسب الحال .

وفى يوم السبت الثالث عشر من ربيع الآخر ، خلع على الأمير تاج [3] واستقر والى القاهرة عوضًا عن بهاء الدين بحُكْمِ عزله .

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأُولى خلع على القاضى صدر الدين بن الأدمىّ ، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية عوضًا عن القاضى ناصر الدين بن العديم .

---

(1) رأس نوبة النوب : هو الذى يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير ، وينفذ أمره فيهم ، وهو أعلاهم .
القلقشندى – صبح الأعشى ٥ : ٤٥٥ .

(2) ما بين الحاصرتين إضافة من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣١٦ ط كاليفورنيا

(3) هو الأمير تاج بن سيفا الشويكى القازانى .
المرجع السابق ٦ : ٣١٧ ط كاليفورنيا .

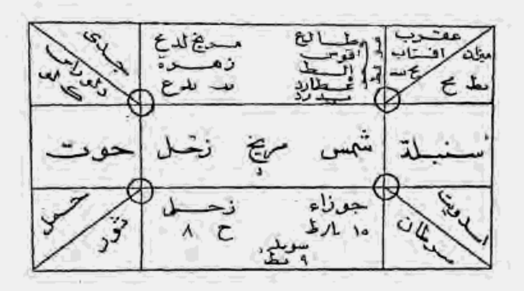
ذكر سلطنة مولانا السلطان المؤيد خلد الله ملكه

لما كان مستهل شعبان من سنة خمس عشرة وثمانمائة اتفقت الآراء من الأكابر والأصاغر ، خصوصًا من العلماء والصلحاء والقضاة على تولية مولانا السلطان المؤيد ؛ لاضطراب الأمور ، واحتياج الزمان إلى سلطان كبير ، يفهم الخطاب ويردّ الجواب ، ويكون صاحب لسان وحُسَام ، وفهم وإفهام ، فلذلك عقدوا لمولانا الملك المؤيد ؛ لِمَا عَلِمُوا فيه من حسن سيرته ، وكمال شجاعته وفروسيته ، ووفور عقله ومروءته ، وحسن تدبيره فى سيادته[1] ، وانقياده لسُنَنِ النبى عليه السلام وشريعته ، ولما فيه من المصلحة التّامة للخاصة والعامة ، ولاستحقاقه السلطنة من الوجوه التى ذكرناها ، فعقدت له بحضور القضاة والعلماء ، والأمراء والأعيان من العساكر الاسلامية وغيرهم ، وأُلبس خلعة الخلافة المعظمة ، وهى فرجية سوداء بتركيبة زركش ، وطرز زركش ، وعمامة سوداء بطرف ذهب مَرْقُوم ، وسيف بداوى[2] مُسَقَّطٌ بذهب ؛ وتحت الفرجية حرير أخضر . وتَكَنَّى

(١) كذا فى الأصل ولعلها (سياسته) .

(٢) سيف بداوى . كذا بالأصل — وقد أورد ابن إياس فى بدائع الزهور ٥ : ١٠٥ «السيف البداوى» ضمن خلعة السلطنة لطومانباى . هذا ، وهو السيف المستقيم ذو الحدين ويطلق على —

بأبى النصر ـ نصره الله ـ وتلقب بالمؤيد ـ أيده الله ـ وركب من الاسطبل السلطانى وطلع إلى القصر من باب السّر [1] ، وتباشرت الناس بذلك ، ودقت البشائر وزينت مصر والقاهرة ، وكان ركوبه فى ساعة عظيمة ، فيها بشارة عظيمة لمولانا السلطان ـ عزّ نصره ـ من ثبات دولته وطول أيامه بالخير والهناء ، يَعْرِف ذلك من تمعّن نَظَرَهُ فى هذا الجدول .



ـ الكف بحزام ؛ ويسمى بالسيف العربى والسيف البداوى ـ انظر ل . م . ماير ـ الملابس المملوكية ٤٤ ، ٤٥ ط جنيف .

(١) كان باب السر هو المخصص من أبواب القلعة لأكابر الأمراء ، ومدخله يقابل الإيوان الكبير ، وهو المعروف حالياً بالباب الوسطانى أو البوابة الوسطانية التى تفصل بين دهليز الباب البحرى للقلعة وبين الحوش الذى به جامع السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

صبح الأعشى ـ القلقشندى ٢ : ٣٧٢ والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٨ : ١٧٢ والهامش

من هاتور من تشرين الثانى من اسفندارماه الغجر بالزبانا ، وقد ذكر بعضُ المحققين من أهل الملاحم فى ملحمة وضع فيها جدولاً ذكر فيه سلاطين الترْك بِصُوَرِهم ، وفيهم مولانا السلطان – نصره الله تعالى – :

ا	ك	ي	ب	لا	ك	مـ	خ	ق	س	مـ	ب	ق	ع	ا
ق	س	مـ	ا	ش	فغ	ب	ح	ع	ش	ص	ح	ح	س	ا

الباب العاشر

في الحوادث والأمور التي وقعت في أيامه

فى يوم السبت السادس من شعبان سادس يوم سلطنة مولانا السلطان خلع على الأمير طرباى [الظاهرى] [1] ، وسُفِّر على البريد إلى دمشق ، ومعه خلعة للأمير نَوْرُوز .

وفى يوم الإثنين الثامن من شعبان عملت خدمة الإيوان ، وخلع على يَلْبُغَا الناصرى ، واستقرَّ أتابك العساكر بالديار المصرية ، وعلى طوغان [الحسنى] [2] واستقرَّ على وظيفة الدَّوَيْدَارِيَّة ، وعلى شاهين كذلك [الأفرم] [3] أمير سلاح ، وعلى سُودُون الأشقر رأس نوبة كبير - على حاله - وخلع على قَانِبَاى المحمدى ، واستقر أمير آخور كبير ، وعلى سائر أرباب الوظائف والمباشرين ، وهم : فتح الله [4] كاتب السِّر الشريف ، وبدر الدين بن نصر الله [5] ناظر الجيش المنصور ، والصاحب سعد الدين بن البشيرى [6] ، وتقى الدين

(١ و ٢ و ٣) ما بين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٤ ط كاليفورنيا .

(٤) هو فتح الله بن معتصم بن نفيس الدوادارى العنانى التبريزى . كان رئيس الأطباء زمن السلطان برقوق، ثم تولى كتابة السر فى عهده وعهد ابنه فرج، ثم فى عهد شيخ المحمودى . فاعتقله وعوقب ثم خنق، وكان من خير أهل زمانه علماً وديناً وسياسة .

المقريزى – المواعظ والاعتبار ٢ : ٦٢ .

(٥) هو الأمير بدرالدين حسن بن نصرالله الاستادار ولد ببلدة فوة سنة ٧٦٦ هـ . وصار أمير مجلس فى دولة السلطان برقوق، وولى الحسبة ونظر الجيش والوزارة، ثم نظر الخاص فى دولة الناصر فرج وكذا فى الدولة المؤيدية . وتوفى سنة ٨٤٦ هـ .

على مبارك – الخطط ١٤ : ٨٢ .

(٦) هو الصاحب الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة المعروف بابن البشيرى . توفى بالقاهرة فى رابع عشر صفر سنة ٨١٨ هـ .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٠ ط كاليفورنيا .

ابن أبى شاكر[١] ناظر الخواص الشريفة [٢] ، وغيرهم .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من شعبان خلع على القضاة الأربعة ، وهم القاضى جلال الدين البُلْقِينى الشافعى [٣] ، والقاضى صدر الدين بن الأدمىّ [٤] الحنفى ، والقاضى شمس الدين المدنى[٥] المالكى ، والقاضى مجد الدين سالم الحنبلى ، وشمس الدين محمد بن الشيخ جلال الدين [٥] ، واستقر قاضى العسكر المنصور .

وفى أوائل رمضان من سنة سلطنة مولانا السلطان المؤيد

---

(١) هو الوزير تقى الدين عبدالوهاب ابن الوزير فخر الدين عبد الله ابن الوزير تاج الدين موسى ابن علم الدين أبى شاكر ابن تاج الدين أحمد ابن شرف الدولة إبراهيم ابن الشيخ سعيد الدولة ، توفى فى حادى عشر ذى القعدة ٨١٩ هـ .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٦ ط كاليفورنيا .

(٢) ناظر الخواص الشريفة : هو المتحدث فيما هو خاص بمال السلطان — وشاغل الوظيفة كالوزير فى قربه من السلطان وتصرفه ، ويرجع إليه تدبير الأمور وتعيين المباشرين ولا يستقل بأمر إلا بمراجعة السلطان .

القلقشندى — صبح الأعشى ٤ : ٣٠ .

(٣) هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن البلقينى الشافعى مات سنة ٨٢٤ هـ .

الجلال السيوطى — حسن المحاضرة ١ : ١٨٦ .

(٤) هو قاضى القضاة : صدر الدين على ابن آمين الدين محمد الدمشقى الحنفى . المعروف بالأدمىّ . ولى نظر الجيش وكتابة السر وجمع بين القضاء وحسبة القاهرة ، ومات فى ثامن رمضان سنة ٨١٦ هـ .

السخاوى — الضوء اللامع ٦ : ٨ .

ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٦ : ٤٣٧ ط كاليفورنيا .

(٥) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد القدسى المعروف بالمدنى المالكى توفى عاشر ربيع الأول سنة ٨١٩ هـ .

المرجع السابق ٦ : ٤٥٧ .

(٦) هو قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن العلامة جلال الدين رسولا بن يوسف التركانى الحنفى المعروف بابن التبانى — توفى بدمشق فى ثامن رمضان سنة ٨١٨ هـ .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٧ ط كاليفورنيا .

قَدِمَ طَرَبَاى [الظاهرى] [١] من الشام ، وأخبر أن نَوْرُوز أظهر العصيان ومسك الأمير جَقْمَق الدُّوَادَار ، واعتقله بالقلعة .

وفى يوم الخميس التاسع من شوال مُسِكَ القاضى فتحُ الله واحتيط عليه [٢] .

وفى يوم الإثنين الثالث عشر من شوال خلع على القاضى ناصر الدين بن البارزىّ الحموى [٣] ، واستقـرّ كاتب السرّ الشريف [٤] ، عوضا عن فتح الله بحكم عزله .

وفى يوم الإثنين الثالث من ذى الحجة خُلِعَ على الأمير قَرْقَماس المعروف بسيدى الكبير ، وتولى نيابة الشام عوضًا عن نَوْرُوز بحكم خروجه عن الطاعة .

وفى ذلك اليوم خلع أيضًا على الشيخ شرف الدين ابن الشيخ جلال الدين التُّبانى [٥] ، عِوَضًا عن ناصر الدين ابن العَدِيمَ .

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٤ ط كاليفورنيا .

(٢) انظر ترجمته فى هامش ص ٣٠٧ . وقد ذكر ابن إياس فى بدائع الزهور ٢ : ٣ أن المؤيد قبض على القاضى فتح الله كاتب السر واحتاط على موجوده من صامت وناطق ثم أنه خنقه ودفنه تحت الليل .

(٣) هو القاضى ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن القاضى كمال الدين محمد بن عز الدين ابن عثمان ابن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن هبة الله الجهنى الحموى الشافعى المعروف بابن البارزى . كاتب السر بالديار المصرية . وعظيم الدولة المؤيدية . ولد بحماة سنة ٧٦٩ هـ . وتوفى ثامن شوال سنة ٨٢٣ هـ . النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٧١ ط كاليفورنيا .

(٤) كاتب السر : تكرر ورود هذه الوظيفة فيما سبق من الحواشى . وهى وظيفة اختصاصها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها، وتسفيرها وتصريف المراسيم، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها، ومشاركة الوزير فى بعض الأمور مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة، والتحدث فى أمور البريد والقصاد، ومشاركة الدوادار فى أكثر الأمور السلطانية ، وبديوان كاتب السر يوجد كتاب الدست وكتاب الدرج .
صبح الأعشى القلقشندى ٤ : ٣٠ .

(٥) لم يستدل على الشيخ شرف الدين هذا فى المراجع الميسرة ولعله الشيخ شمس الدين السابق ذكره فيمن خلع عليهم فى شهر شعبان .

فصـل

فيما وقع من الحوادث فى السنة السادسة عشرة بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان مصر وبلادها الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، والخليفة هو المستعين بالله ، ولكنه مُعَوَّقٌ فى القلعة [بالقاهرة] ، وليس له نائب فى مصر ، وأصحاب الوظائف من الأمراء والمتعممين والمباشرين على حالهم ، ونائب الإسكندرية الأمير خليل ، ونائب غزة ألطُنْبُغَا العُثْمَانى ، ونائب صفد أَلْطُنْبُغَا القِرْمِشِى ، ونائب دمشق الأمير نَوْرُوز المتغلب ، ونائب طرَابُلُس الأمير طوخ [1] المتغلب ، ونائب حماة قمش [2] المتغلب ، ونائب حلب يَشْبُك بن أَزْدَمُر [3] المتغلب . ولكن لما ظلم [يشبك] أهلَ حلب ظلما فاحشًا اتّفقوا وغَلَّقُوا عليه أبْوَاب المدينة حين خرج إلى السَّيْر ، فحارب معهم على بَانْقُوسة [4] ، وقتل منهم جماعة ، فانكسر ابن

---

(١) هو الأمير سيف الدين طوخ بن عبد الله الظاهرى ، المعروف بطوخ بطيخ . قتل بدمشق مع نوروز وغيره فى ليلة الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـ .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٤٤ ط كاليفورنيا .

(٢) هو الأمير سيف الدين قمش بن عبد الله الظاهرى — قتل مع نوروز وغيره .
المرجع السابق ٦ : ٤٤٤ .

(٣) « بن أزدمر » مدونة بهامش اللوحة مع الإشارة إلى مكانها فى الأصل .

(٤) بانقوسة — وبانقوسا : من قرى حلب سميت باسم جبل بانقوسا ؛ وهو فى ظاهر حلب من شمالها .
ياقوت — معجم البلدان ١ : ٤٨٢ و ٢ : ٣١١ .

أَزْدَمر ، وهرب إلى الشام . وكان الأَمير دَمُرْدَاش المحمدىّ فى قلعة الروم من حين هرب من الناصر من قلعة دمشق ، فأَرسل إليه أَهلُ حلب وطلبوه ، فجاء وملك حَلَب .

وفى محرم وصفر من هذه السنة كان فناءٌ بالدِّيَار المصرية ، وبلغ عدد الموتى إلى مائةٍ وعشرين [فى اليوم الواحد][1] . وكان صرف الإِفْرَنْتِى[2] بمائتين وثلاثين درهمًا ، والناصرى[3] بمائتين وعشرة ، والدينار من الهرجة[4] بمائتين وأَربعين وأَكثر .

وفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأَول سُمِّرَ الأَمير فارس المحمودى ، ثم وُسِّط فى الرُّميلة ؛ لفتنةٍ أَرْمَاها بين السلطان وبين طُوغَان وشاهين الأَفرم .

وفى يوم الخميس التاسع من ربيع الأَول توفيت بنت تسمى[5] وعمرها ناهز تسع سنين لمولانا السلطان ؛ وكان قد عقد عليها للأَمير طوغان الدَّوَادَار لمصلحة رآها مولانا المؤيّد ،

---

(١) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل ليستقيم السياق .

(٢) الافرنتى : هو الدينار الإفرنجى ، ويسمى المشخص لوجود صورة الحاكم الذى ضرب فى عهده .على أحد وجهيه وعلى الوجه الآخر توجد صورتا القديسين بطرس وبولس الحواريين ،ويطلق على هذه الدراهم اسم الدوكات أيضاً .

الأب أنستاس الكرملى . النقود العربية ١١١ ؛

(٣) الناصرى : دينار ضربه الناصر فرج بن برقوق على وزن الدنانير الافرنتية . على أحد وجهيه « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وعلى الوجه الآخر اسم السلطان . المرجع السابق ١١٢

(٤) الهرجة : جاء فى هامش النجوم الزاهرة ١٢ : ٢٩٧ «ولعله الدينار المهرج أى الردىء المخلوط » لكن هذا يخالف ماهنا حيث أن قيمته تزيد على قيمة الناصرى ـــ المحقق ؛

(٥) لم يذكر المؤلف هنا اسم بنت السلطان ولا اسم ولده الآتى ذكر وفاته ولم يذكرهما كذلك فى عقد الجمان حين تحدث عنهما فى وفيات هذه السنة ؛

ومات قبلها ابنٌ لمولانا المؤيّد يسمى . . . . وعمره يناهز ثمانى سنين .

وفى يوم الإثنين الثامن عشر من ربيع الآخر خلع على شهاب الدين الأموى المالكى ، واستقر قاضِىَ القضاة المالكية عوضًا عن القاضى شمس الدين المدنى بحكم عزله .

وفى يوم الأربعاء الخامس من جمادى الأُولى كان وفاء النيل ، ونزل مولانا السلطان المؤيد للكسر[1] الذى هو جَبْرٌ للمسلمين .

وفى يوم الخميس السادس من جمادى الأُولى خلع على تاج الدين عبد الرزاق بن الهَيْصَم ، واستقر وزيرًا بالديار المصرية - عوضًا عن الصاحب سعد الدين بن البشيرى بحكم عزله ومسكه للمصادرة .

وفى يوم السبت السابع من جمادى الأُولى خلع على القاضى علم الدين [داود][2] بن الكُوَيز ، واستقر ناظر الجيش المنصور - عِوَضًا عن القاضى بدر الدين حسن [ابن] نصر الله بحكم عزله ، وخلع على بدر الدين بن نصر الله ، واستقر ناظر الخواص الشريفة - عوضا عن القاضى تقى الدين بن أبى شاكر بحكم عزله ومسكِهِ للمصادرة .

وفى يوم الخميس [٥٥] الثانى عشر من جمادى الاولى خلع على

---

(١) الكسر : هو رفع السد الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل - النجوم الزاهرة ٤ : ٩٩ .
(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن بدائع الزهور لابن إياس ٢ : ٣ .

القاضى صدر الدين بن الأدمى قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية محتسباً بمصر والقاهرة ، مضافاً إلى ما بيده من القضاء ـ عوضاً عن ابن شعبان بحكم عَزْلِهِ ، وضَرْبِهِ الضَّرْبَ المؤلم ؛ بسبب عدم نظره فى مصالح المسلمين ، وأَخذِهِ أموال الناس ، وخلع على الأمير جَانَبِك الصُوفِى ، واستقرّ رأس نوبة كبير ـ عوضاً عن الأمير سُودُون الأشقر ، وخلع على الأشقر واستقر أمير مجلس .

وفى يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى أُشيع بركوب الأمير طُوغَان [الحسنى] [1] الدَّوَادَار ، وكان قد انقطع من الخدمة يوم الإثنين ، ولَبِسَ هو وألْبَسَ مماليكه ليلة الثلاثاء ، ووقف فى اسطبله إلى قرب الصُّبْح مترقباً حضور جماعة قد اتفقوا معه ، فلم يحضر أحد ، فلما تحقق انحلال أمره نزل وفرّق جَمْعَه ، وخرج من باب اسطبله ومعه مملوكان ليس إلا ، وحصل الاختلاف فى كيفية حاله ، ومع هذا لم يلتفت إليه مولانا المؤيد ، ولا ظهر منه انزعاج لذلك ؛ وذلك من شجاعته الظاهرة وسعادته الباهرة .

وفى يوم الجمعة العشرين منه ظهر طوغان فى بيت سعد الدين ابن بنت الملكى، فَمُسِك وَطُلِعَ به إلى باب السلسلة ، وسُفِّرَ آخر النهار إلى الإسكندرية ؛ للاعتقال بها صحبة الأمير طُوغَان المُؤَيدى .

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦: ٣٢٨ ط كاليفورنيا .

وفى يوم السبت الحادى والعشرين منه مُسِك سُودُون الأَشقر أمير مجلس ، وكَمَشْبُغَا [1] العِيسَاوىّ أمير شِكار [2] ، وسُفِّرَا آخر النهار إلى الإسكندرية ـ صحبة الأَمير بِرِسْبَاى [الدقماقى] [3]

وفى يوم الأَحد الثانى والعشرين منه وُسِّط أَربعةُ أَنفس من التُّرك لذنوبٍ صدرت منهم تقتضى قتلهم .

وفى يوم الإثنين الثالث والعشرين منه خُلِعَ عَلَى الأَمير إينال الصَّصْلانى واستقر أمير مجلس عوضًا عن سُودُون الأَشقر ، وخلع على الأَمير قُجُق ، واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الصَّصْلانى .

وفى يوم السبت ثامن والعشرين منه خُلع على الأَمير جَانِبَك الدوادار [4] الثانى ، واستقر دُوَادَارًا كبيرًا عوضًا عن طُوغَان [4] الحسنىّ ، بحكم عزله ومسكه .

وفى يوم الإثنين سلخ جمادى الأُولى خلِع على الأَمير فخر الدين [عبد الغنى] [5] بن [تاج الدين ، بن] [5] أَبى الفرج كاشف الشرقية ، واستقر أُستادارَ العالية ؛ عوضًا عن الأَمير

(١) فى الأصل « كتبغا » وما هنا عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٢١٣ ط كاليفورنيا
(٢) أمير شكار : هو الذى يتولى طيور الصيد وسائر الأمور المتعلقة به .
القلقشندى ـ صبح الأعشى ٤ : ٢٢ و ٥ : ٤٦١ .
(٣) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٩ ، وهو الذى صار فيما بعد الملك الأشرف برسباى وتولى السلطنة فى ٨ من ربيع الأول سنة ٨٢٥ هـ . واستمر سلطاناً إلى ١٣ ذى الحجة سنة ٨٤١ هـ ، حيث توفى وعمره ستون سنة .
(٤) هذه العبارة مدونة بهامش اللوحة .
(٥) ما بين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٢٩ ـ وانظر ترجمته فى نفس المرجع ٦ : ٤٦٣ و ٤٦٤ ط كاليفورنيا .

بدر الدين حسن بن محب الدين الشامى بحكم عزله ، وخلع على بدر الدين المذكور واستقر مشير الدولة [1].

وفى يوم الثلاثاء السادس من رجب قدم إلى السلطان المؤيد جَرَاقُطْلى أتابك العسكر بدمشق هاربًا من نَوْرُوز ، فَخُلِع عليه خلعة سنيّة .

وفى يوم الخميس ثامن رجب عملت وليمة عظيمة لسيدى إبرٰهيم ولد السلطان المؤيّد بسبب تزوُّجِه بنت السلطان الناصر فرج .

وفى يوم الإثنين الثانى عشر منه قَدِمَ الأَميرُ أَلْطُنْبُغَا القِرْمِشِى نائب صفَد ، بسبب طلب مولانا السلطان إيّاه ، وتولى عوضه فى صفد الأَمير قَرْقَمَاس الملقب بسيدى الكبير ، وكان قد تولّى الشام فى التاريخ الذى ذكرناه ، ولكن لم يتمكن من الدّخول فيها بسبب نَوْرُوز ، وكان مقيمًا تارةً على غزّة ، وتارة على الرَّمْلَة ، وتولّى أخوه الأَمير تَغْرِى بِرْدِى نيابة غزة عوضًا عن أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، وكان المذكور هرب منهما ؛ قيل لأنه أحسّ منهما الموافقة مع نَوْرُوز فى الباطن .

ثم فى يوم الثانى والعشرين من شعبان قَدِمَ الأَميرُ قَرْقَمَاس إلى القاهرة ، وكان أخوهُ معه فتخلف عنه عند الصَّالِحيَّة .

---

(١) مشير الدولة : هو الناصح الذى يؤخذ رأيه ، وهو لقب الأمراء من مقدمى الألوف ، ونظراً لدلالته على أصالة الرأى والحكمة غلب استعماله على المدنيين .
دكتور حسن الباشا : الألقاب الاسلامية ٤٧١ .

وفى يوم السبت مستهل رمضان قدِمَ الأميرُ دَمُرْدَاش من البحر الملح ، ومعه جماعة من التُرك هربوا من طوخ المتغلب على حلب ، وخلع عليه خِلْعَة سنية .

وفى يوم الجمعة السابع من رمضان أَخْرَجَ السلطانُ شِرذمةً من العسكر وفيهم الأمير سُودُون القاضى ، وقشقار القَرْدَمى وآقْبَردى [المنقار المؤيدى][1] رأس نوبة، وأشيع بأنهم خرجوا لكيسة عَرَب ، ولم يكن إلا لمسك تَغْرِى بِرْدى . وفى ليلة السبت الثامن منه مُسِك دَمُرْدَاش ، وابن أخيه قَرْقَمَاس ، وفى صبيحته سُفِّرا إلى الإسكندرية ، صحبة الأمير آقْبَاى الخَازِنْدَار .

وفى يوم الإثنين العاشر منه ، خُلِع على القاضى ناصر الدين ابن العديم ، واستقر قاضى القضاة الحنفية عوضاً عن القاضى صدر الدين بن العجمى — بحكم وفاته ليلة السبت المذكور .

وفى يوم الخميس الثالث عشر منه خلع على الأمير قَانْباى أمير آخور كبير ، واستقر نائب الشام عوضا عن نَوْرُوز ، وخلع على أَلْطُنْبُغا القِرْمِشِى ، واستقر أمير آخور كبير ، وعلى إينال الصِّصلانى ، واستقر نائب حلب عوضا عن طوخ ، وعلى سُودُون قَرَاصُقْل ، واستقر نائب غزّة عوضا عن إينال الرجبى المتولى من جهة نَوْرُوز .

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٣٣ ط كاليفورنيا .

وفى يوم السبت السادس من شوال خلع على الأمير بدر الدين حسين بن [محب الدين مشير] [1] الدولة، واستقر فى نيابة إسكندرية عوضًا عن الأمير [خليل التبريزى الدشارىّ] [2] بحكم عزله، وفى هذا اليوم عدّى مولانا السلطان المؤيد إلى برّ الجيزة.

وفى يوم الإثنين التاسع عشر من ذى القعدة علّق الشّاليش [3]

وفى يوم السبت الخامس والعشرين منها عرضت الأجناد والمماليك الظاهريّة والناصرية والمؤيدية، وفيه خرج الأمير إينال الصّصْلانى نائب حلب، وسُودُون قَرَاصُقْل نائب غزّة.

وفى يوم الخميس السادس عشر من ذى الحجة خرج الأمير قَانْبَاى نائب الشام، وفى ذلك اليوم خَلَعَ السلطانُ على داود بن المتوكل عَلَى الله العبّاسى، واستقر خليفة المسلمين، وتلقّب بالمُعْتَضِد، وتَكَنَّى بأَبى الفتح عوضا عن أخيه أبى الفضل المستعين بالله العباسىّ. وفى ذلك اليوم أَنْفَقَ السلطانُ على المماليك كل واحد مائة ناصرى.

وفى يوم الإثنين العشرين من ذى الحجة خرج طُلْب [3] سُودُون القاضى وسُودُون [4] من عبد الرحمن، وفيه رَحَل

(١ و ٢) مابين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٣٣ و ٣٣٤

(٣) الشاليش: ويراد به هنا راية كبيرة تكون فى مقدمة الجيش.

(٣) الطلب: فرقة المماليك الخاصة بالأمير من الأمراء. دوزى ٢ : ٥١.

(٤) سودون من عبد الرحمن: كثيرا ماترد لفظة «من» بين أسماء الأمراء المماليك وما يليها من الأسماء. وقد يظن أنها «ابن» التى تدل على البنوة — ولكن يرجح أنها لمجرد نسبة الأمير المملوك إلى الاسم الذى بعده إذا كان جالبه أو أستاذه.

قَانْبَاى من الرَّيْدَانِيَّة ، وفيه خُلِع على القاضى شمس الدين محمد بن النَّبَّالى قاضى العساكر ، واستقر قاضى القضاة الحنفية بالشام المحروس .

وفى يوم الإثنين السابع والعشرين منها خرجت خيام مولانا السلطان المؤيد وضربت فى الريدانيّة .

وفى يوم الثلاثاء الثامن والعشرين منها ضَرَب السُّلطان الوزير تاج الدين بن الهَيْصَم ، وأهانه إهانة بالِغة ثم بعد ذالك خلع عليه خلعةَ الرضا والاستمرار ، وحجَّ بالناس فى هذه السنة الأمير كُزُل العجمى .

فصل

فيما وقع من الحوادث في السنة السابعة عشرة بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة المباركة ومولانا السلطان المؤيد فى استعداد السفر إلى [٥٦] الشام بسبب عصيان نَوْرُوز .

فنى يوم الإثنين من المحرم خرج مولانا السلطان المؤيد من المدينة ، ونزل فى الرَّيْدَانِيَّة ، ولم تزل أطلاب الأُمراء تخرج ساعةً فساعة .

وفى يوم السبت التاسع منه رحل مولانا السلطان من الرَّيْدَانية بعد أن خلع على جماعة ، منهم القاضى صدر الدين ابن العجمى ، واستقر ناظر الجيش - بدمشق - المحروس ، واستقر فى مشيخة التربة الناصرية (١) التى كانت معه زينُ الدين الحاجى الرومى (٢) ، وقد كان مولانا السلطان أناب فى القاهرة الأمير الطُّنْبُغَا العثمانى نازلا بباب السلسلة ، وخلَّى فى القلعة الأمير بُرْدبك [قصقا] (٣) ، والأمير صماى [الحسنى] (٤) وفى المدينة الأمير قُجُق حاجب الحجاب نازلاً فى

(١) هى التى بناها الملك الناصر فرج بن برقوق على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق بالصحراء. النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٠ ط كاليفورنيا .

(٢) هو زين الدين حاجى الرومى الحنفى . توفى ليلة الرابع من شوال سنة ٨١٨ هـ . المرجع السابق ٦ : ٤٥٠ ط كاليفورنيا .

(٣ و ٤) مابين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥ ط كاليفورنيا .

بيت مَنْجَك ، وسافر مع مولانا السلطان الخليفةُ داود ، والقضاة الأربعة وهم : القاضى جلال الدين البُقينى الشافعى ، وناصر الدين بن العديم الحنفى ، شهاب الدين الأموى المالكى ، ومجد الدين سالم الحنبلى ، والقاضى ناصر الدين بن البارزىّ كاتب السر الشريف ، والقاضى علم الدين [داود بن الكويز] ناظر الجيوش ، وأخوه القاضى صلاح الدين [2] ، والوزير تاج الدين بن الهَيْصَم ، ثم بعد شهر سافر الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج الأُستادار ، ومعه القاضى بدر الدين ناظر الخواص الشريفة .

ثم لما سافر مولانا السلطان المؤيد – بخير وعافية – دخل مدينة غزّة يوم الثلاثاء العشرين من المحرم ، وأقام فيها يومى الأربعاء والخميس .

ثم فى يوم الجمعة التاسع والعشرين منه توجّه إلى ناحية الشام وقلبه مسرور ، متيقن بأنه منصور ، وقصدته أهلُ تلك البلاد – مستبشرين به – من كل ناد ، وهو مُظْهِرٌ للشجاعة مع عسكره الزّاهرة ، ومتيقِنٌ بنصر الله على الطائفة المارقة الجائرة ، وقد نُشِرَتْ عليه أعلام النصر والظُّهور ، وكُتِبَتْ الخمدةُ على أعدائه من أهل النفاق والفجور . ولما قَرُب من الشام ومعه

---

(1) ما بين الحاصرتين اضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤٦ ط كاليفورنيا

(2) هو الرئيس صلاح الدين خليل بن زين الدين عبدالرحمن بن الكويز ، ناظر ديوان المفرد – توفى عاشر رمضان سنة ٨٢٣ هـ .
المرجع السابق ٦ : ٤٧١ ط كاليفورنيا .

النصر والتمكين ، ترجرج خوفا كلٌّ من فيها من المفسدين ، فشرعت العصاة من الخوف على أنفسهم يتحرشون ، ظانين بأنهم يُخَلِّصُون أنفسهم فَيَتَخَلَّصُون ، «هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا لِمَا تُوعَدُون »[1] ، ولم يزل مولانا السلطان ثابتا على سَرْجه كالأسد الكاسر ، للمقبل أمان وللمدبر آسر ، والعدو ما بين الانهزام والإدبار ، متيقن بالانخذال والانكسار ، ففى أول الأمر ناوشوا من الحميّة الجاهلية والضلال ، ولم يدروا أن عاقبتهم للقيد والنَّكال ، وكل هذا ومولانا السلطان المؤيد ثابت كالطود الراسخ ، والجبل الشامخ ، ولقد أحسن القائل :

ضَجرَ الحَدِيدُ مِنَ الحَدِيد وشيْخُنا مِنْ نَصْرِدينِ مُحَمَّدٍ لم يَضْجَرِ
حَلَفَ الزَّمَانُ لَيَأْتِينْ بِمِثْلِه حَنِثَتْ يَمِينُكَ يازَمانُ فَكَفِّرِ

ولَمَّا نزل مولانا السلطان على دمشق بعسكره الزهراء ، رأيت حراس أبوابها مشتتين بترا ، وقد ضعفت قلوبهم وبَالُهم ، وتشتت شملهم وتلاشت حالهم ، فكأنهم وقد نفختْ فيهم الصُّور ، أو حُشِرُوا إلى يوم النشور ، وعلا السيفُ الشريفُ على المدينة وأهلِها المفسدين ، وتحيزت البقية إلى القلعة هاربين ، ظانين بالنجاة وهى عنهم بعيدة ، وكيف ينجون ووراءهم الزمرة السعيدة ! ، ولم يلبث إلّا والقلعة قد وقعت فى القبضة الشريفة ، واستولت عليها الرايات المنيفة ،

(١) الآية رقم ٣٦ من سورة « المؤمنون »

وقد نزل كبيرهم الضال نَوْرُوز ، ولسان حاله ينطق بالرموز « ما أَغْنَى عَنِّى مَالِيَه . هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَه »[1] ، ولما وَقَعَ هُو ومَنْ مَعَه فى القبضة الشريفة ، وظهرت آراؤهم السخيفة ، اقتضت شروطُ السلطنة بِفَتْوَى الشريعة إعدام هؤلاء المُفْسِدِين ؛ تطهيرا للأرض ومن عليها من العالمين ، وحسمًا لمادة الفساد من البلاد والعباد ، فعند ذلك قطع رأس نَوْرُوز ومن معه من المفسدين ، فصار عبرةً لبقية المتمردين ، وموعظة للطائعين المتقين ، ثم حمل رأس نَوْرُوز إلى القاهرة ، عبرة للطائفة الجائرة ، وكان وصوله يوم الخميس مستهل جمادى الأُولى صحبة الأمير جَرَبَاش[2] ، فَشُقَّ وعُلِّق فى باب المدَّرج[3] ، ثم بباب الزويلة أيامًا ، ثم ذُهب به إلى الإسكندرية . فهذا أقل جزاء من خالف أمر الرحمن بإطاعة السلطان ، قال الله تعالى فى كتابه الكريم « أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الأَمْرِ مِنكُمْ »[4] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « اسمعوا وأطيعوا ولو وُلِّىَ عليكم عبدٌ حبشى كأن رأسه زبيبة » وقد أمر الله تعالى فى كتابه الكريم بقتل المفسدين وتطهير الأرض

(1) الآيتان رقم ٢٨ ورقم ٢٩ من سورة الحاقة .

(2) فى الأصل « صرباش » وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٣٩ ط كاليفورنيا .

(3) باب المدرج : هو باب بجوار باب القلعة العمومى — الذى يعرف بالباب الجديد — من الداخل : هامش المرجع السابق ٧ : ١٦٣ ط دار الكتب بالقاهرة

(4) الآية رقم ٥٩ من سورة النساء .

منهم حيث قال فى كتابه العزيز «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ»[1] والمراد من هذا قُطَّاع الطريق والسعاة الخارجون عن طاعة السلطان ، وقد أوْعَدَ الله لهم بشيئين : الخزى فى الدنيا ، والعذاب فى الآخرة ، أما الخزى فى الدنيا فهو القتل والقطع والصَّلب ، وأما العذاب فى الآخرة فهو نار جهنم .

ولقد أخبرنى ثقة أن هذه القضية كانت فى السابع عشر من ربيع الآخر ، ومن الغريب كان انتصارُه على الناصر فى ربيع الأول من سنة خمس عشرة .

ثم لَمَّا أزال مولانا السلطانُ المؤيدُ المفسدين من الشام نَظَرَ فى أحوال أهلها ، فولَّى وعزل[2] وقطع ووصل ، ودانت له البلاد ، وذلت له العباد ، وقصدته الخلائق من كل ناد ، ولقد أحسن القائل حيث يقول :

قَصَدَ الملُوكُ حِمَاك والخلفاءُ	فافخر فإنَّ محلَّكَ الجوزاءُ
أنت الذى أُمراؤُه بين الورى	مثلُ الملوك وجندُه أُمَرَاءُ
ملك تزيَّنَت الممالكُ باسمِهِ	وتجمَّلَتْ بِمَديحِهِ الفُصَحَاءُ
يَبْقَى كَمَا يَبْقَى الزَّمانُ[3] ومُلْكُهُ	باق لَهُ ، ولِحَاسِدِيهِ فَنَاءُ

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة .
(٢) فى الأصل « وعدل » وما أثبته يناسب السياق .
(٣) الكلمة مطموسة فى الأصل — وما أثبته يتفق مع السياق والوزن .

دَامَتْ لَهُ الدُّنْيَا ودَامَ مُخَلَّدًا   ما أَقْبَلَ الإِصْبَاحُ والإِمْسَاءُ

ثم إن مولانا السلطان خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس جمادى الأُولى وأقام بِبَرْزَة[1] إلى صبيحة [٥٧] يوم الخميس ثامن الشهر ، ثم رحل إلى حَلَب ، ثم من حَلَب إلى أَبْلُسْتَيْن ، ثم إلى مَلَطْيَة ، وولىّ عليها كُزُل ، وأنقذ أهلها من المتغلبين من تركمان ابن كبك ، ثم رجع منها إلى حلب ، واستمر بنَائبها إينال الصَّصلانىّ ، ثم توجَّه إلى دمشق ، واستمر بنائِبها قَانْبَاى المحمَّدى ، وولّى على حماة تنبك البجَاسىّ وعلى طرابُلس سُودُون من عبد الرحمن ، وعلى غزَّة الأَمير طَرَبَاى [الظاهرى[2]] .

ثم لما خرج من دمشق أتى إلى القدس الشريف ، ثم توجه إلى الديار المصرية . ولما نزل على الخانقاه[3] يوم الخميس الرابع والعشرين من شعبان أقام فيها إلى غُرَّة رمضان ، ثم دخل القاهرة يوم الخميس مستهل رمضان ، وكان يومُ طلوعه يوما مشهودا .

وفى يوم الخميس الثامن من رمضان خلع على الأَمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، واستقر أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن الأَمير يَلْبُغَا الناصرى[4] بحكم وفاته ، وكانت وفاته ليلة الجمعة الثانى من رمضان ،

(١) برزة : قرية بغوطة دمشق من شماليها . ياقوت — معجم البلدان ١ : ٥٦٣

(٢) مابين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤٠ ط كاليفورنيا

(٣) المقصود خانقاه سرياقوس . المرجع السابق ٦ : ٣٤٠ ط كاليفورنيا

(٤) هو الأمير سيف الدين يلبغا الناصرى الظاهرى ، كان من خاصكية السلطان شيخ —

وفى يوم الإثنين الثانى عشر منه مسك ثلاثة من المقدمين وهم قُجُق [الشعبانى][1] حاجب الحجاب ، ويَلْبُغا المظفرى ، وتمان تمرأَرق [اليوسفى][2] ، وسُفِّروا إلى الاسكندرية صحبة الأَمير صماى [الحسنى][3] . وفيه خلع على القاضى جمال الدين الأَقْفَهْسى[4] ، واستقر قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية ، عوضا عن القاضى شهاب الدين الأُموى ، وكان مولانا السلطان قد عزله وهو فى دمشق .

وفى يوم الخميس الخامس عشر من رمضان خلع على سُودُون القاضى ، واستقر حاجب الحجاب بالديار المصرية عوضا عن قجق ، وعلى قِشقار القَرْدَمى ، واستقر أمير مجلس ، وعلى جانبك الصوفى رأس نوبة كبير ، واستقر أمير سلاح عِوَضًا عن شاهين الأَفرم بحكم وفاته ، وكانت وفاته فى الرَّملة ومولانا السلطان المؤيِّد فى التجريدة ، وعلى الأَمير كُزُل العجمىّ [الأَجرود][5] ، واستقر أَمير جندار[6]

= الحمودى وترقى فى عهده حتى صار أتابك العسكر فى الديار المصرية ، ونعت بالناصرى نسبة إلى تاجره خواجه ناصر الدين — المرجع السابق ٦ ـ ٤٤٤ ط كاليفورنيا .

(١ و ٢ و ٣) مابين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهره لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ و ٣٤٣ .

(٤) هو قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكى قاضى القضاة بالديار المصرية ، توفى فى الرابع عشر من جمادى الأولى سنة ٨٢٢ هـ وكان إماماً بارعاً مفتياً ومدرساً .

المرجع السابق ٦ : ٤٧٠ ط كاليفورنيا .

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة عن المرجع السابق ٦ : ٣٤٤ ط كاليفورنيا .

(٦) أمير جندار : لقب على الذى يستأذن على الأمراء وغيرهم فى أيام المواكب عند الجلوس بدار العدل ، وهو مركب من ثلاثة ألفاظ « أمير » وهو عربى ، و « جان » فارسى =

عِوضا عن جَرْبَاش[1] الكبَّاشى بحكم نَفْيِه إلى القُدس بَطَّالاً .

وفى يوم الإثنين التاسع عشر من رمضان خُلِعَ على الأمير تنبك بيق[2] واستقر رأس نوبة كبير عوضا عن جانِبَك الصُّوفى بحكم انتقاله إلى وظيفة أمير سلاح ، وعلى الأمير آقْبَاى [المؤيدى][3] الخازِنْدَار ، واستقر دُوَادَارًا كبيرا عوضا عن الأمير جَانِبَك [المؤيدى][4] الذى جرح فى وقعة الشام ، وتوفى ومولانا السلطان ذاهب إلى حلب .

وفى يوم الإثنين السادس والعشرين منه خُلِعَ على الأمير بدر الدين بن المحب الذى كان نائب الإسكندرية ، واستقر أستادار العالية على عادته عوضا عن فخر الدين [عبد الغنى][5] ابن أبى الفرج ، وكان قد تسحَّبَ ومولانا السلطان فى الشام ، واستقر فى نيابة الإسكندرية صُماى الحسنى ، وحج بالناس فى هذه السنة الأمير جَقْمَق [الأرغون شاوى][6] الدَّوادار الثانى .

= يعنى الروح ، « ودار » فارسى بمعنى ممسك ، فيكون المعنى الأمير الممسك للروح والمراد الحافظ للسلطان فلا يأذن عليه إلا لمن يثق فيه .
صبح الأعشى للقلقشندى ٥ : ٤٦١ .

(١) فى الأصل سرماش وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤١ .

(٢) هو الأمير تنبك العلائى الظاهرى المعروف ببيق .
المرجع السابق ٦ : ٣٤١ ط كاليفورنيا .

(٣ و ٤ و ٥ و ٦) مابين الحواصر إضافة عن المرجع السابق .
٦ : ٣٤١ و ٣٤٢ ط كاليفورنيا .

فصل

فيما وقع من الحوادث فى السنة الثامنة عشرة بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان البلاد المصرية والشامية السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، وأصحاب الوظائف من الأُمراء والمتعمّمين الذين ذكرناهم على حالهم ، وكذلك نُوَّاب البلاد الشاميّة والحلبيّة .

وفى يوم الخميس مستهل محرم هذه السنة دخل مولانا السلطان القاهرة عائدا من سفر تَرَّوجة ، وكان يوما مشهودا ، وكان خروجه من القاهرة يوم الإثنين الثالث من ذى القعدة من العام الماضى ، وكانت مدة غيبته سبعة وخمسين يوما ما بين مُدَّة سفره ومدة إقامته فى ذلك البرّ ، فى الذّهاب والإياب .

وفى يوم الإثنين ثالث عشر صفر خلع على القاضى علاء الدين ابن المغلى[1] الحموى الحنبلى ، واستقر قاضى القضاة الحنابلة بالدّيار المصرية عوضا عن القاضى مجد الدين سالم بحكم عزله ، وعلى القاضى تقى الدين بن الحبّى الحموى الحنفى ، واستقر قاضى العساكر المنصورة بالديار المصرية .

(١) فى الأصل « المغالى » وما هنا من النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤٤ — وهو علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر بن مغلى .

وفى شهر ربيع الأول أخرج مولانا السلطان دراهم جُدُدًا من فضة خالصة ، كل درهم بثمانية عشر من الفلوس ، وكل نصف درهم بتسعة دراهم[1] ، وكل وزن ربع درهم بأربعة دراهم[2] ونصف درهم[3] ، فحصل للناس بذلك رفق عظيم ، وفى هذا التاريخ رسم أن يُحْفَرَ من عند منشية المَهْرَانى[4] إلى جامع الخطيرى[5] ، وجعل هناك أمراء ومشيرين وفعلة كثيرة ، وثيرانا بجراريف ، ثم قوى العمل إلى أن ألزموا سائر الحِرَف بالطلوع إلى هناك ، كل طائفة يومًا .

وفى يوم الإثنين الثالث من ربيع الآخر نزل السلطان بعساكره إلى موضع العمل ، وأخذ القُفَّة بيده ، فعند ذلك شرعت الأمراء والعسكر بجميعه ، وأرباب الوظائف ، والعلماء ، وسائر الأعيان فى تحويل الأتربة من موضع الحفر إلى موضع الصَّب ، وأقام مولانا السلطان المؤيد هناك إلى قرب العصر .

وفى شهر ربيع الأول عزل الأمير طُوغان [أمير آخور المؤيد][6]

(١ ، ٢ ، ٣) كذا فى الأصل ، ولعل الصواب هو « فلوس » وفلس » .

(٤) منشية المهرانى : كانت عند قنطرة السد وعلها الأرض الواقعة بين النيل والخليج وكان موضعها يعرف بالكوم الأحمر — سمى بذلك من أجل أفنية الطوب التى كانت به . على مبارك — الخطط ٣ : ٦١ .

(٥) جامع الخطيرى فى بولاق بالقاهرة بناه الأمير عز الدين ايدمر الخطيرى وسمى جامع التوبة ، وتم فى سنة ٧٣٧ هـ . ثم خرب ، وعمر جانبا كبيرا منه الشيخ رمضان البولاقى المجذوب وأقام فيه الشعائر . المرجع السابق ٤ : ١٠٩ .

(٦) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٤٦ و ٣٤٧ ط كاليفورنيا .

من نيابة صَفَد ، وتولى حاجب الحجاب بدمشق ، وتولّى الأمير خليل [التبريزىّ الدشارى][1] نيابة صَفَد .

وفى يوم الإثنين السابع من جمادى الأولى خلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى أتابك العساكر ، واستقرّ فى نيابة دمشق عوضًا عن قَانْبَاى بحكم عزله ، وخلع على الأمير آقْبَرْدِى [المؤيدى المنقار][2] واستقرّ فى نيابة الإسكندرية عوضا عن الأمير [صُماى الحسنى][3] بحكم عزله .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من جمادى الأولى كان وفاء النيل ، ونزل مولانا السلطان للكسر الذى هو جبرٌ للمسلمين .

وفى يوم الأحد سلخ جُمَادى الأُولى زاد النيل المبارك بإذن الله خمسة عشر إصبعًا ، وهذا شىء غريب لم يُعْهَد مثله إلا فى النادر ، وهو بسعادة مولانا السلطان المؤيد .

وفى يوم السبت سادس جمادى الأُخرى خرج الأَمير أَلْطُنْبُغَا العثمانى متوجهًا إلى الشام لنيابتها ، ثم جاءت الأَخبار بأَن قانْبَاى نائب الشام قد امتنع من المثول بين يدى المواقف الشريفة ، وأظهر العصيان ، وجرت فى الشام فتنةٌ كبيرةٌ ، ثم جاء الخَبرُ بأَنّ نائب غزّة الأمير طَرَبَاى أظهر العصيان أيضا ، وأخلى غَزّة وذهب إلى نائب الشام ، فعند ذلك عيّن

(١، ٢، ٣) الإضافات عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٤٤٦/٦، ٣٤٧ ط كاليفورنيا .

مولانا السلطان المؤيد الأمير يَشْبُك [المؤيدى المشد][1] وأضاف إليه جماعة من المماليك ، وأرسلهم إلى أَلْطُنْبُغَا العثمانى تقويةً له .

وفى يوم الإثنين [٥٨] العشرين من جمادى الآخرة خلع على الأمير مشترك [القاسمى الظاهرى][2] واستقر فى نيابة غزَّة عوضا عن طَرَباي بحكم عصيانه .

وفى يوم الإثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة خلع على الأمير أَلْطُنْبُغَا القِرْمِشِىّ أمير آخور كبير ، واستقرّ أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن أَلْطُنْبُغَا العثمانى بحكم انتقاله إلى نيابة الشام ، وعلى تَنبك [العلائى الظاهرى][3] رأس نوبة كبير ، واستقر أمير آخور كبير عوضا عن الأمير أَلْطُنْبُغَا القِرْمِشِىّ .

وفى يوم الإثنين الرابع من رجب خلع على الأمير سُودُون قَرَاصُقل ، واستقرّ حاجب الحجاب عوضا عن سُودُون القاضى حاجب الحجَّاب ، بحكم استقراره رأس نوبة كبير عوضا عن الأمير تنبك [العلائى الظاهرى][4] بحكم استقراره أمير آخور كبير .

وفى يوم الإثنين الحادى عشر منه خرج الأمير آقْبَاى

(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) الإضافات عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ :٣٤٨ و٣٥٠و٣٥٢ و ٤٦٠ ط كاليفورنيا .

الدُّوَيْدَار الكبير ، ومعه جماعة من المماليك لِمُحَارِبة العصاة المذكورين .

وفى يوم الخميس الرابع عشر من رجب مُسِكَ الأَمير جانِبَك الصُّوفىّ أمير سلاح كبير ، وحبس فى البُرْج بالقلعة ، وفى ذلك اليوم رُسم بتجهيز السفر إلى الشام .

وفى يوم الإثنين الثامن عشر من رجب فَرّق مولانا السلطان المؤيّد النفقات على المماليك .

وفى يوم الثلاثاء التاسع عشر من رجب مُسِكَ الوزير تاج الدين [عبد الرزاق][1] ابن الهَيْصَم ، وضرب ضربا شديدا .

وفى يوم الجمعة الثانى والعشرين من رجب خرج مولانا السلطان من القاهرة بعد صلاة الجمعة مُتَوَجِّهًا إلى الشام ؛ طلبًا لِحَسْم مادة الفساد ، وتطمينا البلاد والعباد ، وإزاحة لأهل العصيان والعِناد ، وقد [عين السلطان][2] لنيابة القاهرة الأَمير طَطَر[3] ، وأمره بالإقامة فى باب السلسلة[4] ، وجعل سُودُون قراصقل مقيما بمدينة القاهرة المحكم بين الناس[5]

(١) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥١ ط كاليفورنيا
(٢) الإضافة للتوضيح .
(٣) هو الأمير سيف الدين ططر الظاهرى الجركسى وتولى السلطنة بعد وفاة السلطان أحمد ابن المؤيد شيخ المحمودى .
على مبارك — الخطط ١ : ٤٤ .
(٤) و(٥) موضع ما بين الرقمين عبارة غير واضحة فى الأصل ، ونصها « وسودون صقل فى المدينة » وما هنا من ابن تغرى بردى — النجوم الزاهرة ٦ : ٣٥٢ ط كاليفورنيا .

وقطلو بغا التنمىّ [وأنزله [1]] فى القلعة ، ولم يسافر مع السلطان المؤيّد من القضاة إلا ناصر الدين [محمد] [2] ابن العديم الحنفى ، ولم ينزل مولانا السلطان المؤيد بعد خروجه إلا فى منزلة عِكْرِشة [3] ، وبات هناك ليلة السبت ، فلما أصبح صلّى الصبح ، وأكل السّماط ، ورحل وقلبه مجبور ومسرور ، ومتيقن بأنه منصور ، ودخل غزّة يوم الجمعة التاسع والعشرين من رجب ، وصلّى فيها الجمعة ، ثم خرج متوجّها إلى ناحية الشام ، مؤيدا من عند الله بنصره التّام .

وأما ما كان من الأُمراء المخامرين فإن نائب الشام [4] قد ركبت عليه الذِّلّةُ والقَتَام ، وضاق عليه كل مكان ومقام ، حتى التجأ إلى الهروب والتشريد ، ما بين سائق وطريد ، فهرب ومعه نائب حماة [5] ، وقد ضاق عليه ما بين الأَرض والسماء . ومعه نائب طرابلس [6] وغزة [7] ، وقد انسلخوا من كل خير وعِزّة ، وتوجهوا إلى مدينة حلب ، وهم فيما بين رهب وهرب ، وإن مولانا السلطان المؤيد قد دخل الشام ، ومعه عساكره مسرورة ، ورايات النصر عليه منشورة ، وأقبلت إليه

(١ و ٢) ما بين الحواصر إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٢ ط كاليفورنيا .

(٣) عكرشة : بلدة تابعة لشبين القناطر ، وقيل إنها المكان الذى التقى فيه يوسف الصديق بأبيه . هامش المرجع السابق ١٢ : ٣١٨ ط دار الكتب بالقاهرة .

(٤) هو الأمير قانى باى المحمدى الظاهرى .

(٥) هو الأمير تنبك البجاسى .

(٦) هو سودون من عبد الرحمن .

(٧) هو طرباى الظاهرى .

الخلائق ساعية ، وألسنتهم بنصره داعية ، وقد حصل للناس سرور وبهج ، بزوال كل من بَغى وخرَج ، ولسان الحال ينطق بالمقدور : أيها الملك المجبور ،لا تكْتَرِثْ فأنت منصور ، وكل من عاداك فهو مقهور ، ما بين مقتول ومملوك ومأسور .

وكان دخوله يوم الجمعة يوم المزيد ، ولأهل الشام عيد على عيد ، وأقام فيه يومين بسرور وزين ، ثم خرج متوجهًا إلى حلب ، للهاربين بكل طلب ، وقد كان تقدمت شِرْذمة من عسكر مولانا السلطان المؤيّد إلى ناحية حلب ، وفيهم ألْطُنْبُغَا العثمانى ، والأمير آقْبَاى الدَّوَادار الكبير ، والأمير يَشْبُك وغيرهم ، فوقع بينهم وبين الخارجين وقعةعظيمة على موضع قريب من حلب ، إلى أن انهزمت الشرذمة ، ومسك منهم جماعة من الأعيان ، منهم آقْبَاى الدُّوَيْدَار ، ولكن هذه هزيمة بعدها غنيمة ، ومِنْ شَأْنِ مَنْ أعَزَّه الله بالنصر التام أنْ ينهزِمَ فى بعض حروبه ؛ لأن الحرب سجال ، وكذلك كان يجرى للأنبياء عليهم السلام ، وقد انهزم عسكرُ نبيِّنا عليه السلام فى غزوة هَوازِن[1] يوم حُنَيْن ، قال ابنُ إسحٰق : مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ لنا هوازن حتى انحط بهم الوادى فى غمامة الصبح ، فلما انحط الناس ثارت فى وجوههم الخيل فشدت عليهم وانكفأ الناس منهزمين ، لا يُقْبِل أحدٌ على أحد ، ورسول الله

(١) وكانت هذه الغزوة فى شوال سنة ثمان من الهجرة .
انظر المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا ١ : ١٤٦ و ١٤٧ .

صلى الله عليه وسلم ثابتٌ وهو يقول : أيها الناس هلموّا إلىَّ أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . فعند ذلك تراجع المسلمون ، واقتتلوا قتالاً شديدًا ، وأخذ رسول - الله صلى الله عليه وسلم - حِفْنَةً من تراب فرمى بها فى وجه المشركين ، وكانت الهزيمة ، ونَصَرَ اللهُ المسلمين ، وأَتْبَعُوا المشركين يقتلونهم ، ويأسرونهم ، وكان ذلك ببركة النبى - صلى الله عليه وسلم - .

وكذلك هذه الشرذمة من عسكر مولانا السلطان المؤيد ، وإن كانت قد انهزمت ولكن قد تعقبت لهم الغنيمة والبشرى ببركة حضور مولانا السلطان المؤيد وسعادته التامة ؛ وكان الأمر فى هذا أن هؤلاء الشرذمة لما حصل عليهم ما حصل ، جاء الصَّريخ لمولانا السلطان وهو على أراضى سَرْمِين[1] ، فعند ذلك نهض نهوض الأسد الكاسر الجافى ، وأسرع سرعة الصحيح القوادم والخوافى ، فنزل على الخارجين المتمردين ، الطريدين المتشردين ، نُزُولَ السِّبَاع على فرائسها المفروسة . وجعلهم حصائد مدكوسة[2] مدسوسة ، فلم يشعر إلا وهم فى قبضته الشريفة ، وسطوته المنيفة ، ولم ينفلت من أعيانهم أحدٌ ، وسيق كلَ واحدٍ فى جيدِهِ حَبْلٌ من مَسَدٍ ، فعُرِضُوا على مولانا السلطان ، وهم فى

(١) سرمين : بلدة فى منتصف الطريق بين حلب والمعرة .
القلقشندى : صبح الأعشى ٤ : ١٢٦ .
(٢) أى تراكب بعضها فوق بعض ودفنت تحت التراب .
(محيط المحيط) .

أسوأ حال وأقبح شان ، أولهم نائب الشام[1] الذى أفسد النظام ، والثانى نائب[2] حلب ، الذى أمره من أعجب العجب ؛ وذلك أن مولانا السلطان قد بلَّغه إلى غاية الرتب ، ونال فى أيامه من الأَرب ، مالم ينل فى أيام غيره ممن ذهب ، وثالثهم الحاجب[3] الكبير الذى كان أمير جَنْدَار ، زلّ به القدم فصار إلى ما صار ، والرابع تمان تمر[4] الذى خان ، فلاجرم أسر فى قبضة الخان ، فهذا أدنى جزاء من خامر [٥٩] على السلطان وأظهر العصيان ، أَلَمْ يعلم هؤلاء أن مخالفة السلطان هى مخالفة الرحمٰن ؟ ولكن سوَّلت لهم أنفسهم فعايل الشيطان ، فلذلك قتلوا بسيف الشريعة ، وحملت رءوسهم إلى البلدان ، وعلقت على باب قلعة الجبل ، عبرة لمن عصى ونكل ، ثم على أكبر أبواب القاهرة ، وفى ذلك موعظة زاجرة .

وكانت الوقعة المذكورة يوم الخميس الرابع عشر من شعبان ، التى أبانت عن عظم الشان ، لسيدنا ومولانا السلطان .

ولما انجلت الحربُ عن هذه الأُمور ، وظهر فيها كل ما كان من المقدور ، دخل مولانا السلطان حلب وقلبه مسرور ، فشرع فى النظر فى أحوال المسلمين ، وإزاحة ما صدر من المفسدين ، وأقبل إليه كل قريب وقاص ، وذلت له رقاب كل نافر وعاص ،

(١ و ٢ و ٣ و ٤) المقصود بهؤلاء الأمراء على التوالى قانى باى الحمدى الظاهرى ، وسيف الدين إينال بن عبد الله الصصلانى الظاهرى ، وسيف الدين جرباش بن عبدالله الظاهرى المعروف بكباشة ، وسيف الدين تمان تمر اليوسفى الظاهرى المعروف بأرق .

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٤٩ و ٤٥٠ ط كاليفورنيا .

فولّى وعزل ، وقطع ووصل ، وفوض نيابة حلب إلى آقْبَاى
[المؤيدى] [1] الدُّوَادار ، الذى دار معه الخير حيثما دار ،
ونيابة طرابُلُس للأمير يَشْبُكْ الذى كان شَدّاً [2] ، الناصح
لأُستاذه نصحًا مستبدا ، ثم عاد إلى مدينة حماة ، وولى فيها
جرَا قُطلى [3] الذى هو من جملة الحماة ، وأقام فيها مولانا
السلطان مدة من الزمان ، ثم توجّه إلى الشام على أحسن النظام ،
وأحسن إلى الصغير والكبير ، والجليل والحقير ، والأمير والوزير ،
وبسط بساط العدل بين العباد ، ومدّ سُرَادِقَات الأمان للخائفين
الشاردين فى البلاد ، حتى أمن على نفسه كل شارد عاص ، وأقبل
إليه كل هارب قاص ، ومن جملة من أقبل إليه ، وهو يرجو
العفو من لطفه العميم ، ويأمل الصفح من فضله الجسيم ،
الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأُستادار ، الذى دار فى بلاد
الغربة مادار ، ولكن لَمّا شَمِلهُ النظرُ الشريف والإقبال ، والعفو
والصفح والإفضال ، استبدل همّه سروراً ، وترحه فرحًا وحبوراً ،
فلا جرم خلعت عليه خلعة سَنِيّة ، وأُعيدت إليه وظائفه البهيّة ،
ودخل القاهرة على هيئة جليّة ، يوم الخميس الرابع والعشرين
من شوال ، أحد أشهر الحج المحترمة بالإجلال . ثم إن مولانا
السلطان توجّه إلى القاهرة ، وأَعْيُن الناس إليه شاهرة ، وزار فى

(١) مابين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٤ ط كاليفورنيا .
(٢) المقصود بذلك أن الأمير يشبك هذا كان مشداً للشراب‌خاناه .
(٣) والرسم فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٤ وفى عقد الجمان للمؤلف ٦٨ : م٤٢٠ « جار قطلو » .

طريقه القدس ومدينة خليل[1] ، ليحصل له من كل خير حظ جليل .

ثم فى يوم الخميس الخامس عشر من ذى الحجة الحرام ، وصل مولانا السلطان بعساكره الأجلاّء العظام ، ونزل على مرج السماسم[2] ، بقلب منشرح ووجه باسم ، وتلقته الناس من كل مكان يبتدرون ، « فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ »[3] . وفى ليلة تلك الجمعة عمل وقتا ، وجمع جمعه من العلماء والفقهاء والوعاظ والمنشدين ، وذلك فى الخانقاة الناصرية بأرض سرياقوس ، وكانت تلك الليلة ليلة مشهودة ، وأنفق على الجماعة فى تلك الليلة مائة ألف درهم ، وفى صبيحة تلك الجمعة نزل مولانا السلطان على خليج الزعفران[4] .

وفى صبيحة يوم السبت السادس عشر من ذى الحجة ، دخل القاهرة مولانا السلطان المؤيد بعساكره المنصورة ، وكان يوماً مشهوداً .

وفى يوم الإثنين الثامن عشر من ذى الحجة أمر بالمناداة فى المدينة بالأمن والأمان ، وأنه يتولى بنفسه أمور الحسبة

---

(١) المراد مدينة الخليل ، وهى بفلسطين وفيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام .
المنجد – أعلام الشرق والغرب ١٥٠ .

(٢) مرج السماسم : شمالى خانقاه سرياقوس .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٥ ط كاليفورنيا

(٣) الآية رقم ١٧ من سورة آل عمران .

(٤) خليج الزعفران ويقع فى طرف الريدانية (العباسية الحالية) .
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٤٥٥ ط كاليفورنيا .

الشريفة ، وكان قد عزل الأمير «تاج» قَبْله بأيام ؛ لأُمور جرت في المدينة بسبب الغلاء وقلة الواصل .

وفى يوم الإثنين الخامس والعشرين من ذى الحجة خلع على الأمير جقمق [الأرغون شاوى][1] ، واستقر دُوَادَارا كبيرًا ، عوضًا عن الأمير آقْبَاى [المؤيدى][2] الذى استقر نائب حلب ، وكان مولانا السلطان قد أنعم عليه بتقدمة وهو فى السفر .

وفى يوم السبت سلخ ذى الحجة الحرام خلع على حرز نقيب الجيش ، واستقر فى ولاية القاهرة عوضًا عن الأمير تاج ، وخلع على الأمير تاج واستقر أستادار الصُّحْبة لمولانا السلطان المؤيد .

ومن جملة الحوادث فى هذه السنة ، أن الأمير بَرْدبك استقر رأس نوبة النوب عوضًا عن سُودُون القاضى بحكم مَسْكِه ، وكان مسكه ومولانا السلطان فى السفر .

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير تَنْبُك المشد ، وكان مقدم الركب الأول الأمير يَشْبُك الدَّوَادَار الصغير .

(١ و ٢) الإضافات عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٦ ط كاليفورنيا .

فصل

فيما وقع من الحوادث فى السنة التاسعة عشرة بعد الثمانمائة

استهلت هذه السنة المباركة وسلطان الدّيار المصرية والشامية والحلبية والفراتيّة مولانا الملك المؤيّد ، وخليفة الوقت المعتضد بالله ، والنائب بدمشق أَلْطُنْبُغَا العثمانى ، وبحلب الأَمير آقْبَاى ، وبحماة الأَمير جراقطلى ، وبطرابُلس الأَمير يَشْبُك ، وبصَفَد الأَمير خليل ، وبغزة الأَمير مُشْتَرك ، وبإسكندرية الأَمير آقْبُردى . وقاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية القاضى جلال الدين الشافعى ، وقاضى القضاة الحنفية القاضى ناصر الدين ابن العديم . وقاضى القضاة المالكية جمال الدين الأَقْفَهْسِى ، وقاضى القضاة الحنابلة علاءُ الدين بن المُغْلى ، وكاتب السر الشريف القاضى ناصر الدين محمد بن البارزىّ الحموىّ . وناظر الجيش القاضى علم الدين ابن الكُويز ، وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله ، ووظيفة الوزارة شاغرة ، وكان علم الدين أبو كم متكلماً فيها بطريق النظر على الدولة .

وفى يوم الخميس الخامس من المحرم خلع على مؤلف هذه

السيرة بحسبة[1] القاهرة ، وكان مولانا السلطان إذ ذاك بمنزلة الأوسيم[2] .

وفى يوم الخميس التاسع عشر منه كانت خدمة الإيوان بالقلعة لأجل الرسل القادمين من البلاد ، منهم القاضى زين الدين مُفْلح قاصد السلطان الملك الناصر صاحب اليمن ، وفى هذا اليوم قدمت تقدمة صاحب اليمن ما يناهز مائتى حمال[3] من الأشياء الطريفة ، والتحف الغريبة ، بجملة مقومة مستكثرة . وفى هذا اليوم خلع على القاضى تقى الدين بن أبى شاكر ، واستقر فى وزارة الدِّيار المصرية [٦٠] وكانت الوزارة شاغرة كما ذكرنا .

وفى يوم الإثنين الثامن والعشرين من صفر خلع على الأمير قُطْلُوبُغَا ، واستقر فى نيابة إسكندرية عوضًا عن الأمير آقْبُرْدى [المنقار][4] .

وفى هذا الشهر وقع الفناء بالقاهرة ، وتزايد إلى أن بلغت عدة الأموات فى ربيع الأول كل يوم إلى أربعمائة وأكثر ، مع

---

(١) حسبة القاهرة : وظيفة يتولى شاغلها الأمر والنهى فيما يتصل بالمعايش والصنائع والتصرف بالحكم والتولية بالوجه البحرى بكماله خلا الإسكندرية ، ومن اختصاصه حفظ ومراقبة الأسعار . انظر صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ٣٧ .

(٢) الأوسيم : قرية من قرى محافظة الجيزة غربى ناحية امبابة . ياقوت — معجم البلدان ٤ : ٩٢٩ .

(٣) كذا فى الأصل ، وهى لغة العصر . والصواب حمل .

(٤) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٨ ط كاليفورنيا .

وقوع الغلاء المفرط فى هذه الأشهر ، حتى بلغت البَطَّة[1] الدقيق إلى مائتين وخمسين درهماً ، ويقاس عليه سعر القمح .

وفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول عزل صاحب هذه السيرة عن وظيفة الحسبة ، وعوض عنه من لا يصلح أن يذكر فى التواريخ[2] ، ثم خُلِع على مؤلف هذه السيرة يوم الاثنين السابع والعشرين منه ، واستقر فى نظر الأحباس[3] المبرورة عوضًا عن القاضى شهاب الدين بن الصَّفدِى بحكم وفاته .

وفى يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الآخر مُسِك الأمير بدر الدين [حسن بن محب الدين][4] استادار العالية ، واستقر عوضه الأمير فخر الدين بن أبى الفرج ، وخلع عليه يوم الإثنين الخامس والعشرين منه .

وفى يوم الإثنين السابع عشر من جمادى الأولى خلع على القاضى شمس الدين بن الدِّيرِى القُدْسى ، واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية ، عوضًا عن القاضى ناصر الدين بن العديم بحكم وفاته .

---

(١) البطة : وعاء على هيئة البطة .
معجم الوسيط ١ : ٦١ .
(٢) يقصد بذلك ابن شعبان .
عقد الجمان للمؤلف م ٦٨ : ٤٢٣ .
(٣) نظر الأحباس وصاحبها يتحدث فى رزق الجوامع والمساجد والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضين المفردة لذلك ؛ وما هو من ذلك القبيل على سبيل البر والصدقة لأناس معينين : صبح الأعشى للقلقشندى ٤ : ٣٨ .
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة عن النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٦ : ٣٥٠ ط كاليفورنيا .

وفى يوم الإثنين الثالث والعشرين من جمادى الأولى نُفِىَ الأمير كُزُل العجمى أمير جَندار إلى حلب على إمْرَةٍ . وفى يوم الإثنين الثامن [من] [1] جمادى الأخرى[2] كان وفاء النيل المبارك ، فنزل . إليه مولانا السلطان الملك المؤيد لأجل الكسر الذى فيه جبر للمسلمين ، وكان موافقا لعشرة أيام من مسرى .

والحمد لله وحده .

إلى هنا تم ما اعتنى بجمعه الشيخ الأمام العالم العلامة بدر الدين العينى رحمه الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم .

(1) مابين الحاصرتين إضافة على الأصل .

(2) فى الأصل « الأولى » وهو خطأ لأنه لا يستقيم مع الاثنين السابق والذى يوافق ٢٣ جمادى الأولى .

١٠

الفهارس

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

دولة الفاطميين :

دولة بنى بويه :

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

فصل : فيما وقع من الحوادث في السنة السادسة عشر بعد الثمانمائة :

الموضوع | الصفحة

فصل : فيما وقع من الحوادث فى السنة السابعة عشرة بعد الثمانمائة : ٣٢٣

الموضوع الصفحة

الصفحة

فهرس الأعلام

(ث)

(ج)

(ش)

(ص)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

فهرس الأمم والقبائل والبطون والطوائف والجماعات

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

النوبة ١٨ : ١٢ — ١٠٠ : ٥

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ح)

(خ)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

فهرس المصطلحات والوظائف

فهرس الأيام والغزوات والوقائع

فهرس الكتب الواردة فى النص والتعليقات

فهرس المراجع

الكتاب	المؤلف
الأخبار الطوال	أبو حنيفة الدينورى
الأعلام	الزركلى
بدائع الزهور	ابن إياس
البداية والنهاية	ابن كثير
بلدان الخلافة الشرقية	لسترنج
البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ...	ابن عذارى المراكشى
تاريخ الأمم والملوك	ابن جرير الطبرى
تاريخ مختصر الدول	ابن العبرى
تجارب الأمم	ابن مسكويه
تشريف الأيام والعصور	ابن عبد الظاهر
تلقيح الأخبار	الرمزى
جامع التواريخ	رشيد الدين الهمذانى
حسن المحاضرة	جلال الدين السيوطى
الخطط التوفيقية	على مبارك
الدرر الكامنة	ابن حجر
دول الإسلام	الذهبى
الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر « ططر »	البدر العينى
السلوك لمعرفة دول الملوك	المقريزى
سيرة النبى	ابن هشام
صبح الأعشى	القلقشندى
الضوء اللامع	السخاوى
العبر وديوان المبتدأ والخبر	ابن خلدون
عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان	البدر العينى
الكامل	ابن الأثير
كشف الظنون	حاجى خليفة
كنز الدرر وجامع الغرر	ابن أيبك الدوادارى

الكتاب	المؤلف
لسان العرب	ابن منظور
محيط المحيط	بطرس البستاني
المختصر في أخبار البشر	أبو الفدا إسماعيل
مروج الذهب	المسعودي
المعارف	ابن قتيبة
معجم البلدان	ياقوت الحموي
مفرج الكروب	ابن واصل
المنهل الصافي	ابن تغري بردي
المواعظ والاعتبار في الخطط	المقريزي
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي
نهاية الأرب	النويري
وفيات الأعيان	ابن خلكان

الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة

المكتبة العربية

- ٥٥ -

التراث	(١٣)
التاريخ	[٤]

القاهرة
١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م

